الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة جيلالي ليابس/ سيدي بلعباس

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: العلوم الإنسانية

الجزائر والباب العالي من خلال الأرشيف العثماني 1520- 1830م

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ

تخصص: التاريخ الحديث والمعاصر

إعداد الطالبة:

- جميل عائشة

إشراف الأستاذ:

- أ.د صحراوي عبد القادر

أعضاء لجنة المناقشة

أ.د. حنيفي هلايلي	أستاذ تعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس	رئيسا
أ.د.صحراوي عبد القادر	أستاذ تعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس	مشرفا ومقررا
أ.د.مكحلي محمد	أستاذ تعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس	مناقشا
أ.د.دادة محمد	أستاذ تعليم العالي	جامعة وهـــــــران1	مناقشا
د.حمدادو بن عمر	أستاذ محاضر-أ-	جامعة وهـــــــران1	مناقشا
د.بوركبة محمد	أستاذ محاضر-أ-	جامعة وهـــــــران 1	مناقشا

السنة الجامعية: 2017-2018

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿فَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آَيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آَيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

صدق الله العظيم

الآية 50-51-52 سورة الحج

شكر وتقدير

يقول الله تعالى: ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾

اللهم اجعل قدوتنا نبيك محمد صلى الله عليه وسلم المرشد إلى النجاة والفلاح، اللهم اقبل العمل مع قلته والجهد مع ضآلته والسعي مع شوائبه عز جاهك وجل ثناؤك ولا إله إلا أنت.

الشكر لله عز وجل الذي لا يضاهيه شكر الذي تم بنعمته هذا العمل المتواضع.

وبكل عبارات التقدير والاحترام، وبكل كلمات الشكر والامتنان، أقدم تحياتي الخالصة إلى الأستاذ الدكتور "صحراوي عبد القادر" على المساعدة الكبيرة التي قدمها لي، فقد كانت توجيهاته الصائبة ومراقبته الدائمة لكل خطوة أتقدم بها في بحثي مهمة جدا، فشكرا جزيلا لك فأنت حقا كما قال الشاعر:

قم للمعلم وأوفه التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا

وأتقدم بشكري الجزيل إلى أساتذتي الموقرين في لجنة المناقشة رئاسة وأعضاء لتفضلهم علي بقبول مناقشة هذه الرسالة، فهم أهل لسد خللها وتقويم معوجها وتهذيب نتوآتها والإبانة عن مواطن القصور فيها، سائلة الله الكريم أن يثيبهم عني خيرا.

ج.عائشة

الإهداء

الحمد لله فالق الأنوار وجاعل الليل والنهار ثم الصلاة على سيدنا محمد المختار.

أهدي هذا العمل المتواضع:

- إلى التي حملتني في بطنها وهنا على وهن "أمي الغالية".
- إلى "أبي" الذي رباني على مكارم الأخلاق.

أطال الله في عمرهما.

- إلى "زوجي الغالي" وإلى كبدة روحي "غزلان" .
- وإلى كل الأهل والأقارب من قريب أو بعيد.
- إلى كل أصدقائي وصديقاتي كل باسمه.
- إلى الغالية "ساسي صليحة".
- إلى كل من يحب هذا الوطن العزيز "**الجـــــزائـــــر**".

ج.عائشة

مختصرات البحث

باللغة العربية:

- **ج :** **الجزء.**
- **د.س:** **دون تاريخ الطبع.**
- **ط:** **الطبعة.**
- **و.م.و:** **وثائق المكتبة الوطنية.**
- **مج:** **مج الوثائق عن تاريخ الجزائر في العهد العثماني.**
- **هـ:** **التاريخ الهجري.**
- **م:** **التاريخ الميلادي.**

باللغة الفرنسية:

- **R.A** : **La Revue Africaine**.
- **T** : **Tome**.

مقدمة

مقدمــة

تعتبر الفترة الممتدة من 1516-1830م مرحلة هامة في تاريخ الجزائر فقد عرفت فيها هذه الأخيرة أحداثا بارزة كانت مسرحا لها، وعرفت الجزائر خلالها سيادة ووحدة وقوة عسكرية أرهبت بها القوى الكبرى آنذاك مما جعل هذه الأخيرة تعمل جاهدة للقضاء عليها وإنهاء وجودها، وإن أهمية هذه الفترة لا تعود إلى طول الفترة الزمنية وإنما لاعتبارات أخرى سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية تركها العهد العثماني الذي لا تزال بعض بصماته موجودة إلى يومنا هذا، ورغم أهمية هذه الفترة إلا أنها للأسف لم تحظ بعد بالاهتمام والقدر الكافي من الدراسة.

وإن الوجود العثماني في الجزائر لم يكن في يوم من الأيام وجودا استعماريا بل هو وجود معنوي أكثر منه مادي اقترنت بظروف دولية على درجة كبيرة من الخطورة بالنسبة لمنطقة المغرب، وبذلك الذي جعل الجزائريين يرتبطون معنويا وماديا بالدولة العثمانية هو عنف الهجمة الصليبية على منطقة المغرب في بداية القرن السادس عشر ميلادي وعجز واهتراء الكيانات السياسية المحلية التي كانت موجودة وعجزها لتصدي لهذا الخطر، وبذلك ظهرت نواة دولة جديدة بمجيء الإخوة بربروس إلى الحوض الغربي للمتوسط فحافظت الجزائر على علاقتها مع الباب العالي منذ تأسيسها غير أنها كسبت استقلالا في مرحلتها الأخيرة عن الدولة العثمانية.

ويجمع المؤرخين أن الحلقة المظلمة والمجهولة من تاريخ المغرب الإسلامي عامة والجزائر خاصة على الرغم من قربها التاريخي هي فترة العصر العثماني، فالدراسات حول هذه الفترة نادرة والمعلومات فيها مستمدة من انطباعات الرحالة الأوربيين ومن تقارير قناصل الدول الأجنبية بالجزائر، أما وثائق الدول المغربية العربية منها التركية فلم تلق الاهتمام اللازم وأخص بالذكر وثائق ودفاتر حكام الأتراك المحررة باللغتين العربية والتركية والتي استولت عليها الحكومة الفرنسية عند احتلال الجزائر، لذلك لا

سبيل إلى دراسة تاريخ بلد ما دون أن نطلع على وثائق الدولة الرسمية ومراسلاتها وقوانينها الإدارية والمالية والاجتماعية والعسكرية التي سنتها.

فالجزائر كسائر الولايات المرتبطة بمركز الإمبراطورية العثمانية عرفت نشاطا حثيثا تجاريا وعسكريا في حوض البحر الأبيض المتوسط في العصر الحديث، فكانت للايالة دفاتر ووثائق رسمية المتعلقة ببيت المال والأحباس والتجارة الخارجية والداخلية والضرائب والانكشاريين بالإضافة إلى ملفات مراسلاتها السياسية مع الباب العالي وجميع الدول، فتكونت الوثائق العثمانية بالجزائر نتيجة تسجيلات مستمرة للأوامر والتعليمات والقرارت- وكانت تصدر عن حكام الايالة وموظفي البايليك- أو ترد إليهم من سلاطين الباب العالي وموظفيه كما كان قسم منها ناتجا عن نشاط وكالة الايالة بالخارج أو قناصل وتجار الدولة الأوربية المقيمين بالجزائر.

ومما يزيد أهمية هذه الوثائق بصفة خاصة كون العهد العثماني بالجزائر كان يتميز بقلة الإنتاج التاريخي المخطوط مع وفرة الوثائق الأرشيفية وإن كانت نادرة في القرن السادس عشر وقليلة في القرن 17 إلا أنها تتميز بالكثرة والتنوع في القرن 18 لذلك تعتبر حقلا خصبا للمعلومات عن أواخر العصر العثماني في الجزائر، لكن عند سقوط الجزائر تحت الاستعمار الفرنسي الذي استولى على كل المباني الحكومية وعلى أموال الدولة ووثائقها ودفاترها الرسمية فتبعثرت وضاع وتلف منها الكثير.

يعد موضوع العلاقات الجزائر العثمانية من الموضوعات المهمة في تاريخ الجزائر الحديث باعتبارها مرحلة لبداية لتأسيس الدولة الجزائرية الحديثة، وفي هذا الإطار تندرج دراستنا الموسومة ب "**الجزائر والباب العالي من خلال الأرشيف العثماني 1520-1830م**" كمحاولة لتوضيح العلاقة التي كانت بين الباب العالي والإيالة، وذلك من خلال طبيعة المصادر والمعلومات المتوفرة في الوثائق و المذكرات و التقارير حول طبيعة هذه العلاقة، ورغم أهمية هذه الفترة إلا أنها وللأسف لم تحظ بعد بالاهتمام والقدر الكافي من الدراسة والبحث، وذلك راجع للكتابات الأجنبية المغرضة ضد الكيان الجزائري، وفي هذا السياق يمكننا أن ندرك كيف أن موضوع الجزائر والباب العالي شكل ولا يزال مادة

بحث خصبة للعديد من الدراسات، ونحن نعتقد أن دراسة هذه الفترة والتعمق فيها سيقودنا حتما إلى الفهم الصحيح لتاريخ الجزائر الحديث، هذا الفهم الذي يفرض الاعتماد على مصادر أساسية ووثائق أصلية تكون بمثابة المادة الخام لبناء تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني.

فاخترنا هذا الموضوع بالذات لأنه يتعلق أولا بميلاد الدولة الجزائرية الحقيقية لأول مرة في تاريخنا، دولة ذات معالم معينة وحدود مرسومة فوق تراب تشكلت منه أرض الوطن وتكونت فوقه وحدة سياسية واقتصادية واجتماعية، وما زاد تعلقنا بهذا الموضوع هو أنه ينتمي إلى الفترة العثمانية التي تعرضت إلى كثير من الزيف والمغالطات، فغابت فيها الحقيقة المطلقة والتواصل التاريخي بين الكتابات التاريخية بعد سيطرة المدرسة الاستعمارية على هذا المضمار، فالدراسة تجعلنا نتبع منهجية علمية محددة ترتكز على ضرورة الاعتماد على الوثائق الأرشيفية المحفوظة في المركز الوطني للأرشيف، و في المكتبة الوطنية بقسم المخطوطات، فبواسطة هذا الكم الهائل من الوثائق نتمكن من رصد صورة و لو تقريبية عن الجانب علاقة الإيالة مع الباب العالي.

بما أن الموضوع يتناول الجانب السياسي فإن دراسته تقتضي إتباع المنهج التاريخي والوصفي، من خلال دراسة الوثائق والمصادر وتحليلها ومقابلتها ببعضها البعض للوقوف على الحقائق التاريخية، إضافة لذلك تما الاعتماد على المنهج التحليلي المقارن الذي يربط الأحدث ببعضها ويستنبط ووقائعها.

إن هذا الموضوع مهم للغاية يستلزم دراسة علمية حديثة جادة ومركزة توضح خفاياه وتستوعب أبعاده وقد حرصنا في دراستنا لهذا الموضوع على:

- المساهمة في استغلال المخطوطات المكتبة الوطنية ووثائق الأرشيف الوطني (خاصة خط همايون الفرمانات) المتعلقة بالناحية السياسية خاصة المتعلقة بالرسائل المتبادلة بين الايالة والباب العالي.

- المساهمة في إثراء الدراسات التاريخية وتطوير مجهودات المؤرخين الذين تناولوا هذا الجانب بالقدر اليسير.

- التعرف على علاقة الباب العالي بالسلطة العثمانية الحاكمة في الجزائر.

لا يزال التاريخ العثماني في الجزائر على امتداد مراحله لم يؤخذ حقه من الكتابات فهو يقتضي المزيد من الدراسات المعمقة، وإن كان بعض المؤرخين اهتموا بالجانب السياسي والعسكري والاقتصادي، فإن دراستها للجانب السياسي خاصة في علاقة الجزائر بالباب العالي يعتريها الغموض والإبهام ويتخللها فراغ كثير وهذا راجع لعدم توظيف بعض الوثائق العثمانية والتي لا تزال محفوظة في الأرشيفات المختلفة تنتظر استقراءها واستنباط الحقائق منها، وإن البحث في موضوع علاقة الإيالة الجزائرية مع الباب العالي يساعدنا في الإجابة عن الكثير من التساؤلات المتمحورة حول:

- حقيقة علاقة إيالة الجزائر بالدولة العثمانية وأبعادها ودور الدولة العثمانية في المكانة التي كسبتها الجزائر في تلك الفترة، ومساهمتها في المحافظة على كيانها ووجودها ورد الكثير من الغارات الأوربية وحقيقة مساعي الدولة العثمانية في رد الاعتداء الفرنسي واسترجاع حقها المسلوب؟
- ولقد تمتعت الجزائر بوضع خاص على غرار الولايات التابعة للباب العالي فاحتفظت بالحق في تكوين جيش وبحرية وعلم ونقد وتكوين علاقات خارجية مستقلة، فما سبب هذا الوضع الخاص؟ وما نتائج الارتباط على المستوى المحلي والدولي؟ وما مدى مساهمة الباب العالي في السياسة الداخلية للايالة ؟ وما هي مظاهر تبعية الجزائر للباب العالي؟ إلى أي مدى ساهمت العلاقات السياسية والعسكرية في طبيعة الارتباط بين الجزائر والباب العالي؟

وقد اعتمدت في انجاز هذا البحث على أصناف عديدة من المصادر والمراجع فمنها الأرشيف أي الوثائق التي لا زالت محطوطة ومنها الوثائق المنشورة، كما رجعت إلى بعض المخطوطات وهي قليلة، دون أن أنسى الدراسات الحديثة التي تحدث عن الجزائر في العهد العثماني من كتب عربية وأطروحات وكتب فرنسية وغير ذلك.

وتنقسم المستندات التي اعتمدت عليها في انجاز البحث إلى خمسة مجموعات هي:

أولا–المصادر: الوثائق الغير المنشورة

أ– الأرشيف الوطني (الجزائر العاصمة)

المركز الوطني للدراسات التاريخية قسم تاريخ الجزائر العثماني واعتمدت الدراسة على مجموعة من الوثائق وعلى خط همايون ومن بينها:

- المجموعة 3190، ملف 1.
- المجموعة 3204.
- المجموعة 3205، ملف1.

وهي وثائق مجملها عبارة عن رسائل من الباب العالي للإيالة الجزائرية أو العكس.

خط همايون:

- عدد 57416 تاريخ 1203هـ/1785م.
- عدد 56499، تاريخ 1206هـ/1791م.
- عدد 46.892، تاريخ 1205هـ، علبة 30.

- عدد 22556، تاريخ 1232هـ، علبة 24.

- عدد 3154، تاريخ 1237هـ.

ساعدتنا هذه الوثائق في الفصل الثاني والثالث في توضيح العلاقات السياسية والعسكرية بين الباب العالي والإيالة الجزائرية.

ب- المخطوطات: التي تحصلنا عليها من المكتبة الوطنية بالحامة ومن بينها:

- **التلمساني محمد بن عبد الرحمان** "الزهرة النائرة في ما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة" تحت رقم 2523، أفادنا في الفصل الأول فيما يتعلق بمجيء الإخوة بربروس إلى الجزائر واستنجاد أهل الجزائر بهم.
- مخطوط تحت رقم 1637 دون عنوان ودون مؤلف: وهو عبارة عن تعاريف لبعض الباي لاربايات والباشوات والأغوات والدايات، فيذكر سنة التولية وأهم المنجزات التي قام بها الباشا.

ثانيا-المصادر المطبوعة: وهي متنوعة منها العربية والأجنبية

- مذكرات خير الدين بربروس لمجهول يتحدث المخطوط عن أصل بربروسة وجهادهم البحري في حوض المتوسط واستقرارهم في سواحل شمال إفريقيا وتأسيس ايالة الجزائر، لينتهي المخطوط بالحديث عن مأساة حملة شارلكان على مدينة الجزائر 1541م، فأفادنا كثيرا في الفصل الأول.
- مذكرات أحمد الشريف الزهار، نقيب أشراف الزهار حقق هذا المؤلف أحمد توفيق المدني ونشره في الجزائر عام 1980م، ويعد أهم مصدر للفترة المتأخرة من العهد العثماني في الجزائر.

- المرآة: ظهر هذا الكتاب لأول مرة مترجما عن العربية إلى الفرنسية بعنوان Aperçu « historique sur la régence d'Alger » أي نظرة تاريخية عن ايالة الجزائر وذلك في باريس عام 1833م للكاتب حمدان بن عثمان خوجة، ونظرا لأهمية الكتاب فإنه ترجم إلى العربية لأول مرة من قبل الأستاذ محمد بن عبد الكريم في بيروت عام 1972م، ثم ترجم مرة ثانية من قبل الدكتور محمد العربي الزبيري في الجزائر عام 1982م.
- مذكرات كاثكارت (جيمس ليندر) الذي هو من أصل أمريكي وقع في أسر رجال البحر الجزائريين في البحر المتوسط عام 1785م، وقد تمكن من تخليص نفسه من الأسر فأصبح من المقربين للداي محمد عثمان باشا وفي عام 1796م أطلق سراحه وعاد إلى وطنه، لكنه رجع مرة ثانية بعدما عين قنصلا لأمريكا في إيالة الجزائر، واستطاع أن يجمع رصيد هاما من المعلومات التاريخية عنها ودون مذكراته التي ترجمت إلى العربية من طرف الأستاذ إسماعيل العربي عام 1982م فكانت مذكراته مصدرا هاما حول العلاقات الإيالة الخارجية ودور البحرية وعدة جوانب من الحياة الاجتماعية مثل حياة الأسرى في الجزائر وحياة الباشا داخل دار الإمارة، وكذلك الإدارة الجزائرية والأجهزة التي تتكون منها.
- مذكرات وليام شالر (قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824م) وهذه المذكرات هي الأخرى من ترجمة الأستاذ إسماعيل العربي ونشرت في الجزائر عام 1982م، وترجم إلى الفرنسية ونشرت في باريس عام 1830م فأفاد الجيش الفرنسي كثيرا، وهذه المذكرات تناول في أجزائها مواضيع عدة خاصة بجغرافية الجزائر وأنماط معيشة سكانها والنظام السياسي الذي يطبق فيها إضافة للعلاقات الخارجية للايالة.

- كيف دخل الفرنسيون الجزائر لأحمد الجزائري أفادنا كثيرا خاصة في الفصل الأخير في حديثنا عن العلاقات الفرنسية الجزائرية خاصة في الفترة الأخيرة لسقوط الجزائر.

- كتاب بفايفر سيمون " مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر" أسر سنة 1825م بإحدى المدن القريبة من إزمير حيث نقل إلى الجزائر فعمل كطباخ للخزناجي، ثم عينه طبيبه الخاص وأطلق سراحه عام 1830م وكتابه حافل بالوقائع والأحداث التاريخية المتعلقة بالعلاقات الجزائرية الفرنسية قبل دخول الفرنسيين الجزائر، كما يعرض الأحداث التي كان لها أثر في هذه العلاقات وتطورها ويصف الحملة الفرنسية على الجزائر بصورة مفصلة يتعذر العثور عليها في مصدر أخر.

والملاحظ على أعمال هؤلاء أنها دراسات متفرقة تتسم بالوصف والتعميم دون التعمق والتحليل المقارن.

أما فيما يتعلق بالمصادر الأجنبية فمنها:

- كتاب "Histoire des rois d'Alger " لفراي دياقو دي هايدو وهو راهب اسباني تعرض للأسر والاختطاف من طرف رياس البحر الجزائريين عام 1578م وثم إطلاق سراحه سنة 1581م، وهذا الكتاب مخصص لحكام الجزائر ابتداء بعروج إلى مصطفى باشا فهو يغطي ترجمة تسعة وثلاثين حاكما، كما يلقي بعض الأضواء على تاريخ الجزائر السياسي خلال القرن السابع عشر، وتمرد الانكشارية والثورات الداخلية وعلاقات الجزائر الخارجية، ويعتبر هذا الكتاب من الوثائق النادرة والهامة التي ترتبط بالجزائر العثمانية.
- كتاب "Tunis et Alger au 18eme siècle" لفونتير دو بارادي الفرنسي وهو الخبير السياسي بشئون الشرق والمتخرج من معهد اللغات الشرقية في باريس، وقد زاول وظائف عديدة في سفارة فرنسا باستانبول، وفي قنصلياتها الموزعة على مختلف المدن العثمانية وبصفة خاصة في تونس بين سنتي 1780-1782م ثم في الجزائر بين سنتي 1788-

1790م واستطاع خلال تلك السنوات أن يكتب تقارير عديدة عن الحياة السياسية والاجتماعية في الايالتين (تونس والجزائر).

وتتشابه هذه الكتابات في طريقة تناولها للجزائر خلال الفترة العثمانية إذ ركزت على أحوال السكان والنشاط البحري ووصف المناطق البحرية وكذا الحصون، وهذا ما يعطي هذه الكتابات طابعا استخباريا ذا أبعاد عسكرية تهدف إلى تعريف دول بمواطن القوى والضعف لدى الإيالة بهدف تسهيل المهام الاستعمارية، فكان لكتاباتهم تأثير ودور كبير في تغذية الحقد الصليبي من أجل شن غارات ضد الجزائر.

ثالثا–المراجع: فهي متنوعة ومن أهمها:

باللغة العربية:

- الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية لسامح عزيز ألتر استفدت منه كثيرا في كل موضوع الأطروحة.
- شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830م لمولود قاسم نايت بلقاسم استفدت منه في جانب العلاقات الفرنسية الجزائرية.
- إضافة إلى كتابات كل من أحمد توفيق المدني و يحي بوعزيز وناصر الدين سعيدوني وأبوا القاسم سعد الله فتعتبر كتاباتهم بحق مساهمة كبيرة في كتابة التاريخ الجزائري العثماني.

إلى غير ذلك من المراجع الفرنسية والأطروحات الجامعية والمقالات التي أعانتنا كلها لإتمام هذا البحث.

ولقد قمنا بما في وسعنا لبلورة الموضوع وإتمام فصوله وفق خطة منهجية، إذ تم تقسيم الموضوع إلى مقدمة وفصل تمهيدي وأربعة فصول وينتهي بخاتمة وملاحق وسنحاول إلقاء نظرة سريعة على كل جزء منها بالترتيب:

تناول **الفصل التمهيدي** الذي يعتبر مدخلا للدراسة، الظروف العامة لإلحاق الجزائر بالدولة العثمانية من ظروف داخلية وخارجية، وذلك بالتطرق إلى أوضاع المغرب الإسلامي قبل القرن السادس عشر.

أما **الفصل الأول** فقد خصصناه للحديث عن الجزائر إيالة عثمانية وذلك بظهور الإخوة بربروس في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط وما أنجر عن ذلك بإلحاق الجزائر بالباب العالي وتأسيس إيالة الجزائر وتطور النظام السياسي في الجزائر عبر مراحل مختلفة.

والفصل الثاني ويدرس العلاقات السياسية بين إيالة الجزائر والدولة العثمانية من خلال مظاهر الارتباط بالباب العالي والتي كانت بمثابة الحبال القوية التي ربطت الجزائر بالباب العالي حتى سقوطها، كما تطرقنا لدور الباب العالي في السياسة الداخلية للإيالة الجزائرية.

و**الفصل الثالث** حاولنا فيه دراسة العلاقات العسكرية الجزائرية العثمانية من مؤسسة عسكرية ودورها في تدعيم هذه العلاقة بين الإيالة والباب العالي، إضافة إلى المساعدات العسكرية العثمانية للجزائر ودور البحرية الجزائرية في الحروب العثمانية.

أما **الفصل الرابع والأخير** فقد خصص للحديث عن موقف الباب العالي من الاحتلال الفرنسي فعرضنا فيه بداية وساطة الباب العالي في العلاقات الجزائرية الفرنسية وتطور هذه العلاقات لتنتهي باحتلال وسقوط الإيالة تحت الاستعمار الفرنسي.

وانتهت الدراسة بخاتمة تضمنت أهم النتائج والاستنتاجات التي وضحت طبيعة العلاقات بين ايالة الجزائر والباب العالي، وقد رأيت من المفيد أن أضيف إلى الأطروحة بعد الخاتمة ملاحق عديدة بعضها لأهم الوثائق التي استعملتها في هذه الدراسة وغيرها.

أما فيما يتعلق بالصعوبات فكل بحث لابد من أن يتعرض صاحبه في إنجازه لعدة صعوبات، وأهم العراقيل التي واجهتنا في عملنا صعوبة الوصول إلى الأرشيفات ودور المخطوطات في الخارج وقلة الوثائق المتعلقة بالفترة الأولى لتأسيس إيالة الجزائر، إضافة إلى طول مدة البحث المدروسة إضافة إلى الارتباطات العائلية وغيرها... لكني رغم هذه الصعوبات واصلت بعون الله وهدايته بحثي فطويت كثيرا من صعوباته، وفي ختام هذا التقديم فإن جاءت معالجتي للموضوع موضوعية كما أردت فذلك مبلغ قصدي.

وأخيرا نسأل الله التوفيق وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الطالبة جميل عائشة

جامعة جيلالي ليابس–سيدي بلعباس

16 رجب 1438 هـ/13 أفريل 2017م

الفصل التمهيدي:

الظروف العامة لإلحاق الجزائر بالدولة العثمانية

1- المشهد السياسي للمغرب الإسلامي قبل القرن 16م:

لقد اكتسب البحر الأبيض المتوسط أهمية من كونه منطقة حضارية ترعرعت على ضفافه حضارات راقية أمازيغية ويونانية وفينيقية وعربية وإسلامية، ومن كونه طريقا عالميا للتجارة بين أجزاء العالم القديم في العصريين القديم والوسيط، وبين العالم الجديد في العصر الحديث، بحيث كان ومازال حلقة الوصل بين أجزاء العالم المختلفة والشعوب، فعرف المغرب العربي ظهور عدة قوى منذ الفتح العربي الإسلامي فقد كان يمثل الوحدة الجغرافية وعرقية وتاريخية متكاملة تجلت خاصة في العهد الموحدي (515-668هـ/1121-1269م)،[1] فاستطاعوا توحيد المغرب والأندلس، فلم تكن هناك قوة أوروبية تقف في طريق توسعاتهم،[2] وفي الجانب الأخر عاشت الدول الأوربية هذه الفترة في التنازع والاقتتال على الأقاليم والمقاطعات، لكن سرعان ما أدركوا الخطر الموحدي وضرورة تشكيل الأحلاف وهو ما كان، فنتج عنه حلف "أرغونة وقشتالة" الذي توج بإسقاط أخر معقل للمسلمين آلا وهي غرناطة بني الأحمر.[3]

يعتبر سقوط غرناطة[4] سنة 1492م إيذانا بنهاية الوجود الإسلامي في إسبانيا، بعدما أسس فيها المسلمون أعظم حضارة إسلامية على مر التاريخ،[5] وهذا بعد سلسلة من حروب الاسترداد التي

[1] يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، د.م.ج، الجزائر، 1999م، ص10.

[2] جلال يحي، المغرب الكبير العصور الحديثة وهجوم الاستعمار، دار النهضة، لبنان، 1981م، ج3، ص3-4.

[3] نور الدين حاطوم، تاريخ عصر النهضة الأوربية، دار الفكر الحديث، لبنان، ص60.

[4] غرناطة وتسمى بالاسبانية Granada تقع في الجنوب الشرقي من شبه الجزيرة اللإيبيرية، ويقع فيها قصر الحمراء، وظهرت فيها مملكة إسلامية في القرن 11م، وهي المملكة الإسلامية الوحيدة في اسبانيا بعد سقوط مملكة قرطبة بيد المسيحيين سنة 1236م.

[5] لسان الدين الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، ط1، القاهرة، 1974م ،ج1، ص107-108.

قادتها الممالك المسيحية الإسبانية ضد الوجود الإسلامي في إسبانيا وحتى في سواحل شمال إفريقيا، والذي تبعته حالة من التدهور والانهيار والضعف في أوضاع المغرب الإسلامي،[1] فعندما ضعفت دولة الموحدين وسقطت فقد المغرب الإسلامي وحدته السياسية وانقسم على نفسه وتكونت به ثلاث دول حاولت كل منها، أن تفرض سيطرتها على كل الإقليم فلم تفلح وهي: الحفصية بالمغرب الأدنى(تونس)، والزيانية[2] بالمغرب الأوسط الجزائر(دولة بني عبد الواد)، المرينية بالمغرب الأقصى(الوطاسية)، ودخلت هذه الدول فيما بينها في صراع حاد ومرير عانى منه بنو زيان أكثر من غيرهم في الوقت الذي بدأ فيه الضغط الأوربي المسيحي يطغى عليها ويهددها.[3]

وساد الدويلات الثلاث التطاحن والشقاق سواء من الخارج أو الداخل، فتونس الحفصية كانت تعاني من خطر الإسبان خاصة من ناحية صقلية ونابولي، وفي المغرب الأقصى كان بنو وطاس في صراع مع السعديين على مدينة فاس، وهكذا فقدت المدينة مجدها وانشغلت بالفوضى الداخلية ونزاع السلالات، وكانت الدولة الزيانية تعاني من ضعف ووهن فكان شيوخ البرابرة في نزاع واقتتال وكل واحد يسعى لإفناء الآخر،[4] غير أن النفوذ الحقيقي لهذه الدول في الواقع لا يتعدى حدود عواصمها والمناطق القريبة المحيط بها، أما باقي الأجزاء فقد استبدت بها عمليا إما كيانات إقطاعية

[1] أحمد ابن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس في عهد الأمان، الدار التونسية والشركة التونسية للنشر والتوزيع، ط2، تونس، 1963م، ج2، ص121.

[2] الدولة الزيانية (1236-1550م) عاصمتها تلمسان مؤسسها هو بن زيان يغموراسن، لقد شهدت هذه الدولة في أواخرها ضعفا مما ساعد على دخول الإسبان في السواحل التابعة لها. (ينظر: يحي بن خلدون أبي زكرياء، بقية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تق وتح وتعليق: عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، 1986م، ج1، ص204.)

[3] يحي بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا1500-1830م، د.م.ج، الجزائر، 1980م، ص10.

[4] يلماز أوزتانا، تاريخ الدولة العثمانية، تر: عدنان محمود، مراجعة: محمد الأنصاري، مؤسسة فيصل للتمويل، ط1، اسطنبول، 1988م، ج2، ص230-232.

واهية تستمد قوتها من العصبية القبلية أو دول مدن على السواحل، فكان من جراء هذا التمزق أن أصبح المغرب الأوسط وحدة تناحر وتصارع.[1]

فكانت ظاهرة الصراع الدائم بين القوى السياسية المنقسمة على نفسها وبين القوى المحلية ذات الطابع القبلي أو الديني، قد عمق ظاهرة الانحطاط والتفكك والفوضى السياسية، هكذا يعطينا المغرب الإسلامي في نهاية القرن الخامس العشر صورة انحطاط سياسي وعسكري وتدهور اقتصادي.[2]

ومن المؤكد أن هذه الأحوال ساهمت بشكل كبير في إضعاف إمارة بني زيان التي عجزت عن مد نفوذها على كل المنطقة، وهكذا ظهرت حركات استقلالية تزعمها مجموعة من الشيوخ والمرابطين، تفاوتت من حيث القوة والانتشار ولعل أقواها كانت إمارة كوكو[3] بجبال جرجرة تلك الإمارة التي سيعتمد عليها الإخوة **باربروس** لتوطيد نفوذهم في المنطقة،[4] وسيطر الشيخ الحفصي على الجهة الواقعة بين عنابة والقل، وسيطر الدواودة على الزاب والحضنة وظهرت دولة في واحات وادي ريد (ريغ)،[5] وإمارة الثعالبة بجزائر بني مزغنة.[6]

---

[1] جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830م، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987م، ص16.

[2] حنيفي هلايلي ، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى، ط1، الجزائر، 2008م، ص123.

[3] بقيادة الشيخ أحمد بن القاضي.

[4] أحمد توفيق المدني، حرب ثلاث مائة سنة بين الجزائر و اسبانيا 1492-1792م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1986م، ص68-69.

[5] شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تر: محمد مزالي والبشير بن سلامة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط3، الجزائر، 1978م، ص322.

[6] يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر-الجزائر الحديثة- ، د.م.ج، ط2، الجزائر، 2009م، ج2، ص8.

فكان لهذا التطاحن والفوضى والانحلال أثر فعال في حفز القوة الأوروبية المسيحية بممارسة العدوان على المدن والموانئ الساحلية لهذه المنطقة الحساسة من الحوض الغربي للمتوسط،[1] وفي مقابل هذا التشتت تقف المملكة الإسبانية قوية بعدما استكملت وحدتها تعززها القوى المعنوية التي منحها إياها الباب أمام العالم المسيحي عندما بارك مشاريعها الصليبية،[2] فرغم الخطر الداهم لم يحاول حكام هذه الدول المتناحرة توحيد جهودهم للوقوف في وجه هذا الخطر، بل لم يحاولوا تحضير أنفسهم لصد عاصفة الحروب الصليبية والذي كان كل شيء ينذر بأن ثقلها سيتحول نحو المغرب الإسلامي، خاصة بعد سقوط الأندلس سنة 898هـ_1492م[3] ومحاولة تصفية الوجود الإسلامي من منطقة شمال إفريقيا في إطار حركة الاسترداد،[4] فالمدن الجزائرية الساحلية كوهران، شرشال، الجزائر، بجاية وغيرها استقبلت هؤلاء المهاجرين كما كانت تستقبلهم مدن أخرى داخلية مثل تلمسان والبليدة.[5]

وهكذا ما إن كاد القرن السادس عشر يطلع حتى كاد الإسبان يحتلون العديد من المراسي والمدن الساحلية، ومن **دوافع هذا الغزو** نجد الدافع الديني وهو يمثل العداوة التقليدية بين الإسلامية والنصرانية، ورغبة من النصارى في نشر المسيحية في ربوع المغرب الإسلامي، والدافع الثاني هو الجانب الاقتصادي ذلك أن شبه جزيرة أيبيريا بعد الاكتشافات الجغرافية، أصبحت في حاجة شديدة إلى

---

[1] عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، د.م.ج، ط7، الجزائر، 1994م، ج3، ص13-14.

[2] جمال قنان، المرجع السابق، ص16.

[3] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص70.

[4] حنيفي هلايلي ، الموريسكيون الأندلسيون في المغرب الأوسط خلال القرن 16 و18م، رسالة ماجستير، جامعة وهران، السنة الجامعية 1999-2000م، ص123.

[5] صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830م، دار هومة، ط2، الجزائر، 2007م، ص19.

أسواق جديدة تتقبل تجارتها، والدافع الثالث هو سياسي ولم يكن أقل خطورة من العاملين السابقين، فبعد انتصارات الأندلس فكر ملوك الإسبان في توسيع ملكهم إلى ما وراء المتوسط.[1]

فاحتلت الإسبان كل من المرسى الكبير سنة 1505م ووهران سنة 1509م وبجاية وطرابلس سنة1510م والجزائر سنة1511م، أما بقية الموانئ الجزائرية وأهمها دلس وشرشال ومستغانم قد قبلت دفع الجزية والتخلي عن نشاط القرصنة.[2]

[1] محمد العربي الزبيري، مدخل إلى تاريخ المغرب العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1985م، ص16.

[2] حنيفي هلايلي ، المورسكيون ...، المرجع السابق، ص124.

2- الهجمة الاسبانية على الجزائر مطلع القرن السادس عشر الميلادي:

قد شجع تفكك المغرب الإسلامي الإسبان للقيام بغزو الموانئ والمدن الساحلية للمغرب الأوسط والسيطرة عليها واحدة بعد الأخرى وفق مشروع استعماري واسع، ممهدين بحركة جوسسة واسعة فكلف الكاردينال "**كزيميناس**" شخصا يدعى "**لور اندودي باديان**" و"**جيرو نيمو فينالي**" بمهمة التجسس في مملكة تلمسان، وبقي ما يقرب من عام لجمع المعلومات ثم شرعت اسبانيا في إعداد خطة الغزو على الشكل التالي:[1]

أ. احتلال المرسى الكبير1505م:

اخترته اسبانيا لأنه قريب من السواحل الاسبانية ويشرف على مدينة وهران ولكونه يحتوي على أحسن المراسي في البحر المتوسط،[2] ونظرا لأهميته سماه الرومان "المرسى الرباني"[3] وذكر **الوزان** أنه يمكن أن ترسو فيه بسهولة مئات المراكب والسفن الحربية في مأمن من كل عاصفة وإعصار،[4] فغادر الأسطول الاسباني مدينة مالقة يوم 29 أوت 1505م، كان يقوده **دون رايموند دي** "Don Rémond" قرطبة، بجيش قوامه خمسة آلاف رجل، فوصل الأسطول يوم 11 سبتمبر بعد أن اعترضته رياح كانت لصالح الإسبان، فتأخر وصول الأسطول بحيث ظنوا المجاهدين أن العدو عدل عن الهجوم فتفرقوا، فلم تكن الحامية الصغيرة المتبقية تستطيع صد الجند عن النزول إلى البر رغم المقاومة العنيفة القاسية التي قام بها رجال تلك الحامية، فاستمرت هذه المعركة الغير المتكافئة ثلاثة أيام

---

[1] يحي بوعزيز، الموجز...، المرجع السابق، ص252.

[2] عبد القادر فكاير، الغزو الاسباني للسواحل الجزائرية وآثاره 910-1206هـ/1505-1792م دراسة تتناول الآثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية على الجزائر، دار هومه، الجزائر، ص52.

[3] غطاس عائشة وآخرون، الدولة الجزائرية الحديث ومؤسساتها، المركز الوطني للدراسات، الجزائر، 2007م، ص15.

[4] الحسن بن محمد الوزان الفاسي (ليون الإفريقي)، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1983م، ج2، ص31.

متواصلة فاحتل الإسبان القلعة وتحصنوا فيها،[1] وتم اتخاذها موقعا تنطلق منه قواتهم لتوسيع نطاق الاحتلال في المناطق المجاورة وخاصة مدينة وهران التي كانت هدفهم الموالي.

ب.احتلال وهران 1509م:

لقد أغرى موقع مدينة وهران وجمالها وأسال لعاب القادة الإسبان وخاصة الكاردينال **خيمسنيس** فبناءا على التقرير التجسسي الذي تلقاه من "**فيانيلي**" الذي اعتبرها من أشهر مدن بلاد المغرب لغناها بالأسواق والتجارة،[2] فأعدوا حملة ضخمة خرجت من قرطاجنة باسبانيا يوم 16 ماي 1509م بقيادة الكاردينال نفسه، ووصلت إلى وهران يوم 19 من نفس الشهر وفرضت عليها الحصار واستولت عليها بفضل خيانة بعض ضعفاء الذمة والسماسرة اليهود كذلك،[3] وفعلوا فيها ما فعلوه بالمرسى الكبير من تقتيل وتخريب وهتك للأعراض، وبعد هذا النجاح عين الإسبان أحد قراصنتهم وهو **بيدو نافارو**[4] Pedro Navarro حاكما عاما عليها وعلى المرسى الكبير،[5] فتمكن الإسبان من احتلال نقطة أساسية في بلاد المغرب الأوسط وثبتوا فيها رغم كل المحاولات الإسلامية مدى قرنين إلى سنة 1792م.[6]

---

[1] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص97

[2] عبد القادر فكاير، المرجع السابق، ص53.

[3] يذكر الآغا بن عودة أن يهودي هو: زواي بن كبيسة المعروف بابن زهو. (للمزيد أنظر: آغا بن عودة المزاري ، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تح ودراسة: يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1990م، ج1، ص28.

[4] ولد بيدرو نافارو بمدينة بسكاي جلبه فرديناند ورقاه إلى رتبة النبلاء واستعمله لاحتلال الشواطئ المغربية، انتقل إلى خدمة الملك الفرنسي فرونسوا الأول منذ سنة 1515م. (أنظر: صالح حيمر، التحالف الأوروبي ضد الجزائر 1541م، رسالة ماجستير ، جامعة باتنة، السنة الجامعية 2006-2007م، ص28.)

[5] يحي بوعزيز، الموجز...، المرجع السابق، ص9.

[6] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص112.

كان احتلال وهران ضربة كبيرة لمملكة بني زيان فقد خسرت نتيجة له مدينة تجارية هامة وتمكن الإسبان من استمالة بعض القبائل المجاورة للمدينة مثل قبيلة بني عامر الكبيرة التي انحازت إلى جانبهم وظلت كذلك إلى غاية سقوط سلطتهم في القرن 18م،[1] وكان من نتائج هذه الحملة الرعب الذي أدخله في النفوس، وأن ذلت دولة بني زيان فاعترف **أبو حمو الثالث** بنوع من التبعية لإسبانيا وتعهد بأن يدفع لها سنويا جزية مقدارها اثنا عشر ألف دوقة واثنا عشر فرسان وستة من طيور الباز الجارحة،[2] فكانت اسبانيا تسير في معركتها حسب خطة مرسومة مدققة فما عادت تثبت أقدامها بالناحية الغربية، حتى وجهت أنظارها إلى الناحية الشرقية فأخذت تستعد بحرارة لإنزال الضربة القاضية بمدينة بجاية.[3]

ج. احتلال بجاية 1510م:

كانت تخضع لأمير حفصي تابع لإمارة قسنطينة الحفصية يدعى **عبد الرحمان**، وينافسه في الحكم أخوه **عبد الله**،[4]فشن عليها الإسبان حملة كبيرة يوم 5 يناير 1510م واحتلوها بعد أن فتكوا بأهلها وخربوا الكثير من آثارها ومعالمها التاريخية الإسلامية،[5] تذكر بعض الروايات ومن بينها **الوزان** أن الإسبان احتلوا المدينة يوم 5جانفي دون مقاومة تذكر من سكانها بعد ما فروا سكانها جميعا إلى الجبال وعلى رأسهم الملك،[6] واحتلوا في نفس العام عنابة، وطرابلس الغرب، ولكنهم فشلوا في احتلال جزيرة جربة، وقرطاج التونسية، وكانت الدولة الحفصية بتونس مقربة من الإسبان بعد

---

[1] صالح عباد، المرجع السابق، ص30.

[2] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص113.

[3] نفسه، ص119.

[4] C.X.De Sandoval," Les inscriptions d'oran et mers , El –kebir"_,R.A, N:15, 1871, P178.

[5] يحي بوعزيز، الموجز...، المرجع السابق، ص9.

[6] الحسن بن محمد الوزان الفاسي ، المصدر السابق، ص135-136.

احتلالهم لبجاية وأعلن السلطان الحفصي أبو عبد الله قبوله لدفع أتاوات مالية لهم كعنوان للخضوع والاستسلام.[1]

د. مدينة الجزائر:

بعد احتلال الإسبان أهم المدن الساحلية لبلاد المغرب الأوسط كوهران وبجاية، سارعت المدن الساحلية الأخرى إلى طلب الصلح وإعلان الطاعة والخضوع للقوات الاسبانية بسبب عنف الهجمات الاسبانية والمعاملة القاسية للأهالي فأحدثت موجة من الرعب والخوف،[2] كما استعملت الأساليب الاستعمارية للتدخل والظفر بمناطق جديدة ومنع حدوث أي تكتل أو تحالف ضد تواجدها، وذلك بمناصرة قبائل ضد أخرى وحاكم ضد أخر،[3] فشعر سكان مدينة الجزائر بالخطر وتوجسوا من أن يهاجمهم الإسبان بين الحين والأخر،[4] فأوفدوا سفراء إلى بجاية لطلب الصلح[5] من الأميرال **بيدو نفارو** فأشار إليهم بالانتقال إلى اسبانيا ليعقدوا صلحا مع الملك الكاثوليكي،[6] فذهب فذهب حاكم مدينة الجزائر شخصيا لإعلان خضوعه وطاعته لملك اسبانيا برفقة مولاي "**عبد**

[1] يحي بوعزيز، الموجز...، المرجع السابق، ص9.

[2] Molay Belhamissi, Histoire de mostaganem des origines a nos jour Alger, SNED, Alger, 1982, p60.

[3] عبد القادر المشرفي الجزائري، بهجة الناظر في أخبار الداخلية تحت ولاية الاسبانيين بوهران من بني الأعراب كبني عامر، تح: محمد بن عبد الكريم، بيروت، 1972م، ص18-26.

[4] ستيفن ولسن جيم، الأسرى الأمريكان في الجزائر (1795-1785م)، تر: علي تابليت، منشورات ثالة، الجزائر، 2008م، ص14.

[5] عقد معهم المعاهدة في 13 يناير 1510م. (أنظر: عزيز سامح ألتر، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة: محمد علي عامر، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، 1989م، ص68.) هناك خلط حول تاريخ عقد المعاهدة الأولى بين الجزائر واسبانيا فحسب عبد الرحمان الجيلالي أن الأولى تمت في بجاية 1510م و المصادقة عليها في إسبانيا سنة 1511م.

[6] عزيز سامح ألتر، المرجع السابق، ص66.

الله" حاكم مدينة تنس والذي أعلن بدوره خضوعه وطاعته وكانوا محملين بالهدايا الثمينة ومعهم 130 من العبيد المسيحيين وذلك سنة 1511م.

فسار الوفد الجزائري إلى اسبانيا لتفاوض فاتفق الجانبان على أن يسلم الجزائريون أكبر جزرهم الصخرية التي يدعوها البكري (اسطفلة) للإسبان لكي يقيموا عليها معقلا يحرس تجارتهم ويضمن حرية مواصلتهم البحرية ويجعل مدينة الجزائر نفسها تحت رحمة مدافعهم، كما عقدوا صلحا لمدة عشر سنوات على أن يؤذوا جزية سنوية، فبنت الإسبان حصن البينيون الذي يبعد عن مدينة الجزائر ب300 متر فقط والذي بني على أنقاض منارة بناها الأندلسيون نهاية القرن 15م،[1] وأصبحت تدعى صخرة الجزائر أو البينيون (Pennon)[2] وذلك لبسط نفوذهم في البحر المتوسط وجعل مدينة الجزائر تحت وطأة المدافع الاسبانية المنصوبة في هذه القلعة، بغية التضييق عليها وتفتيش الصادرات والواردات من ميناءها وقطع الصلات بين الجزائريين وغيرهم،[3] فصارت القلعة شوكة في حلق مدينة الجزائر يهدد أمنها واستقرارها.[4]

وعلى هذا استطاع الإسبان إخضاع مستغانم ومزغران بالناحية الغربية قرب وهران فشعر سكانها بالخطر وقدموا عام 1511م فروض الطاعة والولاء للإسبان بوهران، وبذلك أحكم الإسبان

---

[1] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص127.

[2] هو حصن الصخرة العالية المعبرة عنه باللغة الاسبانية Pennon ، وهو برج صغير يستعمل كفنار أو برج مراقبة للسفن ثم حوله الإسبان إلى قلعة حصينة عام 1510م. (أنظر: مجهول، سيرة المجاهد خير الدين، تح: عبد الله حمادي، دار القصبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ص82.)

[3] نور الدين عبد القادر، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1965م، ص53.

[4] صالح حيمر، المرجع السابق، ص20.

قبضتهم على سواحل الجزائر الشرقية والغربية كما أخضعوا إمارة بني زيان بتلمسان وصاروا يتلاعبون بأمرائها ومستقبلها.[1]

وبهذا تقوى دور الإسبان في أواخر القرن الخامس عشر ميلادي ومطلع القرن السادس عشر ميلادي، في السطو والاعتداء على سواحل المغرب الأوسط وتونس والمغرب، والعرب في غنى عن المقاومة الشرعية ضد المهاجمين الإسبان لانشغالهم في حروبهم وانقسامهم حتى ضاع نفوذ الدولة الحفصية في البلاد،[2] وفي نفس الوقت الذي بدأ فيه الاسبان في إنشاء المراكز على سواحل شمال إفريقيا، ظهرت جماعة من المغامرين[3] في منطقة غرب البحر المتوسط، فقادوا معارك طاحنة ضد الإسبان وانتصروا عليهم،[4] مما أدى إلى تغيير في الأوضاع وأعاد النظر في موازين القوى التي كانت لحد تلك اللحظة لصالح الإسبان، فتمكن الإخوة **بربروس** من وضع حد لتوسعات الاسبانية في المغرب الأوسط،[5] فشهدت منطقة المغرب الإسلامي بظهورهم تطورات متصارعة تمخض عنها ميلاد الدولة الجزائرية الأولى والتي أصبحت فيما بعد القوى المهيمنة على البحر الأبيض المتوسط.[6]

---

[1] يحي بوعزيز، الموجز...، المرجع السابق، ص10

[2] محمود السيد، تاريخ دولة المغرب العربي ليبيا- تونس- الجزائر- المغرب- موريتانيا، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ص162.

[3] جون ب وولف، الجزائر وأوروبا 1500-1830م، تر وتعليق: أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، ص27.

[4] Ernest Mercier, Histoire de l'Afriques septentrional (Berberie), Ernest leroux Editeur, Paris, 1891, 3vol, p60.

[5] محمد بوشنافي، "مساهمة عروج بن يعقوب في مواجهة الخطر الاسباني على المغرب الأوسط 1512-1518م"، مجلة عصور، العدد4-5، ديسمبر 2003/جوان2004م، الجزائر، ص269.

[6] Diego de Haedo, Histoire des rois d'Alger, traduit de l'espagnol par : Grammont H.D, Editions grand –Alger- livres, Alger, 2004, p14.

3- الإمبراطورية العثمانية:

وفي غضون هذه الأوضاع السياسية التي حدثت للمغرب الأوسط من جراء محنة الأندلس والتحرش الاسباني به، ظهر نجم الدولة العثمانية في الأفق واتسعت حدودها لتشمل كامل بلاد البلقان والجنوب الغربي من أوروبا[1] فكانت الإمبراطورية العثمانية في أوج توسعها في منطقة المشرق فبعد قتالها التي خرجت منه منتصرة على الإمبراطورية الرومانية في الشرق، وسقوط استانبول سنة 1453م كان الجيش التركي ينتقل من نجاح إلى نجاح، فانتصر على الفرس في معركة تشالديران سنة 1514،[2] وانتصر على المماليك في سوريا (الشام ومصر) سنة 1517م[3] بحيث ضمن السلطان حماية الأماكن المقدسة في المنطقة العربية كما ضمن أيضا طريق الذهب في السودان، وفي شهر أوت 1517م تسلم السلطان مفتاح الكعبة المشرفة من **ابن شيخ مكة**، وهكذا فقد أصبح سلطان استانبول هو الملك الذي اختاره الله لحماية العالم الإسلامي وليس فقط رئيسا لدولة ذات حدود معينة.[4]

[1] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص156.

[2] تشالديران أو جالديران في 23 أوت 1514م هزمت فيها دولة الصفويين التي كان يقودها الشاه إسماعيل الصفوي (للمزيد أنظر: رونالد ولبر، إيران ماضيها وحاضرها، تر: عبد النعيم ومحمد حسين، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1985م.)

[3] تسمى موقعة الريدانية وقعت في الحدود المصرية في 29 ذو الحجة 922هـ/24 أوت 1516م، فانتصر السلطان العثماني سليم الأول على السلطان طومان باي آخر سلاطين دولة المماليك فاحتل القاهرة. (للمزيد أنظر: عبد العزيز سليمان، الشعوب الإسلامية، دار النهضة العربية، بيروت، 1973م.)

[4] أندري كلوت، سليمان العظيم القانوني، تر: بشير بن سلامة، دار الجيل، بيروت،1991م، ص112.

وكان سلطان آل عثمان في هذه الفترة يقال له **سليم خان**[1] حيث يقول **علي بن محمد الأندلسي** عنه:" كان كاسر سلطان العجم وفاتح إقليم مصر وسائر ممالك العرب أولي الشمم، جلس على تحت سلطنة، ولم تطال أيامه بها لكثرة سفكه للدماء إذ جرت عادة الله سبحانه وتعالى بذلك في كل من يتعود سفك الدماء، وتولى بعده **سليمان** الابن البكر، مكث في السلطنة تسع وأربعين سنة، وله فتوحات كثيرة منها فتح رودس وقد أنزل أهلها الأمان، وفتح الأنكرس وقلاع كاتورا وبودن وأيلوق وراجة وبرقاص وحاصر قلعة بتاق وبيح، كما فتح العراق وقولونية عام 1537م، وفيها وصلت الدولة أعز وأكبر قوتها وأيامها من **سليم** إلى **سليمان،**[2] ابنه المعروف بالقانوني وكان على جانب كبير من الثقافة والعقل، وفي عهده عزم على توحيد بلاد المغرب وضمها إلى الخلافة الإسلامية فوجه أوامره إلى الإخوة **بربروسة** لتوجه لحماية إخوانهم في شمال إفريقيا وتلبية نداء الجهاد".[3]

فكان المغرب الأوسط (الجزائر) عبارة عن مستنقع سياسي وهو الذي سيصبح الإيالة التي تحكمها جماعة البحارة الأتراك العثمانيين، وستصبح عاصمتها مدينة الجزائر ولكن هذا لم يحدث بدون صراع القوتين الصاعدتين في القرن السادس العشر في طرفي البحر الأبيض المتوسط ونعني بهما المملكة الاسبانية والدولة العثمانية،[4] فأصبحت الجزائر تابعة لدولة العثمانية فما هي **الظروف الداخلية والخارجية لهذا الارتباط وماذا نتج عنه؟**

---

[1] السلطان الغازي سليم الأول: ولد في أكتوبر 1470م وما ت في 22 سبتمبر 1520م، وهو ابن السلطان بايزيد الثاني بن السلطان محمد الفاتح وتاسع سلاطين الدولة العثمانية، يعرف لدى الغرب والبعض ب Selim Grim أي سليم العابس ويلقب كذلك ب "ياوز" وتعني باللغة التركية الشجاع، وحكم ثمانية سنوات بدءا من عام 1512م حتى وفاته، تميز عهده بالفتوحات التي تحولت في أيامه من الغرب الأوربي إلى الشرق العربي والبحر الأبيض المتوسط. (للمزيد أنظر: محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تح: إحسان حقي، دار النفائس، ط1، بيروت، 1971م.)

[2] علي بن محمد الأندلسي، الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تح: محمد حبيب العميلة، دار الكتاب الشرقية، تونس، ج2، 1973م، ص 85-86.

[3] لانجر وليام ، موسوعة تاريخ العالم، تر: محمد مصطفى زيادة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ج4، 25.

[4] جون ب وولف، المرجع السابق، ص23-24.

4- الظروف الداخلية والخارجية لارتباط الجزائر بالدولة العثمانية:

أ- الظروف الداخلية:

- **التفكك الداخلي**: الضعف والانحطاط والانقسام السياسي الذي مس دول المغرب العربي فأصبحت القبائل والأمراء وزعماء الطرق الدينية يتمتعون بالاستقلالية كما كانت بعض المدن والقوى تشكل وحدات دول مستقلة، وخاصة الساحلية منها مثل وهران وتنس وشرشال والجزائر ودلس وبجاية والقل وتأسست ببعض المناطق الجبلية إمارات،[1] فكانت دولة بن زيان تسيطر نظريا على القسم الغربي من الجزائر فكانت عرضة للغزوات من بني مرين في المغرب الأقصى وبني حفص في تونس.[2]

- إضافة إلى هذا الصراع كان هناك صراع داخلي في الأسرة الحاكمة، فقد كان قادة الزيانيين يتصارعون فيما بينهم على السلطة ويكيدون لبعضهم البعض، ثم أنه بعض القادة المحليين أصبحوا يتحالفون مع الإسبان ضد الدولة الزيانية،[3] وبذلك قد كانت الجزائر مسرحا لهذه الصراعات إضافة إلى الانفصال العديد من القبائل التي رفضت الخضوع لأية سلطة، وبالتالي وضعية التفكك السياسي التي عرفها المغرب الأوسط في أواخر القرن السادس العشر والتي وصفها البعض من المؤرخين "بالفسيفساء الإقطاعية".[4]

---

[1] عبد القادر فكاير، المرجع السابق، ص44.

[2] صالح عباد، المرجع السابق، ص8.

[3] عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر منذ البداية وإلى غاية 1962م، دار الغرب الإسلامي ، ط1، بيروت، 1997م، ص46.

[4] عبد الرحمان محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص13.

فأدت هذه الأوضاع إلى التدخل الأجنبي خاصة البرتغالي والاسباني وأصبحت سواحل المغرب العربي معرضة للغزو مع بداية القرن السادس العشر، وفي هذه الأوضاع جاء الأخوين "**بابا عروج وخير الدين برباروس**" إلى سواحل البحر المغرب العربي فشاركوا في الجهاد وكانوا لهم إخوة في الدين الإسلامي ومنقذوهم من هذا العدو.[1]

- إضافة إلى أن المغرب العربي شهد هجرات الأندلسيين نتيجة سقوط غرناطة 1492م أخر معقل الإسلام، فساعد بقاء الأتراك انضمام المورسكيون إليهم للجهاد،[2] فاعتبروا هؤلاء قوى بحرية جديدة في الفضاء الجغراسياسي للبحر الأبيض المتوسط الغربي في بداية القرن السادس العشر، وهو الذي مكنهم من مجابهة ومحاربة اسبانيا ومد يد المساعدة للموريسكيين داخل التراب الأندلسي،[3] فكان ظهور الأخوين نتيجة هذه الأوضاع التي شهدها المغرب العربي من الضعف والتراجع.

وبذلك بدأ توسع الإخوة **بربروسة** بالمغرب فكان لهم دور فعال في إنقاذ المغرب من الاحتلال الاسباني واقع لا محالة، ولتحقيق أهدافه العسكرية كون **عروج** أول الفرق العسكرية في المناطق المفتوحة تسمى "النوبة" وحاول التحالف مع قبائل المناطق المجاورة.[4] وبعد شهرة **عروج** ذهب إلى بجاية بطلب من أهلها، فدخل في معركة مع الإسبان فقد ذراعه مما أذى به إلى الرجوع إلى أنه تمكن من دخول جيجل ثم بجاية.[5]

[1] عزيز سامح ألتر، المرجع السابق، ص18.

[2] نفسه، ص43-45.

[3] حنيفي هلايلي ، الموريسكيون...، المرجع السابق، ص125.

[4] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص195-196.

[5] عزيز سامح ألتر، المرجع السابق، ص43-45.

فكان أول انتصار حققه بابا **عروج** تحرير مدينة الجزائر من الحكم الإسباني فساعده هذا النجاح في تأسيس حكومة عسكرية تحت قيادته، فاتخذ مدينة دلس مقرا لإقامته وعاصمة للشرق وتمكن من فتح تلمسان فقضى على نزاع الملك بها بعد استنجاد أهلها، وتعزز نفوذ خير الدين وقوي موقفه في الحرب ضد الإسبان من جهة ومحاولات القوى السابقة استعاذة نفوذها من جهة أخر.[1]

وبالتالي هذه الظروف الداخلية التي سمحت بتواجد العثماني بالجزائر والارتباط بالباب العالي سنة 925هـ-1519م.

ب- الظروف الخارجية:

أما بالنسبة للظروف الخارجية التي كانت تمر بها الجزائر تتمثل في مايلي:

- إضافة إلى التنافس الدولي الأوروبي فرنسا وألمانيا وكذلك التنافس الهولندي الفرنسي الانجليزي والتنافس الإسباني العثماني من أجل الفوز بالسيادة على الحوض الغربي للبحر المتوسط، تميزت الظروف الدولية بتزايد قوة الدول الأوروبية وباختلال التوازن لصالح العالم المسيحي، فبعد مرحلة التفوق الحضاري الإسلامي التي انتهت في القرن الحادي العشر، عرفت أوروبا تطورا اقتصاديا متصارعا ونهضة علمية متطورة في الوقت الذي بدأ فيه العالم الإسلامي بالضعف فكانت الجزائر تعيش ركودا اقتصاديا وجمودا فكريا وانكماشا ديموغرافيا.[2]

---

[1] محمد سهيل طقوش، تاريخ العثماني من قيام الدولة إلى انقلاب على الخلافة، دار النفائس، ط2، بيروت، 2008م، ص218-219.

[2] ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 2000م، ص182-191.

- في بداية القرن السادس العشر كان يسود المغرب وبالأخص الجزائر الفوضى السياسية، وكانت البلاد غير محصنة وهذا ما شجع ملك إسبانيا **فرديناند الكاثوليك**[1] FERDINAD DE CATHOLIQUE على تحقيق أطماعه بغزوها، وقد احتل الإسبانيين عددا كبيرا من مراكز السواحل المغربية وذلك لمحاربة الإسلام،[2] ويترجم هذا الإصرار في تنفيذ وصية تركتها الملكة **ايزابيلا** لابنتها وزوجها ب:"...إطاعة وصايا أمنا المقدسة الكنيسة.. وأن يكونا–ابنتها وزوجها– حماتها والمدافعين عنها ...ألاّ يكفا عن متابعة غزو افريقية...".[3]

فبعد سقوط غرناطة 1492م أخر معقل للمسلمين في الأندلس، اضطر المسلمون إلى مغادرتها فارين من الاضطهاد الإسباني وقد استقرت مجموعة كبيرة من هؤلاء الأندلسيين في بلدان شمال إفريقيا، ومنذ ذلك الحين بدأ الإسبانيين يفكرون في احتلال السواحل المغربية خشية عودة المسلمين إلى الأندلس، وقد شجعهم على ذلك ضعف البلدان المغربية التي كانت تفتقر إلى الوحدة السياسية والقيادة الحكيمة والتنظيم الشامل.[4]

فكان لتعصب الديني والرغبة في نشر المسيحية وكذلك الرغبة في زحزحة حدود الإسلام يدفع الإسبان منذ أواخر القرن 15م وطوال القرن 16م إلى التدخل في البلاد الإسلامية بشمال إفريقيا

---

[1] فرديناند (1452–1516م): كان حاكما لمملكة أرغون اشتهر بتعصبه الديني وتزوج بايزابيلا ملكة قشتالة عام 1469م وبزوجهما توحدت إسبانيا.

[2] عبد الجليل التميمي، "أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519م"، المجلة التاريخية المغربية، العدد6، ، 1976م، تونس، ص116.

[3] محمد الطيب عقاب، الأخوان عروج وخير الدين، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر،1985م، ص67.

[4] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 126-127.

فخرجت القوات الاسبانية لاحتلال مختلف الموانئ الجزائرية والتونسية والليبية، وكذلك فعلت البرتغال بالشواطئ المغربية.[1]

- احتدم الصراع بين الأسبان والبرتغال من أجل احتلال المغرب الإسلامي فتدخل البابا الذي أنهى النزاع باقتسام النفوذ في العالم وفق معاهدة –تور سيلاس- سنة 1494م، وأعقب ذلك اتفاق اقتسام المغرب العربي الإسلامي وفقا لمعاهدة –فيلا فرنكا- 1509م والتي نصت على منح المغرب الأقصى للبرتغال مقابل حصول اسبانيا على المغرب الأوسط،[2] ومع بداية القرن السادس عشر كانت دولة البرتغال تملك مدن سبتة وطنجة وأصيلا وأزمور والصويرة واسفي مع كامل مقاطعة دكالة، وملك الإسبان صخرة باديس فاليس ومليلة وانطلقوا لتطوير الحرب ضد الجزائر.[3]

- وفي هذه الظروف ظهرت الدول العثمانية التي حاولت في البداية توحيد المسلمين ومنع الدول الغربية (المسيحية) من بسط نفوذها على العالم الإسلامي، وبذلك كسبوا ثقة العرب خاصة بعد أن تمكن من القضاء على الدول البيزنطية وبذلك اعتبروا في نظر الدول العربية بمثابة أبطال.[4]

كل هذه الظروف الداخلية والخارجية التي حاولنا عرضها تظهر جليا في الوثيقة التركية التي قام "**عبد الجليل التميمي**" بتعريفها فهي عبارة عن أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان **سليم الأول (1512–1520م)** المؤرخة في أوائل شهر ذي القعدة عام 925هـ، فكان الغرض من

---

[1] حنيفي هلايلي ، المورسكيون...، المرجع السابق، ص123-124.

[2] بسام العسلي، خير الدين بربروس، دار النفائس، ط1، بيروت، 1983م، ص58.

[3] نفسه ص58-59.

[4] عزيز سامح ألتر، المرجع السابق، ص51.

تلك الرسالة ربط الجزائر بالدولة العثمانية وجاء فيها أن خير الدين كان شديد الرغبة في أن يذهب بنفسه إلى اسطنبول ليعرض على السلطان سليم الأول شخصيا أبعاد قضية الجزائر، إلا أن زعماء مدينة الجزائر توسلوا إليه بالبقاء، وهي تفيض بالولاء العميق للدولة العثمانية وكان يتزعم السفارة الفقيه "**أبو العباس ابن القاضي**" فصور له أوضاع بلاده والأخطار التي تحيط بها من كل جانب، وبالتالي فهو شاهد عيان حول وضعية الجزائر سنة 1519م وبذلك أرسل "**السلطان سليم**" قوة من سلاح المدفعية وألفين من جنود الانكشارية.[1]

ومن هذا المشهد السياسي للمغرب العربي نستخلص العناصر التالية:

- ليس هناك دولة مركزية موحدة قوية ومعترف بها بالمغرب العربي.
- غياب شبه كلي للدفاع عن السواحل التي أصبحت مفتوحة لكل المغامرين وتحقيق المشاريع التوسعية.
- إن عثمنة المغرب العربي خلال النصف الأول من القرن السادس العشر، قد وردت مبدئيا في إطار مبادرات شخصية فوصول الأخوين بربروسة إلى السواحل الإفريقية كان وراء عثمنة الفضاءات المغاربية بدءا بالجزائر ثم طرابلس الغرب وأخيرا تونس.[2]

وبالتالي يرجع الفضل في انقاد شمال إفريقيا من الاستعمار الاسباني إلى الأخوين **عروج وخير الدين** المدعمين من قبل الدولة العثمانية الذي تحول إلى ارتباط رسمي معها، فكانت الظروف السابقة الذكر توحي بأن بلاد المغرب الأوسط ستخضع لحكم إسباني مباشر دون عناء كبير، إلا أن ظهور

[1] عيسى الحسن، تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانية، الأهلية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1991م، ص512-513.

[2] حنيفي هلايلي ، المورسكيون...، المرجع السابق، ص125-126.

جماعة من البحارة الأتراك العثمانيين في منطقة غرب البحر المتوسط، أدى إلى تغيير في الأوضاع وأعاد النظر في موازين القوى التي كانت إلى حد تلك اللحظة لصالح الإسبان وفي النهاية لم ينجح المشروع الإسباني نتيجة تدخل الإخوة **بربروس**.

فنتج تواجد الإخوة بربروس بالمغرب الأوسط مايلي:

- تحول خير الدين من مجرد أمير بحر إلى رئيس دولة مرتبطة بالدولة العثمانية ومتحالفة معها ضد الأسبان، فاستطاع خير الدين أن يؤثر في مجرى أمور شمال إفريقيا ويوحد هذه البلدان.[1]
- أصبحت الجزائر رسميا تحت السيادة العثمانية اعتبارا من عام 1519م،[2] ودعي للسلطان على المنابر وصك النقود باسمه، وإن إقليم الجزائر كان أول إقليم من أقاليم شمال إفريقيا دخل تحت السيادة العثمانية فأصبحت الجزائر ركيزة لحركة جهاد الدول العثمانية في البحر المتوسط، وكانت حريصة على امتداد نفوذها بعد ذلك إلى كل أقاليم شمال الإفريقي لتوحيده تحت راية الإسلام والعمل على تخليص مسلمي الأندلس من الأعمال الوحشية التي كان يقوم بها الإسبان.[3]

[1] عزيز سامح ألتر، المرجع السابق، ص72-74.

[2] اختلف المؤرخون حول بداية التحالف بين العثمانيين والأخوين عروج وخير الدين فتذكر بعض المراجع أن السلطان سليم الأول كان وراء إرسالهما إلى الشمال الإفريقي تلبية لطلب المساعدة من سكانها ويرجع البعض الأخر إلى التحالف سنة 1514م في أعقاب فتح عروج وخير الدين لميناء جيجل، حيث أرسل السلطان مجموعات النفائس التي استوليا عليها بعد الفتح فرد لهما السلطان لهم الهدية بإرسال 14 سفينة حربية مجهزة بالعتاد والجنود، أما البعض الأخر يرجعه في أعقاب وفاة عروج سنة 1518م وبعد عودة السلطان العثماني من مصر إلى اسطنبول 1591م، غير أن الرأي الأكثر ترجيحا أن الاتصال بالعثمانيين كان سابقا لوفاة عروج وقبل فتح العثمانيين لشام ومصر لأن الأخوين كانوا في أمس الحاجة لهذا الدعم.

[3] عيسى الحسن، المرجع السابق، ص514.

فبعد الانتصارات التي حققها خير الدين على الأسبان وتكوينه لقوة عسكرية جديدة أخذت الطمأنينة تدب في أوساط الجزائريين الأمر الذي أكسبه ثقة سكان مدينة الجزائر،[1] وهي فترة اكتمل فيها كيان الشعب الجزائري وعرفت فيها البلاد الجزائرية مقومات الدولة الخاصة، بعد أن ظللت هوية الجزائرية أنداك مجهولة مع التأكيد الروابط الوثيقة مع البلدان العربية والبقاء ضمن الوحدة الحضارية والفكرية للإمبراطورية العثمانية الشاسعة.[2]

من خلال هذا نستنتج:

في ظل الظروف الداخلية والخارجية الصعبة التي كانت تمر بها الجزائر في بداية القرن السادس العشر بسبب تفاقم الخطر الأوروبي خاصة الاسباني على سواحلها، التي كانت تقوم بعمليات انتقامية ضد سكان المدن الساحلية التي استقبلت الموروسكيين، إضافة إلى حالة الفوضى والانحطاط والتشتت الذي كان يعاني منها المغرب الأوسط، كل هذه العوامل الأساسية دفعت بالجزائر أن يستنجدوا بالأخوين **عروج وخير الدين** لإنقاذهم، فظهروا كمنقذين لأهالي المنطقة عامة، ومن هنا بدء التدخل الرسمي لدولة العثمانية في شمال إفريقيا عامة والجزائر بالخصوص، لتدخل المنطقة ككل مرحلة جديدة في تاريخها وتكون بذلك أولى بداية للعلاقات الجزائرية العثمانية.

فاصطدمت الدولة العثمانية (الإخوة بربروس) في البحر المتوسط بالقوى المسحية المتمثلة في إسبانيا والبرتغال، وعرفت الحروب البحرية بالجهاد البحري ضد القوى الصليبية التي لاحقت مسلمي الأندلس فاحتلت السواحل الشمالية في إفريقيا، فإن الارتباط قد حافظ على قيم الجزائر الحضارية وتراثها ومقوماتها الإسلامية العربية التي دعمت جذورها ورسخت دعائمها أثناء الوجود العثماني بعد أن اتضحت معالمها في الفترة الإسلامية السابقة.

[1] عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص45.

[2] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص3.

الفصل الأول:

الجزائر إيالة عثمانية

في ظل الظروف السياسية المهترئة والمواقف الاستسلامية لمدن المغرب الأوسط، إضافة إلى محنة مسلمي الأندلس التي جعلت ذوي الضمائر الحية يعملون بكل الوسائل الممكنة للتخفيف من أثار هذه النكبة ومساعدة إخوانهم، ظهر جيل من الثائرين جعلوا من أنفسهم فداء للدفاع عن الإسلام رغم قلة العدد وضعف العدة ومن بين هؤلاء الإخوة بربروس،[1] "**عروج**[2] و**خير الدين**".

فكان لها الدور الفعال في إنقاذ هذه البلاد الإسلامية من كيد الحركة الاستعمارية التوسعية، بالتصدي للحملات الصليبية بالمنطقة، فكانت أعمالهم في بادئ الأمر غير مرتبطة بأوامر سلطانية أو تمثيل رسمي للدولة العثمانية، بل كل ما يمكن قوله أن حضورهم كان بدافع الانتقام أحيانا وبالقرصنة[3] (الجهاد) أو التجارة في الغالب.

[1] بربروس: كلمة فرنسية معناها Barberousse، أطلقها الأوربيون على عروج وخير الدين، لأن لحية عروج كانت حمراء مائلة إلى الصفرة، وفيما بعد عرف خير الدين باسم بربروسا، وكان أصدقاء عروج ينادونه بابا عروج احتراما له. (أنظر: عزيز سامح ألتر، المرجع السابق، ص41.)

[2] عُرّوج: أو أوروج أصلها عربية صميمة وهي لفظ معناه الارتفاع والصعود، وهو مأخوذ من حادثة الإسراء والمعراج التي يرجح أنه ولد ليلتها، فالترك ينطقونه أوروج والعرب ينطقونها عروج. (أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص160).

[3] أخذت القرصنة عند الإخوة بربروسا طابعا إنسانيا قائم على الجهاد البحري ضد الصلبين لإنقاذ إخوانهم المسلمين الأندلسيين الفارين من الاضطهاد الإسباني، ويميز الدكتور بلحميسي بين نوعين من القرصان فيقول:" القرصان (Le pirate) يسعى في البحار لحسابه الخاص، فهو ليس سوى لص مسلح، أما البحار القرصان (Le corsaire) فهو مقاتل نظامي قناص في البحر يهاجم أعداء أمته ليحصل منها على نصيب معلوم من الغنائم، وعلى سفينته علم أو راية بلاده" وفي هذا يقول كذلك جون وولف: " القرصان هو شخص حرفي النهب لا يعترف بأي سلطة ، فيهاجم دون تمييز سفن أي دولة وكان هدفه الوحيد هو النهب، لكن رياس البحر كانوا أشخاص موكلين من غيرهم للقيام بهذه المهمة ولم يشنوا حربا إلا على أعداء أميرهم..."
للمزيد أنظر:
Moulay belhamisi, Histoire de marine Algérienne (1516-1830), ENAL, Alger, 1983, P144.
و جون ب وولف، المرجع السابق، ص179.

لكن الأوضاع سرعان ما تغيرت وأخذت منحنى أخر بدأت أطورها بظهور إيالة الجزائر العثمانية، من خلال ربط علاقات سياسية وعسكرية بين الجزائر والدولة العثمانية، ففي هذا الفصل سنتطرق إلى ظهور الإخوة بربروس بالجزائر واستنجاد سكان مدينة الجزائر بالإخوة بربروسا ثم إلحاق الجزائر الرسمي بالباب العالي.

المبحث الأول: ظهور الإخوة بربروس بالجزائر

في أوائل القرن السادس عشر ميلادي ازدادت عمليات القرصنة الأوروبية في عرض البحر الأبيض المتوسط وذلك لضرب المسلمين في عقر دارهم، حيث ارتبط هذا الوضع بظهور الأتراك العثمانيين وصدامهم مع الغزاة المسيحيين في البحر المتوسط (سواحل اسبانيا الشرقية والجنوب شرقية وسواحل شمال إفريقيا)، فكان العثمانيين يمثلون الإسلام وعرفت الحروب التي قامت بينهم بالجهاد البحري، ومن هنا بدأت أولى ملامح العلاقات العثمانية بشمال إفريقيا[1] بظهور الإخوة بربروس.

1- أصلهم:

إن تشكيل إيالة الجزائر يعود لأعمال أخوين المعروفين بالبربروسا وبالرغم من أن هناك كثيرا من الخلاف فيما يتعلق بأصولهم، فقد اتفق المؤرخين بصورة عامة على أنهم قدموا من جزيرة ميديلي[2] Medelli (ميثلان) في الأرخبيل اليوناني، ثم اعتنقوا الإسلام وهذا ما ذهب إليه الكتاب الأوربيون[3] المهتمون بإبراز الأصل الأوربي سواء أكان يونانيا أو ايطاليا، المعظم الذين اشتهروا في البحرية الإسلامية بشمال إفريقيا[4] مظهرين تفوق العنصر الأوربي على غيره، أما المؤرخين العرب فمنهم من يذهب إلى القول: أن أصلهم من الأتراك المسلمين.[5]

---

[1] أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1976م، ج1، ص189.

[2] فتحها السلطان محمد الفاتح (1429-1481م).

مجهول، كتاب غزوات خير الدين وعروج، تصحيح وتعليق: نور الدين عبد القادر، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1934م، ص6.

[3] وليم سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتق: عبد القادر زبادية، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980م، ص29.

[4] صلاح العقاد، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر، مكتبة الأنجلو المصرية، ط6، القاهرة، 1993م، ص 19.

[5] عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص27.

أما أبوهم يعقوب فربما كان يشغل قرصانا مسلما أو أنه اشتغل عريفا أول في الجيش الانكشاري، وبعد تقاعده ذهب إلى الجزيرة وأصبح خزافا، ونفس الدرجة من الغموض تحيط بالأم التي ربما كانت بنتا لأحد الرهبان الإغريق أو امرأة أندلسية أسرها يعقوب في البحر،[1] فأنجبت ست بنات وأربعة ذكور إسحاق عروج خيضر (خير الدين- خسرف- الخضر) ومحمد إلياس، فعمل الأول في التجارة، ومحمد إلياس معلما للأطفال[2] أما عروج فامتهن حرفة التجديف في حين عمل خير الدين فخارجي.[3]

ولد عروج حوالي عام 1473م وخير الدين في العام الموالي وكان الأخوان يبيعان الفخار لأبيهما في جزائر اليونان بواسطة بعض المراكب، تذكر بعض الكتابات الثابتة أن حياة عروج[4] على أمواج البحر المتوسط كانت مليئة بالمغامرات والمحن، فقد ألقي عليه القبض من طرف فرسان القديس "يوحنا" بجزيرة "رودس" فقتل أخوه إلياس أما هو فقد أسر وعمل كمجدف، إلا أنه تمكن من الفرار إثر عاصفة بحرية أو تم فديته،[5] فلجأ إلى أمير مصري فدعمه ليكون سيد البحارة في إغارته على التجار المسيحيين فأصبح مسؤولا عن إدارة المراكب، فما تقدم لبلدة من بلاد العدو إلا و فتحها ولا صادف مركبا من مراكب العدو إلا وغنم منها، وبقي على هذا الحال إلى أن توفي السلطان الغازي

[1] وليم سبنسر، المرجع السابق، ص29-30.

[2] Gaid Mouloud, L'Algérie sous les turcs, 2eme édition Mimouni, Alger, 1994, P34.

[3] يحي بوعزيز، الموجز...، المرجع السابق، ص33.

[4] DE Grammont, Histoire d'Alger sous la domination turque, Edition Leroux, Paris, 1887, P317.

[5] جون وولف، المرجع السابق، ص28.

"بايزيد خان" وتولى بعده ابنه الملك سليم سنة 918م/1512م، حينها انفصل عن إدارة المراكب واستأذن في خدمة الدولة العثمانية وأن يقوم بالجهاد ضد الصليبيين وإنقاذ ونصرة المسلمين.[1]

فاتجه الأخوان عروج وخير الدين إلى الجهاد البحري منذ الصغر ووجها نشاطهما في البداية إلى بحر الأرخبيل المحيط بمسقط رأسهما حوالي سنة 1510م، لكن ضراوة الصراع بين القوى المسيحية في بلاد الأندلس وفي شمالي إفريقيا بين المسلمين هناك، والذي اشتد في مطلع القرن السادس عشر قد استقطب الأخوين لينقلا نشاطهما إلى هذه المناطق،[2] فظهرت عمارة الأخوين التركيين بابا عروج وخير الدين متنقلة بغربي البحر الأبيض المتوسط براية حمراء موشية،[3] الذين أصبحا مصدر الرعب والفزع في البلاد النصرانية.[4]

يقول الحافظ أبو راس عن الأخوين في عجائب الأسفار: "إن خير الدين وشقيقه لما كانا في أكمل حالة الرجولية وغاية الشجاعة والعجولية، اشتغلوا بالتجارة وتدربوا بالذكاء والسياسة والجسارة ثم عملوا أجفانا للجهاد في البحر فأذاقوا النصارى شرا وقهروهم قهرا."[5] فكان لهم الدور الكبير والأثر والأثر الفعال في تأسيس إيالة الجزائر والاعتراف بها رسميا كدولة مستقلة عن الإمبراطورية العثمانية.

[1] Fray Diego de Haedo, Histoire des rois d'Alger, Traduit et annotée par : H.D. de Grammont, In R.A , N: 24-25, 1880, P44.

[2] محمد علي الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار المعرفة، ط1، القاهرة، 2006م، ج1، ص253.

[3] عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص14.

[4] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص158.

[5] آغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ص250.

2- ممارسة القرصنة ضد السفن الأوربية المعادية للدولة العثمانية:

لم تكن القرصنة في غرب البحر المتوسط بالشيء الجديد فمنذ قرون عديدة كان المسلمون وكان المسيحيون يقومون بأعمال القرصنة في البحر، فإن القراصنة المسيحيين كان عددهم كبيرا جدا خلال القرنيين 15 و 16م بالبحر المتوسط، ولم خفت وطأة القرصنة بعد ذلك بسبب نقل أفق عملها إلى المحيط الأطلسي بعد اكتشاف أمريكا، ولكن القرصنة الإسلامية ازدادت ضراوة في الشمال الإفريقي بعد إبعاد مسلمي اسبانيا واضطرارهم إلى الالتجاء إلى شمال إفريقيا.[1]

ولقد كانت شواطئ المغرب بطبيعتها الوعرة وثغورها ومراسيها وخلجانها الكثيرة التي تحميها الصخور العالية أصلح ملاذ لمشاريع أولئك البحارة المجاهدين، وكانت مياه الجزائر وبجاية وتونس أفضل قواعدهم للرسو والإقلاع، وكانت غاراتهم على الشواطئ الاسبانية ولاسيما في المياه الجنوبية تتجدد بلا انقطاع، وتنجح في معظم الأحيان في تحقيق غاياتها وكان حكام الشعوب المغربية من تونس إلى وهران يشجعون هذه الغارات ويسمحون للمجاهدين بالرسو والتموين في ثغورهم.[2]

وكان عروج من أكبر هؤلاء القراصنة الذين سوف يربطون معظم المغرب بالإمبراطورية العثمانية لمدة تقرب من الثلاثة قرون،[3] فاستطاع أن يكون أسطولا صغيرا من بضعة سفن يغزو به في البحر وساعدته الأقدار بالنصر والمغانم وألقته الريح إلى جزيرة جربة فحط بها بعض أثقاله، وأتى لتونس وسلطانها يومئذ "**أبو عبد الله محمد بن الحسن الحفصي** 932- 989هـ" فهاداه بتحف مما غنم وحسان من الجواري، فوقع ذلك من السلطان موقعا حسنا واستأذن في الإقامة بأسطوله في بعض مراسي المملكة فأذن له على شرط أن يرفع إليه الخمس مما يغنمه فرضي **عروج**

[1] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص75

[2] بسام العسلي، المرجع السابق، ص81.

[3] صالح عباد، المرجع السابق، ص43.

بذلك،[1] فاختار جزيرة جربة[2] واتخذها قاعدة لأسطوله ومراكبه البحرية،[3] أما سبب اختيار هذه الجزيرة فيعود لقربها من الأراضي المسيحية كصقلية ومالطا والجنوب الإيطالي.[4]

وبعد استقرار **عروج** بجزيرة جربة لحق به أخواه **خير الدين** و**إسحاق** وأصبح لديهم حوالي اثني عشر سفينة، ولما كانت جربة بعيدة عن ميدان الجهاد الحقيقي في الحوض الغربي للبحر المتوسط نقلوا مركزهم العسكري إلى حلق الوادي في أقصى شمال تونس.[5]

3- استنجاد سكان أهالي المغرب الأوسط بالإخوة بربروس

أ- محاولة عروج تحرير بجاية من الإسبان:

في فترة وجيزة ما بين 1504-1510م اتسع نشاط الأخوين **بربروس** لما اشتهروا به من سطو على مراكب النصارى وخاصة الاسبانية منها، وبفضل ما حققه من إنقاذ آلاف الموريسكيين،[6] فقام بأعمال الجهاد في سواحل أوروبا الجنوبية عامة وسواحل صقلية وجنوب ايطاليا،[7] ومنذ ذلك

[1] أحمد ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ص10.

[2] جميل بيوض، تاريخ العرب الحديث، دار الأمل للنشر والتوزيع، ط1، 1991م، ص47.

[3] محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص85.

[4] بوشنافي محمد، المرجع السابق، ص270.

[5] يحي بوعزيز، الموجز...، المرجع السابق، ص11.

[6] شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص326.

[7] صالح عباد، المرجع السابق، ص43-44.

الحين ذاع صيتهما في أوروبا والمغرب العربي حتى بلغت عاصمة الدولة العثمانية استانبول،[1] مما جعل أهالي مدينة بجاية[2] يستنجدون بهم حيث غزوا هذه المدينة سنة 1512م.[3]

وهذا ما يشير إليه **خير الدين بربروسا** في مذكراته: "وصل وفد من مدينة بجاية الجزائرية حاملا رسالة جاء فيها: إن كان ثمة مغيث فليكن منكم أيها المجاهدون الأبطال، لقد صرنا لا نستطيع أداء الصلاة أو تعليم أطفالنا القرآن الكريم لما نلقاه من ظلم الإسبان، فها نحن نضع أمرنا بين أيديكم جعلكم الله سببا لخلاصنا بتسليمه إيانا إليكم، فتفضلوا بتشريف بلدنا وعجلوا بتخليصها من هؤلاء الكفار."[4] فاقتحم **عروج** وجيشه المدينة بكل بسالة وإقدام، ودارت معركة حامية الوطيس بين المسلمين والمحتلين،[5] ولم يفلحوا في مهمتهم لأن الحصون الاسبانية كانت قوية وطبيعة المدينة الجغرافية صعبة والقوات الاسبانية المدافعة كثيرة العدد وقد فقد عروج ذراعه خلال المعركة فانسحب هو وإخوته إلى الشرق.[6]

[1] استانبول: أطلق هذا الاسم على القسطنطينية بعد فتحها واتخذت عاصمة للعثمانيين، وهي كلمة تركية تنقسم إلى قسمين إسلام بول وتعني دار السلام. (أنظر: محمود محمد الحويري، تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، المكتبة المصرية، ط1، القاهرة، 2001م، ص8.)

[2] استنجد بهم حاكم بجاية السابق الأمير عبد الرحمان. (أنظر: فاضل بيات، الدولة العثمانية في المجال العربي- دراسات تاريخية في الأوضاع الإدارية في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية حصرا- مطلع العهد العثماني أواسط القرن التاسع عشر، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2007م، ص531-532)

[3] محمد خير فارس، تاريخ شمال إفريقيا الحديث (تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي 1600-1830م)، مكتبة دار الشرق، ط2، بيروت، 1979م، ص24-25.

[4] خير الدين بربروس، مذكرات خير الدين ، تح: محمد دراج ، ، شركة الأصالة، ط1، الجزائر، 2010م، ص21-22.

[5] عبد المجيد قدور، هجرة الأندلسيين إلى المغرب الأوسط الجزائر ونتائجها الحضارية خلال القرنين 16-17م، رسالة ماجستير، جامعة وهران، ص78.

[6] يحي بوعزيز، علاقات...، المرجع السابق، ص35.

فبعد التجربة الاستطلاعية التي قام بها **عروج** في بجاية تيقن أنه من المستحيل تحريرها وهو في قاعدته البعيدة (تونس)،[1] لذلك قرر البحث عن مركز جديد يكون قريبا من بجاية فوجد في جيجل (تبعد ب120 كلم غرب بجاية) المكان الملائم للتمركز والاستعداد نظرا لموقعها الاستراتيجي الذي يقربه من ساحة المعركة،[2] فتمكن من فتحها سنة 1514م واتخذها قاعدة لهم بعد أن طردا منها الحامية الجنوية،[3] فكانت أول بلدة ثم انقدها على ساحل بلاد المغرب الأوسط، وكذا الاستقرار بمركز منيع برا وبحرا سمح له ولرجاله من أجل تطهير البلاد من الاحتلال الأجنبي.[4]

فأرسل **عروج** هدية إلى السلطان العثماني **سليم** تحت رقابة أحد قراصنته يعرف باسم **محي الدين رايس،**[5] مرفقة برسالة عرضوا فيها أوضاع بلاد المغرب، كما أخبروه بالصعوبات التي تواجههم من أجل إنقاذ مسلمي الأندلس، فرحب السلطان بذلك وعدا هؤلاء الإخوة بأن يحظون بمساندة إمبراطورية بأكملها،[6] فكانت هذه المرة الأولى التي يتصل فيها عروج بالدولة العثمانية في استانبول، فبعث السلطان العثماني سليم الأول مبعوث إلى جيجل الذي جاء على رأس 24 مركبا ليقدم له تشكرات السلطان،[7] واعتراف بعروج سلطانا على جيجل ويومئذ أخذ يبتعد عن دولة الحفصيين في

[1] بسام العسلي، المرجع السابق، ص87-88.

[2] إلياس بوكراع، الجزائر الرعب المقدس، تر: خليل أحمد خليل، دار الفارابي، ط1، بيروت، 2003م، ص50.

[3] كورين شوفاليه، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر (1510-1830م)، تر: جمال حمادنة، د.م.ج، الجزائر، 2007م، ص26.

[4] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص166-167.

[5] بيري رئيس وهو حفيد كمال رايس وهو أيضا من الرياس ومن كبار العلماء الجغرافيين. (أنظر: المنور مروش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني القرصنة الأساطير والواقع، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009م، ج2، ص11.)

[6] عائشة غطاس، المرجع السابق، ص21.

[7] Gaid Mouloud , Op .cit , P63.

تونس التي كانت تسعى لاسترجاع جيجل الميراث المفقود من الدولة الموحدية من خلال عروج في حين كان هذا الأخير يخفي نواياه لتأسيس إمبراطورية له.[1]

وفي شهر أوت من عام1514م اتجه **عروج** ثانية لبجاية بجيش بري وحاصرها ما يقرب عن ثلاث أشهر لكن دون جدوى واضطر إلى رفع الحصار، كما كرر المحاولة الثالثة والأخيرة في ربيع 1515م وبقوة برية كبيرة وبمساعدة جنود الأمير الحفصي "**عبد العزيز**" أمير قلعة بني عباس و"**أحمد بن القاضي**"،[2] لكن بنفاذ الذخيرة الحربية وامتناع الأمير الحفصي بتونس عن تزويده بالبارود باءت محاولته بالفشل واضطر للانسحاب.[3]

ب- استنجاد سكان مدينة الجزائر بالإخوة بربروسا:

على اثر فشل الأخوان "**عروج وخير الدين**" في فتح بجاية استقر في جيجل بعدما اكتسبوا سمعة كبيرة رغم إحباطهم في تحرير بجاية،[4] وفي هذه الأثناء كانت مدينة الجزائر قد استفحل أمرها نتيجة عدم استقامة أمر الحفصيين فخرجت عن طاعتهم واستقلت بأمرها تحت رعاية جماعة من أهلها تحكمها هيئة من الثعالبة على رأسهم **سيدي عبد الرحمان الثعالبي**، ثم انتقلت رئاستها إلى أولاد **سالم من بني علاء الهواري** وكان آخر رؤسائها "**سالم السالمي التومي**"، وكانت الجزائر في هذا الوقت خاضعة للإسبان منذ أن حلو بها واحتلوا صخرة المرسى العظيمة عام 1510م مكان

[1] عباد صالح، المرجع السابق، ص45.

[2] هو أبو العباس أحمد بن القاضي المدعو بوقطاش من الرجال الجزائريين السياسيين والعلماء، كان في أول الأمر واليا على مدينة عنابة وعند استيلاء الإسبان على بجاية سنة 1510م أمره السلطان الحفصي بالالتحاق بعروج لطرد الأجانب منها وأسس إمارة جبل كوكو سنة 1511م قتل من قبل جنوده سنة1525م. (أنظر: أبي راس الناصري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تح: محمد غانم، منشورات Crax، 2005م، ج1، ص32.)

[3] مجهول، غزوات ...، المصدر السابق، ص25.

[4] وليم سبنسر، المرجع السابق، ص31.

"برج الفنار" اليوم Penion حيث أخذوا في إرهاق كاهل الجزائر بدفع الضرائب، وتقديم الغنائم حسب معاهدة 1511م بين **سالم التومي** والإسبان فضاق الجزائريون ذرعا وأخذوا في التفكير للتخلص من هذا القيد،[1] خاصة بعدما سمعوا ما يجول بالمدن المجاورة لهم وما يبذله الأخوان من جهود صادقة لتحرير مدينتي بجاية وجيجل.[2]

وفي 22 جانفي 1516م توفي **الملك الكاثوليكي فرديناند Ferdind** فأحدث موته قوة وعزيمة في نفوس الجزائريين،[3] وراحوا يسعون للتخلص من القلعة الصخرية البنيون،[4] والتحرر من قيود معاهدة 1511م التي كبلت حريتهم ونشاطهم التجاري، فترأس شيخهم "**سالم التومي**"[5] وفد توجه لجيجل لطلب يد المساعدة من **عروج**،[6] لإقناعهم وترجيهم بالقدوم لتخليصهم من مضايقة وظلم المسيحيين وتهديم هذه القلعة.[7]

ومما جاء في الكتاب الذي أرسلوه إلى **عروج** : "سمعنا بكم أناسا تحبون الجهاد وأخذتم بجاية وجيجل من أيدي النصارى ونصرتم الدين، فهنيئا لكم أيها المجاهدون لا بد أن تقدموا إلينا وتخلصونا من أيدي هؤلاء الملاعين الكفرة لأننا نحن في محنة عظيمة وذلة شديدة"،[8] فلبى عروج الدعوة لأنه

---

[1] عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص38-39.

[2] جمال قنان، المرجع السابق، ص21.

[3] Fray Diego de Haedo, Op.cit, P52.

[4] قلعة البنيون نسبة إلى الصخور الصلبة التي بنيت عليها.

[5] مارمول كربخال، إفريقيا، تر: محمد حجي و آخرون، دار المعرفة، الرباط، 1989م، ج1، ص86.

[6] Ermest Watbled, « Etablissement de la domination turque en Algérie », In R.A, N: 17, 1873, P925.

[7] Fery Diego de Haedo, Op cit, P17.

[8] محمد بن عبد الرحمان التلمساني، الزهرة النائرة في ما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة، تحت رقم 2523، ص3.

وجدها فرصة لا تعوض للسيطرة على مدينة الجزائر، الأهم بكثير من جيجل الصغيرة سواء من حيث عدد سكانها أو من حيث أنها كانت مدينة قرصنة، أو من حيث موقعها الذي يتوسط سواحل المغرب،[1] وفي هذا الشأن يقول مؤرخ اسباني: " استقبل عروج مبعوثي المدينة بجفاوة ليست لما كانت ستقدمه له مدينة من أموال ولكن لأنه كان متأكدا من أنه سيصبح يوما سيد المنطقة ولا قوة توقفه عن هدفه، وهو ما كان يعمل على تحقيقه بكل قواه، ولهذا كان عليه السيطرة على مدينة الجزائر هذه المدينة الهامة والإستراتيجية لممارسة القرصنة". [2]

فأرسل باتجاه مدينة الجزائر 16 سفينة شراعية على متنها 500 تركي مزودين بالمدفعية والبارود والمؤونة، بينما سار هو برا مع 800 تركي مسلحين بالبنادق و3000 من القبائل ساكني جبال جيجل وألفين آخرين طمعا في الغنيمة،[3] حيث فضلا أن يتجه إلى شرشال أولا والتي كانت تحت حكم "**قارة حسن**" ومعظم سكانها أندلسيون فنجح في السيطرة على شرشال واستسلم حاكمها وأدمج جيشه في جيش **عروج** وسار إلى مدينة الجزائر.[4]

تذكر المصادر أن عروج عند دخوله إلى مدينة الجزائر استقبله سكانها استقبال الفاتحين المنقذين وأن إقامته كانت في قصر **ابن التومي**، ثم قام بعقد اتفاقية مع السكان نصت على احترام سيادتهم على المدينة وألا يدفعوا أتاوات جديدة ولا يتدخل في تجارتهم وأن تقتصر مساعدته لهم على استعادة قلعة الصخرة وتحطيم أسوارها،[5] وبمجرد استقرار عروج بمدينة الجزائر قرر مهاجمة الإسبان، فأرسل رسالة إلى قائد الحامية الإسبانية يطلب منه الانسحاب من قلعة البنيون، فرد عليه قائد القلعة

[1] صالح عباد، المرجع السابق، ص46.

[2] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص11.

[3] كورين شوفالييه، المرجع السابق، ص27-28.

[4] محمد بن عبد الرحمان التلمساني، المصدر السابق، ص4.

[5] وليم سبنسر، المرجع السابق، ص31.

الإسبانية: "أنه لن يرد القلعة للجزائريين لا بالسلم ولا بالحرب." فقام عروج بحفر خندق لتطويق القلعة،[1] وظل يقصفها لمدة عشرين يوم ولم يستطيع تحقيق نتائج بسبب ضعف مدفعيته،[2] فرأى سكان مدينة الجزائر بأن **عروج** لم يحقق أي تقدم.[3]

غير أن هذا الأخير استطاع أن يتفطن للمؤامرة[4] في الوقت المناسب ويتخلص من خصمه العنيد **ابن التومي،** فشعر هذا الأخير بأن زمام الأمر قد انفلت منه وأن عشيرته من **بني سالم** قد فقدت مكانتها وقوتها، فأخذ يبحث عن مخرج لاسترجاع مكان لها من نفوذ،[5] فلقد ركز كثير من الأوربيين على قضية اغتيال **ابن التومي** فيعطينا **هايدو** تفصيلا دقيقة حول القضية ومضمونها أن **عروج** قام بخنق **سالم التومي** في حمامه حينما كان يستعد لأداء صلاة الظهر،[6] أما **لوجي دو تاسي Laug de Tassy** الذي زار الجزائر في عام 1725م فيذكر أن عروج أعجب **بزفيرة** أو **سافرة** زوجة **ابن تومي** وحاول كسب ودها ولكنه فشل في ذلك، ولهذا قرر اغتيال الزوج ليتزوجها بمجرد ما تصبح أرملة، إلا أنها فضلت الانتحار بالسم على الزواج به، وإن صدقت هذه رواية قد يكون هدف **عروج** من الاقتران **بزفيرة** محاولته كسب تأييد القبائل العربية المتمركزة، خاصة وأن **زفيرة** كانت تنتمي إلى قبيلة ذات شأن ومكانة في منطقة متيجة.[7]

---

[1] ستيفن ولسن جيم، المرجع السابق، ص16-17.

[2] Fery Diego de Haedo, Op cit, In RA, P155.

[3] كورين شوفالييه، المرجع السابق، ص30.

[4] ابن التومي كان يدير مؤامرة ضد عروج وجنوده وذلك بالطلب الدعم من اسبانيا كما يورد الأستاذ أحمد توفيق المدني.

[5] بسام العسلي، المرجع السابق، ص94.

[6] Fery Diego de Haedo, Histoire, Op cit, P56-57.

[7] محمد بوشنافي، المرجع السابق، 277.

فباغتيال **سالم التومي** أعلن **عروج** نفسه ملكا على عرش مدينة الجزائر فلم يلق من الأهالي الرفض وذلك لما يجمع بينهم جميعا من إخوة الإسلام ورابطة الخلافة والدفاع عن الأوطان الإسلامية،[1] فتمت مبايعته من طرف الجنود والسكان المناصرين له دون معارضة علنية من طرف بقية أهالي مدينة الجزائر ليشرع بعدها في تنفيذ مشروعه الطموح بوضع أسس لدولته الفتية فقام بصك العملة كتب عليها "ضرب في الجزائر" وحصن المدينة خاصة القصبة ليرفع على أسوار المدينة راياته المؤلفة من اللون الأصفر الأحمر الأخضر.[2]

وقد رأى الإسبان في تمركز الإخوة بربروس بالجزائر خطرا على مخططاتهم التوسعية في بلاد المغرب الإسلامية، لذلك قرروا استئصالهم من الجزائر قبل أن يستفحل خطرهم، فجهزوا حملة عسكرية في سبتمبر 1516م قوامها ثلاثمائة وعشرين سفينة وخمس عشر ألف مقاتل بقيادة "**ديغو دي فيرا**" « **Diego de vera** »[3] غير أن هذه الحملة منيت بهزيمة ساحقة، حيث تمكن **عروج** منها وقضى عليها،[4] بالإضافة إلى سوء الأحوال الجوية التي ساهمت في تحطيم نصف سفن الإسبان بسبب هيجان البحر.[5]

أعطى النصر الذي حققه **عروج** بمدينة الجزائر القدرة على نشر سلطانه وفرض سلطته عليها فشرع في توسيع رقعة دولته الناشئة وتجميع أجزائها للقضاء على الفراغ الذي خلفته عصور الفتن والفوضى جراء سقوط الدولة الموحدية، فكان لهذه المبادرة صدى عند سكان متيجة الذين دانو له،

---

[1] عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص40.

[2] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص175.

[3] صالح حيمر، المرجع السابق، ص44.

[4] كورين شوفالييه، المرجع السابق، ص34.

[5] Pellissier, Mémoire historique et géographiques sur d'Algérie, Imp. royal, Paris, 1844, P28.

كما انضمت لإمارته مدن كالبليدة، مليانة وما حولها لتعترف بلاد الجبال القبائلية بسيادته،[1] ومدية وشلف وجزء من جبال الظهرة والونشريس،[2] واستطاع خير الدين أن يخضع تنس بالانتقام من أميرها الزياني "**العيد العبدوس مولاي عبد الله الزياني**" المتواطئ مع الإسبان، فتوجه إليه بقوة عسكرية سنة 1517م فقتله وطرد الإسبان منها.[3]

أحدث هذا النصر صدى قويا في أنحاء الجزائر خاصة المستغيثين منها لتكون مدينة تلمسان[4] المتضررة من الإسبان منذ 1511م المنطقة الثانية في وجهة **عروج،** فما إن دخل عروج تنس حتى جاءه وفد من تلمسان يستصرخه لإعادة الملك الشرعي **أبا زيان** المخلوع من طرف عمه **أبو حمو الثالث** فلبى **عروج** النداء،[5] وأعد أخوه **خير الدين** جيشا كبيرا زحف به إلى تلمسان سنة 1518م،[6] إلى أن صادف **أبا حمو** في جيش كبير فهزمه لما بلغ تلمسان حظي بحفاوة الاستقبال من من طرف سكانها فنصب **أبا زيان الثالث** (**المسعود**) على عرش تلمسان.[7]

---

[1] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص183-184.

[2] بلبروات بن عتو، "سلاطين مملكة تلمسان الزيانية في مواجهة الإخوة بربروس 1517-1546م"، مجلة عصور الجديدة، العدد2، 2011م، عدد خاص بتلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، ص85.

[3] مجهول، غزوات ....، المصدر السابق، ص31.

[4] تلمسان: مدينة كبيرة في سطح جبل، وهي قاعدة المغرب الأوسط ولها أسواق ومساجد ومدارس وفنادق على النمط الإفريقي وأشجار وأنهار بلغت درجة من الازدهار خاصة في عهد الزيانيين. للمزيد أنظر: الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ص17.

[5] عباد صالح، المرجع السابق، ص47.

[6] محمد علي الصلابي، المرجع السابق، ص256-257.

[7] المرجع السابق، ص48.

وفي طريقه ترك حامية عسكرية بقيادة أخيه **إسحاق** في قلعة بني راشد،[1] ففر **أبو حمو** إلى وهران واستنجد بالإسبان، وخرجت القوات الاسبانية المتحالفة مع أبي حمو وأنصاره إلى قلعة بني راشد وضربت عليها حصارا فقتل **إسحاق** هو وجنوده،[2] ثم ساروا إلى تلمسان وحاصروها وبعد ستة أشهر من الحصار تمكنوا من اقتحامها، فتسلل **عروج** إلى قلعة المشور ثم اضطر للانسحاب منها وتوجه نحو مكان يدعى بني يزناس،[3] فتفطنوا الإسبان لخروجه وتتبعوه[4] إلى أن تمكنوا منه وقتلوه بنواحي المويلح[5] قرب الحدود المغربية سنة 1518م،[6] بينما تذكر رواية أخرى أنه قتل بالمالح الواقعة بين وهران وعين تموشنت الحالية، وقد قاتل الإسبان ولم يعفه في ذلك فقدان ذراعه إلى أن استشهد حيث أغمد سيف في قلب البحار الكبير وفصل رأسه عن جسده وأرسل إلى اسبانيا للتشهير، وبقي جسده في الجزائر في منطقة قريبة من فاس[7] وبمقتل **عروج** أعيد **أبو الحمو الثاني**[8] إلى عرش تلمسان.[9]

---

[1] قلعة بني راشد: تعرف بهذا الاسم نسبة إلى أولاد راشد بن محمد من بطون مغراوة الذين استوطنوا الجبل المطل على تلمسان وبنو هذه القلعة في القرن السادس، وتقع بين الطريق الواصل بين الجزائر وتلمسان وهي بلدة صغيرة من ولاية معسكر تبعد عنها حوالي 25كلم. (أنظر: عبد الرحمان بن محمد الجيلالي ، المرجع السابق، ص42.)

[2] مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر- في القديم والحديث-، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1984م، ج3، ص49.

[3] هو جبل يقع على بعد نحو خمسين ميلا غربي مدينة تلمسان.

[4] صالح حيمر، المرجع السابق، ص45.

[5] يدعى أيضا ريو دو سلادو Rio- Salado.

[6] محمد رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م، ص205.

[7] بلماز أوزتونا، المرجع السابق، ص252. ويرجع سبب فشل عروج في هذه المعركة أنه كان ينتظر الدعم من الأمير الوطاسي إلا أنه لم يوليه أي اهتمام وقلة الجنود والعتاد. (للمزيد حول مجريات هذه المعركة أنظر: محمد دادة " تلمسان في دوامة الصراع الثلاثي بين الإسبان والعثمانيين والمغاربة في القرن 16م"، مجلة عصور الجديدة، العدد2، 2001م، الجزائر، ص 194-195.

[8] يدعى أبو حمو الثاني أبو قلمون، في أيامه قويت شوكة العثمانيين ضد الإسبان حتى استولوا على مدينة تلمسان. (أنظر: عثمان الكعاك، موجز التاريخ العام للجزائر، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 2003م، ص239.)

[9] شوقي عطا الله الجمل، مجمل تاريخ المغرب الحديث (ليبيا- تونس- الجزائر –المغرب)، مكتبة الأنجلو مصرية، ط1، القاهرة،1977م، ص96-97.

استشهد **عروج** بعد أن أرسى أسس دولة إسلامية قوية قادرة على مجابهة هجمات النصارى وحملاتهم الصليبية، كما كان له الفضل الكبير في إرساء معالم الدولة الجزائرية الأولى، وهو ما ذكره **نور الدين عبد القادر** في كتابه "صفحات من تاريخ الجزائر" يقول فيه: " وخير ما يقال وأصوب ما يكتب ويسطر عن بابا عروج، أنه أول من وضع اللبنة الأولى لبناء صرح الدولة الجزائرية، وأول من تنبه جليا لتمتين أساسها وتصحيحه...» .[1]

خلف **خير الدين** أخاه **بابا عروج** وقد وجد نفسه في وضعية حرجة فقد صارت الأخطار تهدده من كل جانب، خاصة وأنه كان في بداية حكمه وكان هناك أعداء كثيرين يتحايلون الفرص للقضاء على الأتراك،[2] فكانت الأوضاع في الجزائر مضطربة ومتدهورة فطلب سلطان بني حفص من **خير الدين** الاعتراف به وبحكمه، وقامت ثورات في عدة مناطق في زواوة وتنس، وشرشال،[3] كما أن الإسبان المنتصرين سيندفعون لا محالة بقوة نحو الجزائر للقضاء على خير الدين، بالإضافة إلى نقص الذخيرة الحربية والعتاد العسكري والقادة ذوي الكفاءة، إن هذه الحالة المتردية التي وجد خير الدين نفسه فيها فلم يكن له إلا إظهار الولاء إلى السلطان سليم الأول الذي كان في أوج قوته.[4]

وفي الحقيقة أن خير الدين قرر الاستعانة بالإمبراطورية العثمانية حتى يتمكن من الحصول على المال والقوة العسكرية اللازمة لمواجهة الخطر المحدق به(إسبانيا)، وتحقيقا لهذا الهدف قام الخضر ببناء أسطول حربي، وتهيأ لتخليص تونس والجزائر من السيطرة الاسبانية، كما أن معارضة القيادات

[1] نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص56.

[2] مختار حساني وآخرون، التاريخ العسكري للجزائر من الفتح الإسلامي إلى ق16، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، الجزائر، 2007م، ص56.

[3] بقيادة أحمد بن القاضي الحليف السابق لعروج.

[4] جون ب وولف، المرجع السابق، 32. ونور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص64.

المحلية في كل من تونس والجزائر للنفوذ العثماني في شمال إفريقيا وخوف هذه القيادات على فقدان امتيازاتها وسلطاتها. [1]

وهكذا انتهت حياة المغامر البطل **عروج** الذي لعب دورا كبيرا في وضع الأسس الأولى لتكوين الإيالة الجزائرية وجيشها، كما أن شجاعته وعبقريته العسكرية يشهد لها بها الأعداء، فلقد مدحه الراهب **هايدو** وذكر بأنه قاتل الإسبان رغم أنه كان يملك يد واحدة، كما اعترف بشجاعته **لوجي دو تاسي** رغم أنه نظر إليه كظالم ومستبد قهر السكان، كل هذه الأمور عجلت بتحرك خير الدين لكي يقيم علاقات قوية مع الإمبراطورية العثمانية ويقضي على النفوذ الاسباني والقيادات المحلية المبعثرة والرافضة للزعامة العثمانية.

[1] عمار بوحوش، المرجع السابق، ص54.

المبحث الثاني: إلحاق الجزائر بالباب العالي[1]

بدأت الاتصالات بين المغرب الأوسط (الجزائر) والأتراك مطلع القرن السادس العشر ميلادي بانتقال الإخوة بربروس للخوض الغربي للمتوسط، غير أن ذلك لم يكن بشكل رسمي يعكس وجود علاقات حقيقية بين الدولة العثمانية والجزائر، كون هذه الأخيرة كانت تعيش حالة من عدم الاستقرار السياسي، والتفكك منعها من ظهور كدولة لها نظام حكم واحد، يغطي كافة أرجائها ويمثلها سياسيا وعسكريا، ومن ناحية أخرى كانت أعمال بربروس في بادئ الأمر غير مرتبطة بأوامر سلطانية أو تمثيل رسمي للدولة العثمانية، إلى أن الأمور تطورت بارتباط الجزائر رسميا بالباب العالي وهو ما سنحاول التطرق إليه في هذا المبحث .

1- فاتحة العلاقات الجزائرية مع الدولة العثمانية

في الوقت الذي دخل فيه **أبو حمو** إلى تلمسان، كان خير الدين في مدينة الجزائر يفكر في أحسن طريقة ينقذ بها سلطانه، فقد واجهته في آن واحد مصاعب عديدة لا تحصى إذ استشهد إسحاق وعروج بالغرب الجزائري، وتسبب ذلك في سلسلة من الانتفاضات في جهات مختلفة ضد سلطة الأتراك،[2] فتمرّدت عليه كل من شرشال، تنس، وبلاد القبائل بزعامة **أحمد بن القاضي** وتوطأ بنو زيان مع الإسبان ضد **خير الدين**، وتقاعس أمير تونس عن مد المساعدة له،[3] وفي الخارج كانت

---

[1] الباب العالي: اسم يطلق على المقر الرسمي لرئاسة الوزارة الصدارة العظمى باستطنبول.

[2] مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق، ص51.

[3] صالح حيمر، المرجع السابق، ص46.

أخطار الإسبان تهدد الجزائر باستمرار نتيجة تمركزهم في عدة نقط من الساحل كوهران وبجاية وتدخلهم في شؤون تلمسان.[1]

في هذه الظروف الصعبة والمخاطر العديدة التي كانت تهدد الوجود العثماني في الجزائر، عزم **خير الدين** على الذهاب إلى استانبول ليعرض على السلطان العثماني **سليم الأول** شخصيا إبعاده عن قضية الجزائر،[2] فقرر **خير الدين** الرحيل فجمع أهل البلاد وقال لهم: " ...لقد بقيت منفردا دون إخوتي وقد رأيتم ما فعله بنا صاحب تلمسان من بني زيان، واستعانتهم علينا بغير ملتنا حتى كفانا الله أمره وصاحب تونس الحفصي الذي لا يرى ضرورة نصرتنا وإعانتنا والذي أسلمنا للعدو بمنع البارود عنا أثناء حملة بجاية...إني عزمت على السفر إلى حضرة السلطان، وأمنت بلادكم من العدو بما تركت فيكم من المجاهدين، ومن وصل إليكم من أهل الأندلس، وما تركت عندكم من العدة، لقد تركت أكثر من 400 مدفع ولم يكن في بلادكم مدفع واحد...".[3]

فرفض أعيان مدينة الجزائر قرار **خير الدين** بالرحيل وما خاطبه به الناس أنهم قالوا له: "أيها الأمير لا تطيب أنفسنا بفراقك ولا نسمح لك بذلك، فالله أمة سيدنا محمد فإن الله يسألك عنهم"، ومن جملة ما خطبه به العلماء أن قالوا له: "أيها الأمير يتعين جلوسك في هذه المدينة لأجل حراستها والذب عن ضعفاء أهلها، ولا رخصة لك في الذهاب عنهم وتركهم عرضة للعدو"،[4] فألحوا أهلها عليه بالبقاء وقد تركت هذه أثرا بالغا في نفس **خير الدين**، مما دفعه إلى التخلي عن التفكير في ترك الجزائر، وكانت موافقته على البقاء تفرض عليه ضرورة بذل المزيد من الجهد خشية أن يهاجمه الأسبان

---

[1] يحي بوعزيز، الموجز...، المرجع السابق، ص15.

[2] محمد علي الصلابي، المرجع السابق، ص84.

[3] مجهول،غزوات...، المصدر السابق، ص41.

[4] محمد بن رقية التلمساني، المصدر السابق، ص14.

ومؤيدوهم،[1] وذلك بطلب الحماية من السلطان سليم الأول ودعمهم بالعتاد والرجال فقبل أهل المدينة هذا العرض بكل ارتياح.[2]

فعرض **خير الدين** على أعيان الجزائر الفكرة فقال لهم:" أنتم رأيتم ما وقع من الملاعين الكفار ولا يؤمن عواملهم وقد ظهر لي من الرأي أن نصل بيدنا بطاعة السلطان الأعظم مولانا **سليم** فيمدنا بالمال والرجال وجميع ما نحتاج إليه من آلة الجهاد... "[3]

وعلى إثر ذلك ومن القرارات التي اتخذها **خير الدين** إزاء الارتباط بالدولة العثمانية، أن طلب من السكان كتابة رسالة[4] استغاثة للسلطان **سليم الأول**، والتي كان مضمونها الاستهلال بمشاعر الوفاء والطاعة والخضوع للسلطة العثمانية، والدعاء بالنصر للسلطان بعدها تبدأ في سرد الأحداث انطلاقا من سقوط غرناطة 1492م، والاستيلاء على وهران وكذا وصف حالة مدينة الجزائر وهي تتخبط وسط الكفار، واضطرارهم للتوقيع على معاهدة الصلح لحقن الدماء والحفاظ على عرضهم وأولادهم.

ثم ذكروا قدوم عروج إليهم واستقبالهم له وما بذله في الجهاد من نفس ونفيس، إلى أن استشهد ليخلفه أخاه "**خير الدين**" الذي راح يدافع عن السكان والذي لم يظهر منه إلا العدل وتطبيق الشريعة، لتختم الرسالة بإحدى مظاهر التبعية لخير الدين والباب العالي، وفي الأخير تذكر الرسالة اسم السفير وهو "**سي أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد**"[5] بتاريخ أوائل ذي القعدة

---

[1] محمد علي الصلابي، المرجع السابق، ص257.

[2] مجهول، غزوات...، المصدر السابق، ص42.

[3] محمد بن رقية التلمساني، المصدر السابق، ص14.

[4] قام الأستاذ الدكتور عبد الجليل التميمي بترجمة الرسالة من التركية إلى العربية وهي محفوظة في دار المحفوظات التاريخية باستنبول –طوب قابي يسراي– تحت رقم 4656.

[5] سي أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد: شارك مع عروج في حصار بجاية ومحاربة حسن قارة بشرشال وحضر معه حصار تلمسان، وتمكن من الهروب والوصول إلى الجزائر وكان من أكبر علماء الجزائر.

925هـ مابين 26 أكتوبر إلى 3 نوفمبر 1519م،[1] تعد رسالة أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان العثماني أول وثيقة في تاريخ العلاقات السياسية بين الجزائر والدولة العثمانية.

كما كتب **خير الدين** رسالة شخصية للسلطان يعلن فيها بتبعية له مقابل أن تبقى مدينة الجزائر تحت حمايته كما تعهد له مقابل ذلك بالطاعة والخضوع، بعدها مباشرة تكون وفد من الأعيان يترأسه **حسن آغا** يحمل هدايا ثمينة على متن أربع سفن لمقابلة السلطان **سليم الأول** .[2]

وكان هدف خير الدين من الرسالة هو ربط مصير الجزائر بالدولة العثمانية، وهي رسالة موجهة باسم جميع الطبقات من القضاة والخطباء والأئماء والتجار والأعيان وكافة السكان، وهذا دليل على رغبتهم الجامحة في التخلص من الذل وهيمنة النصارى.[3]

وعليه ومن خلال الأحداث التي جرت نلتمس التباس حول تباين تاريخ إرسال الرسالة–رسالة أعيان وعلماء مدينة الجزائر إلى السلطان **سليم الأول**– ومن ترأس الوفد؟ متى كانت عودته؟ والسبب راجع إلى قلة المعلومات، فبينما يرى البعض أن الوفد توجه لمقابلة السلطان خلال عام 1518م أي عقب وفاة **عروج**،[4] ويرى آخرون أن التاريخ الحقيقي هو أوائل شهر نوفمبر 1519م،[5] ولعل هذا التاريخ هو الصائب إذا ما تتبعنا الأحداث التي عرفتها الجزائر عقب مقتل عروج وانشغال أخيه في مواجهة الاحتلال الاسباني والتصدي لتمردات المحلية، والدليل على هذا أن الرسالة التي كتبها سكان

---

[1] عبد الجليل التميمي، المرجع السابق، ص118-119. ومحمد لعباسي، أعمال خير الدين بربروس العسكرية في الجزائر من خلال مخطوط حبر قدوم عروج رايس إلى الجزائر وأخيه خير الدين (المؤلف مجهول من سنة 918هـ-1512م إلى سنة 953هـ-1546م)، رسالة ماجستير، جامعة وهران، السنة الجامعية 2005-2006م، ص36.

[2] عبد الجليل التميمي، المرجع السابق، ص119

[3] إسماعيل حامي محروس، تاريخ العرب الحديث –من الغزو العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الأولى–، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997م، ص 25-26.

[4] محمد علي الصلابي، المرجع السابق، ص200.

[5] عبد الجليل التميمي، المرجع السابق، ص119.

بلدة الجزائر مؤرخة في أوائل شهر ذي القعدة من عام 925هـ الموافق للفترة من 26 أكتوبر إلى 3 نوفمبر 1519م، أما عن الشخصية التي ترأست الوفد فلا بد من الإشارة أن **خير الدين** كان ينوي الذهاب بنفسه، ولكن سكان مدينة الجزائر توسلوا إليه أن يبقى تخوفا من أي غارة اسبانية مفاجئة،[1] فقام خير الدين بتعيين شخص ليمثله عند السلطان، حيث تجمع بعض المصادر أن هذا الشخص هو "**الحاج حسين**" وهو تركي المولد ورفيقه الوفي.[2]

فيذكر بعض المؤرخين اسم العالم "**أبو العباس أحمد بن القاضي**"[3] في حين بعض الأخر من المؤرخين لا يفصحون عن اسم الشخصية، فيذكرون أن **خير الدين** أرسل للسلطان العثماني هدية ثمينة كما يجمع معظم المؤرخين على حفاوة الاستقبال الذي حضي به الوفد من طرف السلطان، حيث قبل طلبهم وأحسن ضيافتهم بسبب الرابط الديني المشترك[4] وكان هدف السلطان من وراء ذلك جعل الجزائر حصنا أماميا يحمي الدولة العثمانية من المدى الاسباني والبرتغالي.[5]

يتبن من خلال الرسالة أن **أحمد بن القاضي** هو الذي قام بمهمة إيصال الرسالة لسلطان، لأنه عاش الأحداث السياسية للبلاد وبالتالي باستطاعته أن يصور وضعية الجزائر لدى المسؤولين العثمانيين بكل دقة،[6] أما الحاج **حسين آغا** هو الذي ترأس وفد الذي قدم الهدايا لسلطان وذلك من من خلال ما ذكر في مذكرات **خير الدين** إذ يقول:" أوفدت حاجي حسين آغا الذي كان أوثق رجالي إلى سيدي السلطان سليم خان، بعد واحد وعشرين يوما من رحلة بحرية وصل الآغا إلى

---

[1] عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص45-46.

[2] صالح عباد، المرجع السابق، ص22.

[3] محمد علي الصلابي، المرجع السابق، ص257.

[4] نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص64.

[5] أرزقي شويتام، دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي الفترة العثمانية 1519-1830م، دار الكتاب العربي، ط1، لبنان، 2010م، ص11.

[6] عبد الجليل التميمي، المرجع السابق، ص118.

لؤلؤة العالم إستانبول فاستقبله السلطان في قصره الساحلي، ووضع حسين آغا بين يدي السلطان الهدايا المتواضعة التي قمت بإتحافه بها."[1] ويبدوا من أن هذا الوفد الذي توجه إلى استانبول كان يضّم كل من أحمد بن القاضي وحسن آغا.

وتزامن تاريخ كتابة رسالة الاستنجاد مع حدوث تطورات دولية هامة كانتخاب **شرلكان** إمبراطورا على الدولة الرومانية المقدسة، الذي كان يرى نفسه المسؤول الأول عن حماية العالم المسيحي مما أدى إلى تزايد الخطر الصليبي على المغرب الإسلامي، ومن جهة أخرى تمكن السلطان العثماني **سليم الأول** من فتح كل من مصر والشام، وتسلمه مفاتيح الأماكن المقدسة بصفته حامي الحرمين الشريفين، الأمر الذي أكسب السلاطين العثمانيين مكانة مرموقة لدى المسلمين بصفة عامة والمغاربة بصفة خاصة، وهذا ما نلمسه في موافقة أهالي مدينة الجزائر على قبول التبعية للدولة العثمانية.[2]

وعند وصول الوفد إلى إستانبول استقبله السلطان العثماني بحفاوة، وذلك ما أشار إليه ابن رقية التلمساني بقوله:" فوصلت الأجفان إلى حضرة السلطان سليم، ونزلوا بتلك الهدية إلى الوزير الأعظم فأعلم السلطان بقدومهم، وواصل إليه الهدية التي قدموا بها فقبلها السلطان وأمر بإنزالهم إلى دار الضيافة وأجرى عليهم النفقة".[3]

وبعد إطلاع السلطان **سليم الأول** على فحوى الرسالة رحب بطلبات الوفد[4] ووافق على ما جاء فيها دون تردد، لأنه أدرك أهمية هذا العرض بالنسبة للدولة العثمانية،[5] وبهذا نجحت البعثة

---

[1] مجهول، سيرة...، المصدر السابق، ص96.
[2] صالح حيمر، المرجع السابق، ص49.
[3] محمد بن رقية التلمساني، المصدر السابق، ص14.
[4] عيسى الحسن، المرجع السابق، ص512.
[5] صالح حيمر، المرجع السابق، ص48.

الجزائرية في تحقيق أهدافها، إذ منح السلطان سليم الأول رتبة بايلرباي[1] إلى خير الدين، وهي رتبة تخول لصاحبها اختصاصات إدارية وسياسية واسعة ومتشعبة كما تجعله قائدا أعلى للقوات المسلحة في إقليمه ممثلا للسلطان العثماني.[2]

وقام بإرسال أسطول بحري مدعوم بألفي جندي انكشاري وكمية كبيرة من الذخيرة والعتاد والمدفعية كما دعمهم بأربعة ألف متطوع لهم نفس الامتيازات الخاصة بالجنود الانكشارية،[3] لتدخل الجزائر بذلك رسميا تحت السيادة الإمبراطورية العثمانية من عام 1519م.[4]

بينما يؤكد **خير الدين** في مذكراته أن مبعوثه **حسن آغا** عند مغادرته سلمه فرمانا قد كتبه بيده، ورد فيه أمر تعيينه بايلربايا على الجزائر، ثم سلمه سيفا مرصعا وخلعة مذهبة وراية الإمارة، قائلا له:" اسمع أيها الرئيس سلم هذا السيف لخير الدين باشا، ليتقلده بعزة وشرف وليلبس خلعتي السلطانية ولتكن رايتي دائما معه لا تفارقه."[5] وسلمه قفطان التولية الرسمية لخير الدين على الجزائر

[1] البيليرباي: هو أول لقب أطلق على الحاكم العثماني في الجزائر وأول من لقب به هو خير الدين وهو الحاكم الإداري والعسكرية للإيالة ومعناه حاكم الحكام أي أمير الأمراء.

إلى أن الباحثة كورين شوفاليه تنفي في كتابها "دولة مدينة الجزائر" بقولها: "لا نعتقد بأنه تم الموافقة على إعطاء برباروس لقب بايلرباي لأنه لقب غير عادي، حيث لا يوجد سوى 8 أشخاص يحملون هذا اللقب في كامل أرجاء الإمبراطورية وهذا يعني أن حامل اللقب رئيس مقاطعة، ومدينة الجزائر صغيرة لم تصل إلى مرحلة المقاطعة ...لقد بينت الموسوعة التركية تاريخ تسمية باربروس بلقب بايلرباي سنة 1534م، الأمر الذي أكده هامار في كتابه تاريخ الإمبراطورية العثمانية...." (أنظر: كورين شوفاليه، المرجع السابق، ص41.)

[2] عائشة غطاس، المرجع السابق، ص25.

[3] Edward Cat, Petite histoire de l'Algérie Tunisie-Maroc, Adolph Jourdan, Alger, T 1,1888, p240.

[4] محمد علي الصلابي، المرجع السابق، ص259.

[5] مجهول، سيرة ...، المصدر السابق، ص25.

كما سلمه فرمانا يقضي بدعم وحماية الجزائر من قبل الإمبراطورية العثمانية ويسمح له بتقديم الخطبة وسك العملة باسم السلطان.[1]

إن الرسالة السابقة تبين للباحث أراء الجزائريين تجاه الدولة العثمانية وكان من تلك الآراء:

- إن **خير الدين** يمثل الحاكم المسلم الأمثل في شمال افريقية، فهو يحترم وينفذ مبادئ الشريعة الإسلامية، ويتخذ من العدل شرعة ومنهاجا له في الحكم.
- إن نشاطه يتركز في قيادة عمليات الجهاد ضد النصارى.
- إنه يكن للدولة العثمانية وسلطانها كل تقدير و احترام.
- تدل الرسالة على تماسك الجبهة الداخلية ووضوح الهدف أمام مسلمي الجزائر.[2]

لتدخل على إثرها الجزائر مرحلة الحكم العثماني وتكوين العلاقات الرسمية بين الجزائر والباب العالي وأن أي اعتداء خارجي على أراضيها يعتبر اعتداء على الدولة العثمانية.

- **استجابة السلطان سليم الأول لأهل الجزائر**:

بعد وصول الوفد المبعوث إلى السلطان سنة 1518م استقبلهم واحتفى بهم وقبل عرضهم وهكذا أصبحت الجزائر تابعة رسميا للباب العالي،[3] فسارع السلطان إلى منح رتبة بكلربك إلى **خير الدين** بربروسة، وأصبح القائد الأعلى للقوات المسلحة في إقليمه ممثلا للسلطان، وبذلك

[1] Ernest Watbled, Op cit, P362.

[2] عبد العزيز الشناوي، الدولة العثماني دولة الإسلام المفترى عليها، مكتبة الإنجلو مصرية، ط2، القاهرة، 1986، ص208.

[3] اسم أطلق على مقر الحكومة في عاصمة الدولة العثمانية (الأستانة) ويقصد به أولا البلاط السلطاني ثم أصبح يطلق على مقر الصدر الأعظم ومباني الوزارات والدوائر الرسمية العثمانية. (أنظر: عبد الحفيظ لكحل، الحديث في شرح المصطلحات التاريخية، دار الحديث للكتاب، الجزائر، 2003م، ص33.)

أصبحت الجزائر تحت حكم الدولة العثمانية ودعم السلطان سليم هذا القرار بقرارات تنفيذية، إذ أرسل إلى الجزائر قوة من سلاح المدفعية وألفين من الجنود الانكشارية وأذن السلطان لمن يشاء من رعايا المسلمين لسفر إلى الجزائر وأعطى الامتيازات للانضمام المجاهدين.

ولقد ترتب على القرارات التي أصدرها السلطان سليم الأول عدة نتائج من بينها:

1- دخول الجزائر رسميا تحت السيادة العثمانية اعتبارا من عام 1519م ودعى للسلطان سليم على المنابر في المساجد وضربت العملة باسمه.

2- إن إرسال القوات العثمانية جاء نتيجة استغاثة أهل بلدة الجزائر بالدولة العثمانية واستجابة لرغبته فلم يكن دخول غزوا أو فتحا عسكريا ضد رغبة أهل البلد.

3- إن إقليم الجزائر كان أول أقاليم شمال إفريقيا يدخل تحت السيادة، وأصبحت الجزائر ركيزة لحركة جهاد الدولة العثمانية في البحر المتوسط (وضع حد للحملات الاسبانية)، وكانت حريصة على امتداد نفوذها بعد ذلك إلى كل أقاليم الشمال الإفريقي لتوحيده تحت راية الإسلام.[1]

4- كما حقق انضمام الجزائر إلى الدولة العثمانية أهدافا سياسية وعسكرية كثيرة أهمها تأمين حدود مصر الغربية، وتوسيع ممتلكات الدولة العثمانية دون أن تتحمل أية تبعات عسكرية أو مالية كبيرة كما تحملت ذلك في مصر وشام.[2]

[1] محمد علي الصلابي، المرجع السابق، ص259.

[2] محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الاخوة بربروس (1512-1543م)، شركة الأصالة، ط1، الجزائر، 2012م، ص236.

2- بداية الاتصالات مع الباب العالي

بعد أن ارتبطت الجزائر رسميا بالدولة العثمانية 1519م، أهم ما افتتح به **خير الدين** نشاطه هو انصرافه إلى تنظيم أمور الدولة الجديدة، والعمل على تسخير كل الطاقات والإمكانيات من أجل تأمين متطلبات الحرب التي باتت وشيكة لا سيما أن اسبانيا التي ترى أن انضمام الجزائر إلى السلطة هو القضاء على نفوذها في المنطقة،[1] فأوقعت الانتصارات التي قادها(**خير الدين**) في غربي البحر المتوسط الهلع والخوف في أواسط الدول الأوروبية، أما في العالم الإسلامي فقد كان التعاطف معهم ومساعدتهم حاضرا خاصة من البلاط العثماني (لا غرابة في ذلك).

ومن العوامل التي لعبت دورا كبيرا في التقريب بين كل من الدولة العثمانية والإخوة بربروسا:

أ- الرابط الديني الذي كان يمثل عاملا مهما في الصراع بين أوروبا المسيحية بقيادة اسبانيا والعالم الإسلامي بقيادة الدولة العثمانية.[2]

ب- العامل السياسي وهو اشتراك الدولة العثمانية والإخوة بربروسا في محاربة عدو واحد، لذا وجدوا أنفسهم حلفاء في ميدان الحرب قبل أن يتم ترسيم هذا الحلف وفق التطورات التي عرفتها المنطقة في مرحلة لاحقة.

ت- ومن عوامل الارتباط بين العثمانيين والإخوة بربروسا كذلك أن هؤلاء الأخيرين كانوا يدركون أنه ليس باستطاعتهم وبإمكانياتهم المحدودة أن يتصدوا لدولة قوية مثل اسبانيا فهم يحتاجون لدعم دولة قوية كالدولة العثمانية.[3]

---

[1] بسام العسلي، المرجع السابق، ص109.

[2] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص64.

[3] محمد الدراج، المرجع السابق، ص191-198.

أما بالنسبة لبداية الاتصال بين الأخوين والباب العالي: فقد اختلف المؤرخون حول بداية التحالف، فتذكر بعض المراجع أن السلطان **سليم الأول** كان وراء إرسالهم إلى الساحل الإفريقي تلبية لطلب المساعدة من سكان الشمال الإفريقي وعملا على تعطيل أهداف البرتغاليين والإسبان في منطقة البحر المتوسط، ويرجع بعض المؤرخين التحالف بين الجانبيين إلى سنة 1514م[1] في أعقاب فتح **عروج** و**خير الدين** لميناء جيجل حيث أرسل الأخوان إلى السلطان **سليم الأول** مجموعة من النفائس التي استوليا عليها بعد فتح المدينة، فقبلها السلطان ورد لهما الهدايا بإرسال 14 سفينة حربية مجهزة بالعتاد والجنود، وهكذا ابتدأت العلاقات الودية الجهادية الهادفة بين الجانبين العثماني والجزائري.[2]

وقد تحدث **خير الدين** عن هذه هدية السلطان في مذكراته فقال: " ذات يوم استدعى السلطان سليم الأول خان بيري رئيس،[3] فلما مثل بين يديه سلمه حليتين سلطانيتين ونيشانين[4] ... وأعلمهما بأننا قد قبلنا هداياهما المرسلة إلى مقامنا السامي ومهما تكن لكم من حاجة فإنه يمكنكم عرضها علينا لقضائها..."،[5] على أن بعض المؤرخين يذكرون أن الدعم العثماني لهذه الحركة كان في أعقاب وفاة عروج سنة 1518م وبعد عودة السلطان العثماني من مصر إلى استانبول سنة 1519م.

---

[1] أما عبد الحميد بن أبي زيان بن اشنهو يقول أنه كان سنة 1515م . (أنظر: بن أبي زيان بن اشنهو عبد الحميد، دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، الجيش الشعبية للطباعة، الجزائر، 1972م، ص143.)

[2] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص171-172.

[3] خان بيري ريس: وهو ابن كمال ريس شخصية مهمة لدى السلطان وقد كلف من طرف بايزيد الثاني بالإغارة على السواحل الاسبانية. (أنظر: محمد الدراج، المرجع السابق، ص200.)

[4] مفردها نيشان: وهو وسام عثماني وكان على أربعة درجات. (سهيل صهبان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مطبوعات الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000م، ص121.)

[5] خير الدين بربروس، المصدر السابق، ص65.

على أن الرأي الأكثر ترجيحا أن الاتصالات بين العثمانيين وهذه الحركة كان سابقا لوفاة عروج وقبل فتح العثمانيين للشام ومصر، وذلك يرجع إلى أن الأخوين كانا في أمس الحاجة لدعم أو تحالف العثمانيين بعد فشلهما في فتح بجاية.[1]

3- تأسيس إيالة الجزائر:

كان استشهاد عروج وهزيمة المسلمين قد ولد ارتياحا كبيرا لدى الأوساط المعادية وظن الاسبان أن النصر النهائي قد تحقق لهم، فقرر الإمبراطور **شارلكان**[2] القضاء نهائيا على دولة الترك بالجزائر واستعد لتعبئة حملة مجهزة بأضخم عتاد حربي، فانطلقت الحملة من مرسى جنوة في 17 أوت 1519م يترأسها والي صقلية ونائبه هو **غودي منكاد** Hugo Mancada و Marino Ganzalo، [3] فنزل الجيش الاسباني في منطقة كودية الصابون،[4] أما **خير الدين** والجزائريين فإنهم رأوا أن يتركوا الإسبان ينزلون في المنطقة التي اختاروها في البر ثم يقوم هو وجيشه بمحاصرتهم من كل جهة،[5] وأثناء خلاف القائدين الإسبانيين حول الهجوم أو انتظار سلطان تلمسان بقواته البرية سارع خير الدين لمهاجمة المواقع الاسبانية فجأة، ففر الأعداء إلى مراكبهم لكن في هذه الفترة هبت عاصفة بحرية دامت يومي 21 و22 من شهر أوت فأعاقت عمليات الركوب وفي يوم 24 تمكن **هوغودي**

---

[1] محمد علي الصلابي، المرجع السابق، 255.

[2] شارل الخامس ويدعى شرلكان هو ملك إسبانيا من 1500-1558م قاد حملات عديدة ضد فرنسا وإيطاليا ثم قام بحملة ضد الجزائر عن طريق طرابلس ووادي الحراش ومني فيها بهزيمة نكراء سنة 1541م. (أنظر: أحمد السليماني، تاريخ مدينة الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص19.)

[3] عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص44.

[4] بنو فوقها قلعة أطلق عليها اسم قلعة الإمبراطور. (أنظر: أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص207.)

[5] نفسه، ص206-210.

منكاد من أن يركب مع بقايا جنده، لكن ما إن تحرك الأسطول حتى عادة العاصفة ودفعت الجزء الأكبر من مراكبه نحو الساحل فلم ينجح منهم إلا العدد القليل.[1]

بعد هذا النصر استولى **خضر** على مدينة القل في الساحل الشرقي لمدينة الجزائر ثم بونة (عنابة)، وشرع بعدها بتوزيع الوظائف وتعين الولاة، فعين **أحمد بن القاضي** خليفة في الشرق **ومحمد بن علي** على الناحية الغربية.[2]

إن الباب العالي قد جعل مدينة الجزائر في ذلك الوقت تحت حمايته، ولكنه لم يعتبرها بعد كولاية من إحدى ولاياته، وهذا ما يفسر غياب وساطته وتدخله –أي الباب العالي– عندما قام **ابن القاضي** باحتلال مدينة الجزائر لعدة سنوات 1520-1527م، فاختلف المؤرخين حول مدة هذا الاحتلال فالبعض يقول خمس سنوات، وتمكنه من هزيمة **خير الدين** وقطع خط الرجعة عليه إلى المدينة مما اضطر هذا الأخير للانسحاب إلى قاعدته القديمة بجيجل.[3]

إلا أن السبب الحقيقي في عدم تدخل السلطان العثماني في خضم هذه الأحداث هو انشغاله في جبهات مختلفة من الإمبراطورية، حيث فتحت الجيوش العثمانية بلغراد عام 1521م ورودس في عام 1522م.[4]

وخلال خمس سنوات حكم فيها **ابن القاضي** مدينة الجزائر كان **خير الدين** في نفس الوقت يعيد بناء قواته من جديد في منطقة نفوذه القديمة جيجل وضاعت مملكته لكن البحر بقى له، حيث بدأ يقوم بفتوحات ففتح القل 1520م قسنطينة 1521م عنابة 1522م وبعد ذلك تحالف مع

---

[1] صالح عباد، المرجع السابق، ص50.

[2] عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص45.

[3] كورين شوفاليه، المرجع السابق، ص42.

[4] عائشة غطاس، المرجع السابق، ص26.

شيخ **بني عباس** عدو **ابن القاضي**، وعاد **خير الدين** إلى مدينة الجزائر مدعما بقوة شيخ **بني عباس** فانهزم ابن القاضي بسبب سوء حكمه للمدينة وأعماله التعسفية وابتزازاته وذلك سنة 1525م فاستقبله أهلها بابتهاج، وبعدها توجه إلى شرشال لتأديب **حسن قارة** الذي تمرد عليه فتمكن منه وقتله، ثم توجه إلى تلمسان وأخضع حاكمها **مولاي عبد الله** وأرغمه على دفع الضريبة.[1]

فقام باسترجاع تنس وشرشال التي كانت تتحالف مع **ابن القاضي** ومستغانم سنة 1526م، وفي سنة 1529م أبرم في مدينة الجزائر معاهدة السلام مع ملوك الكوكو التي كان ينشدها من زمن طويل.[2]

وبعد أن وحد **خير الدين** الجبهة الداخلية وجه انشغاله إلى الخارج حيث تمكن من تحطيم برج الفنار "البنيون" في 16 ماي 1529م، الذي كان كابوسا جاثما على صدور سكان مدينة الجزائر مدة تسعة عشر سنة،[3] وبعد أن حطم البرج أقام على أنقاضه رصيف طوله 200م وعرضه 25م وارتفاعه 4أمتار، وربط الجزيرة بالشاطئ وصار للمدينة ميناء يحمي سفنها الراسية من الرياح الشمالية الغربية،[4] وقد اتخذ خير الدين من مدينة الجزائر عاصمة له وبسط سلطانه في مدة قصيرة على معظم البلاد.[5]

لقد نجح خير الدين بربروس بفضل كفاءته في القيادة وخبرته وبمساعدة السلطان العثماني ودعم أهالي مدينة الجزائر في تأسيس رابطة قوية بين الجزائر واستانبول، واستمر خلفاء خير الدين من البايلربايات الذين حكموا بعده بداية بأولهم وهو **حسن بن آغا الطوشي** منذ سنة 1533م حتى

---

[1] مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق، ص32.

[2] كورين شوفالييه، المرجع السابق، ص41-45.

[3] يحي بوعزيز، الموجز...، المرجع السابق، ص69.

[4] De Grammont, Op.cit, P35.

[5] أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، دار البصائر، الجزائر، 2009م، ص66.

آخر بيلرباي وهو **العلج علي**[1] سنة 1587م في توطيد السلطة العثمانية في الجزائر، فاستطاعوا أن يحققوا الوحدة الإقليمية والسياسية للدولة الجزائرية، والتي امتد نفوذها وسيطرتها إلى مختلف الجهات الشرقية والغربية وصولا إلى الواحات في الصحراء الكبرى الجزائرية.[2]

وكان للنجاحات البطولية التي حققها **خير الدين** داخل الجزائر وخارجها وقع كبير ذاع بها لقبه في الآفاق، وبرز كشخصية إسلامية قيادية ذات كفاءة وخبرة في مقارعة الصليبيين لذا قرر السلطان العثماني **سليمان القانوني** استدعاءه لتعينه قائدا للبحرية العثمانية، فوجه إليه فرمانا سنة 1533م جاء فيه: "رغبتي توجيه عمل ضد إسبانيا، ضع مكانك رجلا جيدا وعاقلا، وأسرع إلينا وإذ لم تجد من تتوفر فيه المقدرة أعلمنا".[3]

فوقع اختياره على **حسن آغا**[4] ليدير شؤون البلاد في غيابه لأنه توسم فيه الشخصية المؤهلة لهذا المنصب، وفي فترة حكم هذا الأخير توجهت حملة إسبانية كبيرة إلى الجزائر بقيادة **شرلكان** (Charles Quinte)[5] عام 1541م ذات قوة من أعظم ما شهده القرن السادس عشر.[6]

---

[1] علج علي (1568-1587م) أسر في سواحل –كالابريا- وعمره 18 سنة فاعتنق الإسلام ثم أخذ يرتقي في مناصب الدولة إلى أن وصل باي البايات سنة 1568م.

[2] يحي بوعزيز، الموجز ....، المرجع السابق، ص266.

[3] عزيز سامح ألتر، المرجع السابق، ص100.

[4] حسن آغا: من مواليد سردينيا وقع في أيدي القراصنة الجزائريين وهو ما يزال بعد طفلا فتبناه خير الدين وعطف عليه تولى الحكم عام 1531م وفتح مستغانم في 1539م وبسكرة عام 1540 وتوفي في شهر رمضان 1545م . (أنظر: ابن المفتي بن رجب، تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، تح: فارس كعوان، بيت الحكمة، ط1، الجزائر، 2009م، ص39.)

[5] هو شارل الخامس (1500-1558م) ابن فليب الجميل وجان المجنونة، جديه من أمه فرديناند وإيزابيلا، أصبح ملكا على إسبانيا 1516م وتنازل عن العرش لابنه فيلب الثاني وعن ألمانيا وما يتبعها لابنه فرديناند. (أنظر: صالح حيمر، المرجع السابق، ص23.)

[6] عائشة غطاس، المرجع السابق، ص28.

ورغم التجهيز الكبير لهذه الحملة إلا أنها منيت بخسارة فادحة أمام الهجوم البطولي **لحسن آغا** وبالعناية الإلهية كما تذكر الروايات التاريخية، إذ أقبلت رياح شديدة من الشمال الغربي وأمطار كثيفة حطمت جل سفن الإسبان وشردت الجند وأجبرت شرلكان على الانسحاب فاشتهرت حينها مدينة الجزائر بالمدينة المحروسة.[1]

وقد كان لهذا الانتصار أصداء كبيرة في البلاط العثماني إذ يقول **وليام سبنسر** عن مدينة الجزائر في هذه الفترة: " ...أن الاتصالات من الباب العالي إلى مدينة الجزائر كانت من القلة بحيث تشبه الاتصال مع رئيس دولة قائم بذاته أكثر منها مع خليفة بايلرباي..."،[2] حيث أثنى السلطان **سليمان القانوني** ثناء كبيرا على **حسن آغا** ووجه له أمر نيابة الجزائر ويذكر **ابن رقية التلمساني** في كتابه: " فعند ذلك وجه السلطان بخلعة عظيمة سنية وأمر كريم يتضمن نيابته بالجزائر من قبل السلطان وأنه من جملة وزرائه..."[3]

وبهذا بدأت تضح معالم الإيالة الجزائرية العثمانية، فربطت بالخلافة العثمانية علاقات سياسية وعسكرية تميزت طول الفترة الأولى بالارتباط القوي والتبعية للباب العالي بداية من تعين بايلربايات الجزائر، حيث كان السلطان العثماني من يعينهم متبعا في ذلك عدة اعتبارات، كشهرتهم في مقاتلة الأعداء مثل **خير الدين** و**حسن آغا**، أو لشهرة آبائهم كحسن بن خير الدين ومحمد بن صالح رايس أو لثقته الكبيرة فيهم كصالح رايس الذي كان قائدا للسفينة السلطانية قبل تعيينه بايلربايا على الجزائر وأحيانا كان السلطان يستشير العارفين بالإيالة وأحوالها لتعيين بايلرباي الجزائر.[4]

---

[1] مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق، ص33.

[2] وليم سبنسر، المرجع السابق، ص39.

[3] محمد بن رقية التلمساني، المصدر السابق، ص18-19.

[4] عائشة غطاس، المرجع السابق، ص45.

فاهتم خلفاء خير الدين بتحقيق الوحدة الإقليمية والسياسية للجزائر عبر مد نفوذهم وسيطرتهم إلى مختلف جهاتها، وقضوا على الإمارات والسلطنات المحلية،[1] ويعتبر **صالح رايس**[2] بطل تحقيق هذه الوحدة فوصل نفوذه إلى الواحات بالجنوب وقضى على الدولة الزيانية بتلمسان 1554م وفرض طاعة السلطة المركزية للجزائر في كافة المناطق.[3]

4- تطور النظام السياسي في الجزائر خلال الحكم العثماني:

بعد إلحاق الجزائر رسميا بالدولة العثمانية وتعيين خير الدين بربروس بيلريك عليها، أصبحت أول إيالة عثمانية في شمال إفريقيا، وبدأت تعبر فعليا على الوجود العثماني فيها باعتبارها قاعدة للجهاد البحري ضد القوى المسيحية خاصة اسبانيا، فدخلت الجزائر تحت نظام الحكم العثماني هذا النظام السياسي الذي ارتبط فعليا بالسياسة العثمانية وسلطة الحاكم العثماني في الباب العالي وتمثيله في الجزائر بالحاكم العثماني الملقب في الأول الأمر بالبيلرباي،[4] فاتسم نظام الحكم أثناء العهد العثماني بتعاقب عدة فترات تاريخية محددة،[5] تعبر عن تطور الحكم من ناحية صلاحيات الحاكم وكذا علاقاته مع الباب العالي، وقد كان الحكام الجزائريون تربطهم بالباب العالي علاقة تحالف، فهم

---

[1] يحي بوعزيز، الموجز...، المرجع السابق، ص22.

[2] تقلد الحكم سنة 1552 استطاع توسيع حدود الدولة الجزائرية بعد أن ضم تلمسان، وبذلك سقطت الدولة الزيانية سنة 1554م. (الطاهر عمري، تاريخ الجزائر والمشرق في العهد العثماني، المدرسة العليا للأساتذة، قسنطينة، WWW.Efad.ufc.dz، ص10.)

[3] نفسه، ص10.

[4] سفيان صغيري، العلاقات الجزائرية خلال عهد الدايات في الجزائر 1671-1830م، رسالة ماجستير، جامعة حاج لخضر باتنة، السنة الجامعية2011-2012م، ص25.

[5] سعيدوني ناصر الدين والمهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص14.

يتعاملون مع الدول الأوروبية بصفة مباشرة،[1] وتدخل السلطة المركزية بالباب العالي في الشؤون الجزائرية محدود ولا سيما أن الجزائر كانت من الناحية الجغرافية بعيدة عن مركز الخلافة وهذه الوضعية جعلت الجزائر شبه "جمهورية لها صفة عسكرية".

ويمكن تقسيم فترات الحكم العثماني إلى أربعة فترات[2] حيث تمثل كل فترة نظاما سياسيا معينا للحاكم فيه صلاحيات وإمتيازات وهي كالأتي:

أ- مرحلة البايلربايات 1519-1587م

بدأت هذه المرحلة باعتلاء بابا **عروج** حكم الجزائر سنة 1519م وبعد استشهاده خلفه أخوه **خير الدين بربروس**، الذي تم في عهده ربط الجزائر رسميا بالدولة العثمانية وتعيينه بيلرباي عليها سنة 1519م، وقد خضعت الجزائر لسلطته التي امتدت من منطقة الجزائر حتى الحدود المصرية حيث ضمت ولاية تونس.[3]

وبعد الحملة الاسبانية سنة 1519م على مدينة الجزائر التي انتهت بانسحاب الإسبان بحيث أهلكت زوبعة البحر أسطولهم،[4] فبعد هذا النصر نصب **خير الدين أحمد ابن القاضي** واليا على الناحية الشرقية ومحمد بن علي على الناحية الغربية، فأراد أن يحكم معتمدا على ولاة من أهل

[1] يحي بوعزيز، الموجز..، المرجع السابق، ص255.

[2] هناك من قسم الحكم العثماني في الجزائر إلى خمس مراحل مثل أحمد توفيق المدني في كتابه محمد عثمان باشا ونقده على التقسيم أبو القاسم سعد الله في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي، ومنهم من قسمها إلى ثلاث مراحل مثل ما جاء في رسالة ماجستير لخليفة حماش.

[3] أحمد السليماني، النظام السياسي الجزائري في العهد العثماني، دار الكتاب، ط1، الجزائر، ص10-11.

[4] أحمد توفيق المدني، حرب...، المرجع السابق، ص25.

البلاد،[1] فإستمال أهل تونس ابن القاضي وأهل الغرب استمالهم محمد بن علي ودفعوهما للثورة ضد خير الدين والتخلص من سلطته، فانتصر **ابن القاضي** داخل مدينة الجزائر وانسحب خير الدين إلى جزيرة جربة، فحكم بن القاضي سبع سنوات ولكن خير الدين أعاد الكرة ودخل الجزائر بإعانة أهلها سنة 1527م فتمكن من إخضاع البلاد من قسنطينة إلى تلمسان وتمكن من تطهير قلعة الجزائر "البنيون".

وهكذا تمكن خير الدين من تحقيق وحدة الايالة الجزائرية،[2] وتقديم المساعدة لمسلمي الأندلس، فاستطاع من خلالها أن يعزز مكانته ويزيد من ثقة أهالي الجزائر الذين ناصروه ووقفوا معه، وظهر ذلك جليا في مساندتهم له في التصدي للحملة الاسبانية على مدينة الجزائر سنة 1549م والتي قادها **هيغودي مونكادا** (Hugo De Moncada) والتي انتهت بهزيمة للأسبان.[3]

وعند اشتداد وطأة الإسبان على أتراك الشرق أصدر السلطان العثماني سليمان القانوني أمر بتسمية **خير الدين** قبطان باشا فسافر إلى استانبول لقيادة الأسطول التركي ووضع مكانه حسان آغا 1533-1541،[4] وقد إستطاع حسن بن خير الدين من إعادة تنظيم أمور الإدارة بعد أبيه فقسم

[1] أحمد توفيق المدني، حرب...، المرجع السابق ، ص25.

[2] برنيان أندري وآخرون، الجزائر بين الماضي والحاضر، تر: اسطمبولي رابح و عاشور منصف، د.م.ج، الجزائر، 1984م، ص126.

[3] سفيان صغيري، المرجع السابق، ص25.

[4] حمودة محمود عباس، الوثائق العثمانية في تركيا ومصر ودول شمال إفريقيا، دار غريب للنشر والطباعة والتوزيع، القاهرة، 1999م، ص30.

الجزائر إلى أربع بايليكات وهي: دار السلطان وبايليك التيطري ومركزه المدية وبايليك الشرق وبايليك الغرب ومركزه مازونة فمعسكر فوهران، وبقي هذا التنظيم إلى أخر العهد العثماني.[1]

كما كان لكل مدينة حكومتها التقليدية يترأسها شيخ البلد، وديوان المدينة يتكون من أعيان الأغنياء والموظفين الرسميين، كما أن أهل البادية الرحالة أو شبه الرحالة فكانوا يعيشون بأعرافهم الخاصة.[2]

امتاز عهد البيلربايات بوجود هيكل حكومي يتكون من باشا والدواوين والقياد والبايات، والقوانين المطبقة كان أساسها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وكان هناك مذهبان المالكي يعتنقه الجزائريون والمذهب الحنفي يعتنقه الأتراك والكراغلة والحضر أما بالنسبة لليهود والنصارى فكان لهم محاكم خاصة،[3] كما كان بجانب البيلرباي عدد من المساعدين منهم أميرال تنتخبه طائفة الرياس وأغا الانكشارية وكتاب ومترجمون ومبعثون لحمل الأوامر وأمين مال يشرف على الأموال.

ولقد كان معظم البيلربايات أقوياء ذوي سلطة ونفوذ واسعين حيث تمكنوا من السيطرة على تونس والمغرب وتعيين باشاوات هاتين الأخيرتين كما كانوا يعينون من يخلفهم عند نقلهم، وكانت صلتهم بالباب العالي قوية لما لهم من قدرة في حكم البلاد كما قاوموا الإسبان وقدموا المساعدة لمسلمي الأندلس،[4] وفي عهدهم حققت الجزائر وحدتها الإقليمية والسياسية وامتد نفوذهم إلى الشرق والغرب والجنوب حتى ورقلة وبسكرة بالإضافة إلى اهتمامهم بالمظاهر العمرانية فشيدوا لحصون

[1] Mouloud Gaid, Chronique des beys de Constantine, Office des publications universitaires, Alger, P13.

[2] يحي بوعزيز، الموجز..، المرجع السابق، ص265-266..

[3] أحمد السيلماني، النظام ...، المرجع السابق، ص18.

[4] المرجع السابق، ص278.

والقصور والمساجد والحمامات، أما من الناحية الاقتصادية فتميزت الجزائر بالغنى في المنتوجات الزراعية والصناعية وذلك بسبب توفير الموارد الطبيعية والمالية.[1]

والملاحظ أنه منذ عهد خير الدين ومن لحقوه كان الارتباط قوي بالباب العالي، لكن سرعان ما حدث تطور كبير في العلاقات الجزائرية العثمانية وذلك باستبدال نظام البايلربايات بنظام الباشوات.

ب- مرحلة الباشوات (1587-1659م):

لقد كان ولاة عهد البيلربايات أقوياء وخوفا من انفصال ايالة الجزائر عن الباب العالي، بادر السلطان العثماني إلى تعين حاكما برتبة "باشا"[2] يشرف على تسيير شؤون الايالة لمدة ثلاث سنوات[3] خوفا من أن تطول مدة حكمه فيسيطر على شؤون الولاية،[4] وقد مر بهذا المنصب "34" باشا.[5]

وقد شارك في حكم الباشوات الوجاق،[6] والديوان الذي يتكون من الضباط الإنكشارية فأصبح (الديوان) يشرف على الشؤون الداخلية والخارجية، وخوفا على منصبه كان الباشا يضطر إلى

---

[1] أحمد توفيق المدني، حرب...، المرجع السابق، ص27-32.

[2] الباشا معناها رئيس الرؤساء ومشتقة من "باد شاه" الفارسية وهي كلمتان باد تعني العرش وشاه صاحب أي صاحب العرش.

[3] كورين شوفالييه ، المرجع السابق، ص77.

[4] أحمد توفيق المدني، حرب...، المرجع السابق، ص32.

[5] وليم سبنسر، المرجع السابق، ص64-65.

[6] الوجاق: هم كبار ضباط الأتراك الذين يعملون في الجيش التركي وكان لهم نفوذ في الديوان. (أنظر: أحمد السيلماني، النظام ...، المرجع السابق، ص13.)

الأخذ برأيهم في أي قرار يتخذه فكان يصدر مراسيمه باستعمال العبارة التالية "نحن الباشا وديوان الانكشارية الجزائر الذي لا يقهر".[1]

وكان دالي أحمد باشا أول الباشوات الذي عينه السلطان العثماني فافتتح عهده بالقيام بعدة غزوات على الشواطئ الايطالية والإسبانية،[2] ورغم أن هذا النظام ضمن للباب العالي سيطرته على الجزائر وباقي بلدان شمال إفريقيا،[3] إلا أنه كان يحمل في طياته مظاهر الضعف والعجز والعنف، لأنه بحكم تحديد مدة الحكم كل باشا أصبح يهتم بمصلحته ويجمع الأموال بمختلف الوسائل لثرائه قبل رحيله على حساب السكان الذين أرهقوا بالضرائب، فتفشت ظاهرة شراء منصب الباشوية بالأموال والهدايا،[4] وإلى جانب هذا أخذ هؤلاء الباشوات بمرور الزمن يفقدون سلطتهم التي تحولت إلى مجلس الديوان والأوجاق الذين أصبحوا يسطرون على الأوضاع ويحدون من سلطان الولاة،[5] وباحتدام الصراع بين القوتين العسكرية البرية والبحرية وتمرد بعض القبائل وثورات الكراغلة،[6] فلم يعد الباشوات الباشوات يسيطرون على الوضع، وقد نافسهم في السلطة السياسية والإدارية الإنكشارية،[7] وبهذا انتقلت السلطة في الجزائر للأغاوات.[8]

[1] كورين شوفالييه، المرجع السابق، ص77.

[2] عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص112.

[3] يحي بوعزيز، الموجز...، المرجع السابق، ص278.

[4] صالح عباد، المرجع السابق، ص107.

[5] المرجع السابق، ص278.

[6] الكراغلة: مصطلح يطلق في الجزائر على المولودين من أب عثماني وأم جزائرية. (أنظر: أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص19.)

[7] الانكشارية: وهو مصطلح مركب من جزئين "يني" بمعنى جديد و "جري" بمعنى العسكر وبالتالي فهي تعني العسكر الجديد وقد أنشأها أورخان بن عثمان (727-761هـ). (أنظر: سهيل صابان: المرجع السابق، ص15.)

[8] وهو جمع آغا: وهو مصطلح من أصل فارسي وتعني السيد واستعمل من طرف الأتراك وكان يطلق على الضباط الأميين. (أنظر: نفسه، ص49.)

ت- مرحلة الآغاوات (1659-1671م):

في أواخر فترة حكم الباشا إبراهيم قامت ثورة عارمة قادها رياس البحر من جهة والجنود الإنكشارية من جهة أخرى، فالرياس ثاروا بسبب قيام إبراهيم باشا بحرمانهم من المبالغ المالية التي خصصها لهم الباب العالي تعويضا عن خسارتهم في الأدرياتيك و قيامه بدفعها كرشوات لرجال الدولة في القسطنطينية حتى يبقوه في منصبه.[1]

أما الانكشارية فكانوا باستمرار يحاولون اغتنام الفرصة للاستيلاء على الحكم فوجدوا هذا الحدث مناسب فقاموا بانقلاب مفاجئ وقضوا على سلطة الباشا الذي أصبح ممثل شرفي للباب العالي واتفقوا مع السلطة التنفيذية على تعيين "أغا" وفترة حكمه لا تزيد عن شهرين،[2] كما تم تحديد تحديد نفوذه وجرى حصر سلطات الآغا في تنفيذ مقررات الديوان ومجلس الحكومة،[3] فأرغم السلطان السلطان العثماني على قبول هذا ولكنه اشترط أن يتولى الديوان دفع رواتب الجند التركي.[4]

ومنذ البداية حمل هذا النظام في طياته بوادر الانحلال والتفكك والفوضى فتولي الآغا لمدة شهرين ثم عزله والإتيان بأخر لا يساعد على الاستقرار،[5] بحيث أصبحوا يرفضون التخلي عن

---

[1] يحي بوعزيز، الموجز...، المرجع السابق، ص286.

[2] ناصر الدين سعيدوني ، دراسات في الملكية العقارية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، ص479.

[3] الديوان: كلمة معربة من الفارسية نقلت إلى العربية حوالي عام 800م لتدل على مكان يجمع إدارة شؤون هيئة سياسية ما مثل الديوان الملكي الذي يجمع الموظفين...(للمزيد أنظر: عبد الحفيظ لكحل، المرجع السابق، ص121.)

[4] عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص 157.

[5] زاهية قدورة، تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، 1985م، ص479.

مناصبهم فسادت الفوضى والاضطراب واغتيل الأغاوات الأربعة من طرف الجنود لعجزهم عن تلبية متطلبات الجنود المادية.[1]

وقد عرف هذا العهد كغيره من العهود عدة تطورات أهمها أطماع "لويس 14" وقد جرى الاهتمام بوضع الخطط لاحتلال مدينة الجزائر وإرسال بعض الجواسيس لدراسة الأوضاع منذ عام 1658م، فوجه حملة سنة 1663م على جيجل وإعادة الكرة في عام 1664م واحتلها قرابة ثلاثة أشهر إلا أن الأهالي تمكنوا من طردهم، بالإضافة إلى أطماع الانجليز الذين هاجموا الجزائر سنة 1669م وأحدثوا بها تخريبا،[2] وقد أدت هذه الظروف إلى ظهور تدمر شعبي ضد ضعف الأغاوات فقامت ثورة انتهت بمقتل علي آغا وبالتالي انتهاء عهد الأغاوات.

ث- **مرحلة الدايات**[3] (**1671-1830م**):

كانت هناك رغبة ملحة في إلغاء نظام الآغا وإحداث نظام الدايات وذلك بسبب الخطر المحدق الذي أصبح يعيشه الآغا، ويتجلى في خطر الاغتيال الذي يتعرض له بصفة مستمرة من رياس البحر، فكانت الفرصة لطائفة الرياس لاسترجاع نفوذهم بإلغاء نظام الآغاوات، ورغم هذا الانقلاب الذي حدث في نظام الحكم فإن السلطان العثماني استمر في تعيين الباشوات إلا أن وجودهم في الجزائر كان شرفيا فقط.

---

[1] مصطفى شاكر، موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها، دار العلم للملايين، ط1، بيروت، 1993م، ج3، ص180.

[2] يحي بوعزيز، الموجز...، المرجع السابق، ص287-288.

[3] وهي جمع داي والداي تعبير تركي يعني الخال ولا تزال بعض الأسر العريقة من أهل مدينة الجزائر تعرف الخال وتناديه بهذا الإسم، كان الدايات ينتخبون في بادئ الأمر من طائفة الرياس (1671-1689م) ثم استرجع الأوجاق نفوذهم فأصبح الداي من بين الضباط الانكشارية. (أنظر: أحمد السليماني، النظام...، المرجع السابق، ص16.)

وقد تمكن الداي مع مرور الوقت أن يجمع بين المنصبين الداي والباشا عندما رفض الداي علي شاوس سنة 1710م استقبال الباشا الجديد الذي عينه السلطان، ومنذ ذلك الوقت أصبح الداي غير مقيد بقراراته كما كان الشأن في العهود الأولى،[1] وكان اختيار الداي يتم في بداية العهد الجديد من بين رياس البحر كما كان الشأن مع الدايات الأربعة الأوائل، ثم تحول بعد ذلك إلى الوزراء أو رجال الدولة من أمثال الخزناجي وخوجة الخيل وآغا العرب.[2]

فخلال القرن الثامن عشر للميلاد سعت الدبلوماسية الجزائرية إلى توسيع علاقاتها السلمية مع الدول الأوروبية (مثل فرنسا وبريطانيا واسبانيا وغير أوربية مثل الو.م.أ) خاصة تلك التي لها مصالح في المتوسط،[3] بقيامها بعلاقات دبلوماسية منفردة، من خلال عقد المعاهدات الثنائية بين الجزائر وهذه الدول.[4]

ولقد تصرف الدايات الباشوات وفق المصلحة الجزائرية من خلال الانفصال سياسيا عن الباب العالي مع الإبقاء على الروابط التاريخية والدينية التي تجمع الجزائريين بالسلطان العثماني خليفة المسلمين، فرفض دايات الجزائر في هذه المرحلة تدخل الباب العالي في الشؤون الداخلية وبخاصة السيادة الخارجية،[5]

---

[1] أرزيقي شويتام، المرجع السابق، ص22.

[2] عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص46.

[3] جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني، الجزائر، 1994م، ص52.

[4] يلماز اوزتونا، المرجع السابق، ص254.

[5] سيمون بفايفر، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تقديم وتعريب: أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974م، ص45.

فكان العصر الأخير من حكم الدايات (1791-1830م) مليئا بالثورات الشعبية ومؤمرات الإنكشارية، حيث طالت الاغتيالات معظمهم،[1] ولم تكن مدة حكمهم تستمر طويلا رغم أن القانون يمنحهم السلطة مدى الحياة، وكان الداي **محمد بن عثمان** الذي قضى على القيود التي كانت تحد من صلاحياته وتجعل له شركاء كثيرين أطولهم حكما، حيث استمر في السلطة طيلة 25 سنة (1766-1791م) ولم تعرف الجزائر بعده دايا من نفس مرتبته وعدله واستقرار البلاد طول مدة حكمه.

ويقول حمدان بن عثمان خوجة عن تطور النظام السياسي في إيالة الجزائر مايلي:"...كان الدايات لا يعزلون إلا نادرا في الأيام الأولى في عهد الأتراك، وعندما أصبح الباشوات والدايات جشعين يجرون وراء الثروة، وكثرت التبديلات والتغييرات التي كانت مضرة بالنسبة لشعب وللحكومة على السواء...".[2]

ومن مميزات هذه المرحلة:

1-امتياز نظام الدايات بالانتخاب مدى الحياة للداي.

2-التغافل والصمت عن الغزوات والحروب التي كان يقوم بها بعض الرياس مع الدول الأوربية، فأصبحت السواحل الجزائرية تعيش في رفاهية ولم تبحث عن موارد داخلية ولم تحاول مواكبة التطور الجديد الذي عرفته أوروبا الغربية.

---

[1] أنظر الملحق رقم 05.

[2] حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تعريب وتقديم: محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م، ص200.

3-من أهم الأحداث التي وقعت في هذا العهد استرجاع وهران والمرسى الكبير من الاحتلال الاسباني والذي بقي بهما حوالي ثلاثة قرون.

4-كما تميزت هذه المرحلة أيضا بتغير عقلية الرياس من عقلية الجهاد إلى عقلية القرصنة ويعتبر هذا العامل المميز أهم عوامل زوال سلطة الدولة العثمانية والقضاء على إمبراطوريتها.[1]

ومن خلال عرض بدايات العلاقات الجزائرية مع الباب العالي وكيفية إلحاقها الرسمي نستنتج ما يلي:

شهد الوضع الداخلي للمغرب الأوسط بعد سقوط غرناطة وسقوط الموحدين بعد ذلك، تناحر الإمارت التي جاءت بعدها من جهة، وتزايد الخطر الخارجي المتمثل في الدول الأوروبية وعلى رأسها إسبانيا من جهة أخرى، كلها أسباب عجلت بوجود الإخوة بربروسا في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط فكان حتميا ربط الصلة بين الإخوة بربروسا والدولة العثمانية وبذلك ارتبطت الجزائر رسميا بالدولة العثمانية من خلال الرسالة التي بعث بها أعيان مدينة الجزائر للسلطان سليم الأول بتوصية من خير الدين بربروسا.

فعرف نظام الحكم في الجزائر العثمانية مراحل مختلفة تمثل كل منها نظاما سياسيا معينا، ومن هنا عرفت العلاقات بين الباب العالي والإيالة الجزائرية تطورات واضحة من ارتباط مباشر في مرحلة البيلربايات والباشوات ليغير هذا النظام، لأن الدول العثمانية وجدت أن ولاة الجزائر أصبحوا يحكمون القطر حكما مطلقا، ويتصرفون في شؤونه بكل حرية، رغم اعترافهم بسيادة الباب العالي وبهذا تغير الحكم إلى نظام الآغاوات ولم تدم هذه المرحلة كثيرا حيث سارت الفوضى وانعدام الاستقرار، فبدأت

[1] عبد الجليل التميمي، أعمال المؤتمر العالمي الرابع للدراسات العثمانية (حول الحياة الإدارية وبروز القوميات ودور الأقليات في الولايات العربية أثناء العهد العثماني)، مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، تونس ، 1992م، ص77-78.

تظهر سياسة الاستقلال النسبي عن الباب العالي، مما أدى إلى إقرار نظام الدايات لتظهر فيه جليا استقلال إيالة الجزائر عن الباب العالي سنة 1711م برفض الداي "علي شاوش" استقبال الباشا الجديد الذي عينه السلطان.

الفصل الثاني:

العلاقات السياسية بين إيالة الجزائر

والدولة العثمانية

لقد تعددت أنظمة الحكم في الجزائر في العهد العثماني فعرفت أربعة أنواع من الحكم: وهي نظام البايلربايات 1519-1587م، ونظام الباشوات 1587-1659م ونظام الأغوات 1659-1671م، ونظام الدايات 1671-1830م، وهذا التعدد في طريقة حكم الجزائر لم يكن له تأثيرا سلبيا على علاقة الجزائر بالباب العالي فقد أصبحت الجزائر قاعدة عسكرية متقدمة في غرب البحر الأبيض المتوسط، فرغم البعد الجغرافي للإيالة عن الباب العالي إلى أنه استطاع أن يحافظ على مظاهر الارتباط خلال هذه المدة الطويلة دون أن ننسى تنوع العلاقات السياسية بين الإيالة والباب العالي، من خلال تأثير هذا الأخير في السياسة الداخلية للإيالة وهذا ما سنحاول عرضه في هذا الفصل.

المبحث الأول: مظاهر ارتباط الجزائر بالباب العالي

عرفت العلاقات السياسية بين الجزائر والباب العالي تطورا وتغيرا ارتبط بالعديد من المظاهر والعوامل التي أثرت في بعض الأحيان في العلاقة بين الطرفين ومن أبرز مظاهر هذا الارتباط السياسي بين الجزائر والباب العالي مايلي:

1- تبادل الهدايا بين إيالة الجزائر والباب العالي

منذ أواسط القرن السادس عشر الميلادي أخذت العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي طابعا مميزا[1] بسبب احترام المصلحة المتبادلة في السياسة الخارجية للطرفين والخصوصية الجغرافية التي تميز موقع الجزائر في قلب المغرب الإسلامي، والبعد الجغرافي بين الجزائر وعاصمة الخلافة العثمانية إلى جانب عناية الباب العالي بالجزائر بصورة أكثر عمقا وتركيزا[2] لأنها تمثل قاعدة أمامية لمواجهة القوى الأوروبية المسيحية.

فكان تبادل الهدايا بين الجزائر واستانبول يشكل الأرضية الصلبة التي بني عليها جسر العلاقات السياسية والعسكرية التي ظلت قائمة بين الجانبين طيلة ثلاثة قرون،[3] فاتخذ تبادل الهدايا بين الايالة والباب العالي أهمية تاريخية ملحوظة ومثلت في الغالب طابعا دبلوماسيا كترضية للسلاطين العثمانيين وتأكيد الارتباط الجزائر بالدولة العثمانية،[4] وعند قدوم البعثة الجزائرية المحمل بالهدايا تستقبل

---

[1]جمال قنان، قضايا ...، المرجع السابق، ص45.

[2] يلماز أوزتونا، المرجع السابق، ص254.

[3] خليفة ابراهيم حماش، العلاقات بين ايالة الجزائر والباب العالي من سنة 1798 إلى 1830م، رسالة ماجستير ، جامعة الإسكندرية، السنة الجامعية 1988م، ص149.

[4] ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني 1792-1830م، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م، ص146-149.

من طرف السلطان العثماني ثم تقام مراسيم كبيرة لذلك وكل هذا تقديرا للمكانة التي كانت تحظى بها إيالة الجزائر،[1] وكانت للهدية مناسبات مثل:

1) رسخت كتقليد على كل داي "باشا" جديد أدائها اتجاه السلطان العثماني لكي يتم ترسميه، ولكن في الفترة الأخيرة أصبحت تعبيرا عن الولاء واعترافا بالتبعية أكثر من هدف الحصول على الترسيم منه، فكان بعض الولاة يرسلون الهدية بعض أشهر من توليهم الحكم وإن البعض كان يرسلها بعض سنتين على تعينهم (مثل **مصطفى باشا** سنة 1203-1222هـ/1798-1807م فلم يرسل هديته إلى بعد مرور سنتين ونصف على تعينه) فلم يكن السلطان يعط لذلك أي اهتمام فكان يرسل إلى الولاة فرمان الترسيم قبل أن يقوموا بإرسال هداياهم إليه.

وكانت الهدية التي يرسلها باشاوات الجزائر بمناسبة تعينيهم في الحكم إلى السلطان العثماني من أهم الهدايا التي كانت الايالة ترسلها إلى الباب العالي الذي كان يرد عليها بهدية مثلها.[2]

2) كذلك توجه هدية إلى الباب العالي مرة في كل ثلاث سنوات وتعتبر هذه البعثة ذات أهمية شرفية، ولا تكلف القيام بها إلا الحكومة التي تتمتع بحظوة كبيرة لديه وكانت في أغلب الأحيان يرسل البشكش[3] إلى السلطان، لكن نادرا ما ترسل إلى وزراء الباب العالي ومساعديهم، وفي مقدمتهم " القبطان دريا" الذي كانت له يد قوية على الايالة، وكانت

[1] خط همايون عدد 57416 تاريخ 1203هـ/1785م. (ينظر الملحق رقم: 6)

[2] خليفة ابراهيم حماش، المرجع السابق، ص149-151.

[3] البشكش: الهدية.

تسعى لكسب موقفه لصالحها، ولهذا أرسل **أحمد باشا** أجمل سفينة "الريس حميدو" حمل الهدية له.[1]

ويرجع تاريخ تبادل الهدايا بين الجزائر والدولة العثمانية منذ ارتباط الجزائر بالسلطنة العثمانية 1519م حيث أرسل **خير الدين** هدية معتبرة إلى السلطان العثماني **سليم الأول** فكانت عبارة عن أربعة سفن محمل بمختلف الهدايا مع أربعين أسيرا وأربعة قباطنة،[2] فرد عليه السلطان العثماني سليم الأول بهدية معتبرة المتمثل في ألفين من الجنود المسلحين وعدد من المدافع إلى جانب عدد من المتطوعين والأسلحة، وقد أصبح هذا التقليد في نوع الهدايا المرسلة إلى الجزائر من طرف سلاطين الدولة العثمانية قائما بعد **سليم الأول** إلى السلطان العثماني **محمود الثاني** 1808-1839م الذي تزامنت فترة حكمه بسقوط الجزائر تحت الاحتلال الفرنسي عام 1830م.[3]

وتتمثل الهدايا المرسلة إلى السلطان بوجه عام في أشياء عديدة تشتهر الجزائر بصناعتها ويدخل معظمها في الاستعمالات اليومية للسلطان ووزرائه، وتأتي في مقدمتها المنسوجات الصوفية،[4] إضافة للغنائم التي يحصل عليها من الغنائم البحرية وأحجار بحرية وأسرى وغيرها، ويتم توزيع الهدايا على السلطان وأفراد حاشيته بحصص متفاوتة كل حسب مركزه في الدولة، وفي مقدمتهم السلطان والصدر الأعظم وشيخ الإسلام وآغا دار السعادة والقابودان باشا ورئيس الكتاب وغيرهم، ويسمى الرسول الذي يحمل الهدية والرسالة المبعوثة بآغا الهدية.[5]

---

[1] وليام شالير، مذكرات القنصل الأمريكي في الجزائر (1816-1824م)، تق وتعليق: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م، ص 44.

[2] عزيز سامح ألتر، المرجع السابق، ص72.

[3] سفيان صغيري، المرجع السابق، ص60.

[4] خليفة إبراهيم حماش، المرجع السابق، ص152.

[5] رحمونة بليل، القناصل والقنصليات الأجنبية بالجزائر العثمانية من 1568-1830م، رسالة دكتوراه، جامعة وهران ، السنة الجامعية2010-2011م، ص95.

وكان الباب العالي يولي أهمية كبيرة للهدايا الجزائرية فيستقبلها بكل فرح وسرور،[1] وإنزال السفارة الجزائرية منزل العز والقبول، وهذا يدل على مكانة الجزائر (دار الجهاد) لدى الباب العالي وارتباطها بمنصب السلطة العثمانية،[2] وعند توتر العلاقات كان الباب العالي يرفض الهدايا مثل ما حدث في عهد **مصطفى باشا** سنة 1210هـ-1800م إذ رفض السلطان **سليم الثالث** (**1203-1222هـ/1789-1807م**) استقبال بعثته وقبول هديته بسبب توقيعه معاهدة صلح مع فرنسا التي كانت تحتل مصر.[3]

وقد لعبت الهدية دور كبير في تحسين علاقات إيالة الجزائر مع الباب العالي، وهذا يظهر جليا بعد سنة 1711م عندما أرسل الداي **إبراهيم شاوش** سفارة إلى السلطان العثماني **أحمد الثالث** 1703-1730م محمل بهدية ثمينة أقنعت السلطان العثماني بوجهة نظر الداي حول الباشا، فأصبح من خلالها الداي الجديد يحمل لقب الداي مقرونا بالباشوية وتحصل بالتالي على التزكية من طرف السلطان.[4]

وكانت قيمة الهدايا المتبادلة بين السلطتين تختلف من داي إلى آخر، فمن بين الهدايا التي بعثت بها الجزائر إلى الباب العالي: تلك التي بعث بها **علي باشا** (**1168-1179هـ/1754-1766م**) للسلطان[5] وكان رئيس الوفد **محمد** وكيل الخرج في 16 شوال الموافق ل 1758م وتتمثل فيما يلي:

---

[1] عزيز سامح ألتر، المرجع السابق، ص594.

[2] وليام سبنسر، المرجع السابق، ص14.

[3] خليفة إبراهيم حماش، المرجع السابق، ص160.

[4] عزيز سامح ألتر، المرجع السابق، 463.

[5] علي باشا: لقد جاء بعدما اغتيل الداي محمد بن بكير (1748-1754م)، لقب ببوصباع وتولى الحكم سنة 1754-1766م فدام حكمه 12 عاما ويعتبر من أطول المدة في الحكم التي تدل على استقرار الأوضاع والهدوء في عهده، فأوصى الولاية بعده لمحمد بن عثمان، وصف نظام حكم الداي بالرزانة وحسن التدبير فقد كان يعرف ويعيش أحول البلاد ومعانات أهلها

- 32 زربية من الجنوب الإيالة و25 حايك أحمر صنع بورقلة.
- 30 حايك أبيض صنع بورقلة و44 حايك أحمر صنع بتلمسان.
- 80 حزام حريري مذهب و12 غطاء من الشراشف.
- مسبحتان من العنبر و71 مسبحة من المرجان.
- 16 حزام عادي و10 نجاد (حمالة البنادق).
- 8 أكياس للبارود و8 مسدسات فاخرة.
- 30 عبدا و50أسير مسيحي.[1]

وعندما تولى محمد **عثمان باشا**[2] الحكم أرسل مع **أحمد خوجة** هدايا إلى السلطان العثماني تمثلت فيما يلي:

- 40 زربية من زرابي الصحراء.
- 15 غطاءا من الصوف.

=بكل تفاصيلها، أما سياسيا فالوضع كان أكثر استقرارا مما كان عليه سابقا إذ غدت السلطة الحقيقية في يد الداي والوزراء والموظفين السامين الذين يعينون من قبل الداي فيعملون بإرادته ويخضعون لأوامره. (أنظر: صليحة جبار، الجزائر في عهد الداي علي باشا 1754-1766م، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر2، السنة الجامعية 2010-2011م، ص34-52)

[1] Albert Devoulx, Tachrifat recueil de notes historiques sur l'administration de l'ancienne régence d'Alger, bibliothèque nationale, Alger, 1852, p40.

[2] محمد عثمان باشا أصله من بلاد فرمان التركية المواجهة لجزيرة رودس حين قدومه للجزائر تمكن من الانضمام إلى هيأة الخوجات، تم ارتقى إلى منصب خوجة النوبنجية، ومن هذا المنصب الذي لا يتولاه إلا كبار الأمناء رفعه علي باشا إلى منصب الخزناجي وعهد له بالولاية بعده فتولى الحكم بين 1766 -1791م . (أنظر: أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791م سيرته حروبه أعماله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، ص79-80.)

- 10 بنادق 10 أزواج فرود.
- 10 صناديق من الذهب والفضة لوضع البارود.
- 50 من العبيد المسيحيين وساعة مرصعة وخاتم بفص من الألماس وغيرها.

كما أرسل مع **حسان** وكيل خرج البحرية الجزائرية مجموعة من الهدايا إلى إستانبول في 6 شوال 1189هـ الموافق ل29 نوفمبر 1775م وتمثلت فيما يلي:

- 52 حزما حريريا 60 سبحة من المرجان، 60 سبحة من العاج وسبحتين من العنبر و22 غطاء من الصوف الرطب.
- 10سيوف 10فرود 10مكاحل، 10 صناديق لوضع البارود، 10جربات لوضع الرصاص.
- 10 ساعات وخاتم لجلالة السلطان.
- 16 زنجيا من المماليك و10زنجيات و70 مملوكا من الأسرى المسيح...إلخ.

كما قدم الباب العالي لداي **محمد عثمان** هدايا تتكون من 6 مدافع مختلفة الأحجام و250 مجدافا و60 عجلة للمدافع و1577 قنبلة للمدافع كما أرسل له هدايا أخرى في عهده جلها مساعدات عسكرية.[1]

وفي بعض الفترات كانت الهدايا كبيرة وقيمة تجذب الأنظار إليها مثل هدية الداي **عمر باشا** في عام 1231هـ/1816م حتى تحدثت عنها جريدة المبشر الفرنسية والتايمز (Times) الانجليزية وتتمثل هذه الهدية في عدد من الغلمان وثلاثة خيول بسروجها وشكائمها المرصعة بالذهب

[1] المرجع السابق، ص150-152.

والأحجار الكريمة والبنادق ...الخ،[1] وقد وصفها **أحمد الشريف الزهار** بقوله: "أنه لم يقدم مثلها أمير قبله ولا أمير بعده".[2]

مقابل الهدايا المرسلة من إيالة الجزائر كان الباب العالي يرسل هدايا معتبرة تحوي في مجملها معدات حربية من أسلحة ومدافع ومواد نصف مصنعة تدخل في الصناعة الحربية الجزائرية، هذه المساهمة تعزز جهاز الجزائر الحربي والاقتصادي،[3] وكمثال على ذلك فقد "... رد السلطان **سليم الثالث** على هدية **مصطفى باشا** سنة 1801م بهدية تمثلت في 75 جنديا و 40 مدفعا من النحاس و 500 برميل من البارود و 1000 قنطار من الكبريت و 4 ألاف قذيفة و 500 رزمة من الأترعة وألف برميل من القطران وأجهزة أخرى مختلفة...وهدايا أخرى للباشا ومساعديه...".[4]

وفي عهد **حسين باشا** (1818-1830م) رد السلطان **محمود خان كرابيط** على هديته بمد،افع مع جميع الآلات الحربية كما بعث الخلعة والقلج (السيف) وفرمان التولية،[5] فكانت عطية السلطان العثماني أكثر أهمية باعتبار أن الجزائر في نظر السلطان جزء من أملاكه ولابد من تقديم هذه الإعانة للمحافظة عليها من الاعتداءات الأجنبية.[6]

---

[1] رحمونة بليل، المرجع السابق، ص96.

[2] أحمد شريف الزهار، مذكرات أحمد الشريف، تح: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1980م، ص121.

و شاوش حباسي، "أصول العلم الوطني الجزائري المعاصر تطوره الشكلي وتحليل مضمونه الإيديولوجي والسياسي 1518-1945م"، مجلة الدراسات التاريخية، العدد9، 1995م، الجزائر، ص104.

[3] وليام شالر، المصدر السابق، ص44.

[4] رسالة من القنصل الأمريكي نوفمبر 1801م نقلا عن خليفة حماش، المرجع السابق، ص 166.

[5] أحمد شريف الزهار، المصدر السابق، ص145.

[6] حمدان بن عثمان، المصدر السابق، ص134.

وكان يطلق على الهدية في الجزائر إسم "بشكش"[1] بمعنى الهبة التي تقدم لأحد الرؤساء أو أصحاب المنزلة لكسب مودته، رئيس الوفد الذي يحمل الهدية يعرف باسم "بشكش أغا سى" وأما نائبه فيعرف "كتخدا"،[2] وقد جرت العادة أن ترسل الهدية والوفد الحامل لها على متن سفينة حربية تابعة لدولة أجنبية حتى يضمن وصولها وعدم التعرض لها من قبل أعداء الايالة في البحر المتوسط وعلى رأسهم القديس يوحنا.[3]

فمن خلال تقديم الهدية يظهر مدى ارتباط حكام الجزائر الروحي والعاطفي بالدولة العثمانية عند تقديم الهدايا إلى الباب العالي، حيث كانوا يتنافسون في تقديم الهدايا مقارنة بما يقدمه بعض الولاة من المقاطعات العثمانية الأخرى أو بعض الحكام الذين لا ينتمون إلى النفوذ العثماني مثل حكام المغرب (السعديين) الذين كانوا يعمدون إلى تقديم الهدايا الثمينة من أجل الحصول على الترضية من الباب العالي وتأليبه على حكام الجزائر.[4]

ويجدر الإشارة أن تبادل الهدايا بين إيالة الجزائر والباب العالي اكتسى أهمية بالغة فبالإضافة إلى كونها تقليدا وعرفا سائد منذ الالتحاق إلى سقوط الإيالة، فهو يرتبط بالتعبير عن الولاء للسلطان العثماني، فاعتاد حكام الجزائر تقديم الهدايا للباب العالي فلعبت دورا كبيرا في تقوية العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي، ومن جهة أخرى كانت الهدايا تسهل عملية التجنيد من المدن العثمانية.

[1] هي كلمة عثمانية من الأصل الفارسي "بيشكش" كما أوردها أحمد الشريف الزهار في كتابه "باشكاش". (أنظر: أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص145.)

[2] خليفة حماش، المرجع السابق، ص156.

[3] نفسه، ص 157. (للمزيد حول الدول التي تحمل الهدايا أنظر إلى: خليفة حماش، المرجع السابق، ص157-178-179-160).

[4] سفيان صغيري، المرجع السابق، ص60.

2- العلاقات الدبلوماسية الجزائرية مع الباب العالي:

برزت العلاقات الدبلوماسية بين الطرفين ومثلتها العديد من الروابط والوسائل ومنها:

أ- الفرمانات[1]: لقد كان التواصل بين الجزائر والباب العالي يتم عن طريق إرسال الرسائل والتي كانت تسمى بالفرمانات وتنقسم الفرمانات إلى نوعين:

1- الفرمانات الهمايونية: وهي التي يصدرها السلطان، وإصدار مثل هذه الفرمانات كان يحدث في الحالات القصوى والمناسبات غير العادية، فكانت تأتي لترسيم والي جديد أو معالجة أمر خطير،[2] يتم تدوينه بخط الديواني في الديوان الهمايوني و يشتمل عادة على طغراء السلطان وتعليق بخطه في بعض الأحيان.[3]

فكان الداي لا يتولى مهامه ما لم يستلم فرمان التولية، كما كانت ترسل فرمان إعادة التولية ومن الأمثلة عن هذه الفرمانات مايلي:

- الفرمان الذي تلقاه **عبدي باشا** (**1136هـ/1724م**) من السلطان **محمود خان** الأول سنة 1143هـ/1730م لتوجيه منصب داي جزائر الغرب مع بقاء رتبة باي البايات كما كانت سابقا.[4]

- الفرمان الذي تلقاه "**علي باشا**" عندما نصب دايا على مملكة الجزائر سنة 1754-1766م وهذا جزء من النص:

---

[1] فرمانا: كلمة فارسية يتضمن الأوامر والتوجيهات يصدر إما من الباي أو الداي أو السلطان.

[2] خير الدين بربروس، المصدر السابق، ص65.

[3] سهيل صابان، المرجع السابق، ص164.

[4] و.م.و، مج 3205، ملف1، وثيقة 38. (أنظر الملحق رقم:07)

"قدوة الغزاة والمرابطين عمدة الحماة والمجاهدين، المختص بمزيد عناية الملك المعين داي أوجاق جزاير الغرب...معلومكم ببلوغ مكتوبكم، المتضمن وفاة باي بيلار جزائر الغرب محمد باشا...وإنحلال حكم الباي بيلار وكنت أنت للمتوفي الموصى إليه ...باتفاق الجميع على تنصبك دايا باي بيلار أوجاق الجزائر الغرب...فرمان جليل القدر لا يسعه التأخر والتوقف". [1]

- وفي سنة 1174هـ/1760م جدد له السلطان الولاية في رسالة أرسلها إليه يقول فيها: "أمير الأمراء الكرام...إنه قد بلغني عنك وأنك أهلا الميرميرانية (كذا) وصاحب شجاعة وغيرة، وبناء على ذلك يجب في حقك العناية ....من مكارم سلطتي السنية في هذه السنة بصدور هذا الفرمان الجليل المقرون باليمن والبركة، المؤرخ باليوم التاسع من شهر ربيع الأخر سنة 1174هـ، وأبقيك باي بايات في الجزائر الغرب، كما كنت سابقا تتصرف فيها ...لتطبق أحول البلاد وتحمي العباد تصونهم وتعاشر رجال أوجاق الجزائر بالتي هي أحسن، وتعمل بجميع أوامر فرماني وتبذل سيفك واجتهادك في أداء خدمة دولتي العلية وإياك والظلم والتعدي على الفقراء والمساكين وسكان البلاد والقاطنين في المملكة...في اليوم التاسع من ربيع الأخر 1174هـ". [2]

- وبعد وفاة الداي **علي باشا** أرسل فرمان لتولية **محمد باشا** سنة 1180هـ / 1763م بعدما أرسل الديوان وأهل الجزائر لتوليته لما عرف عنه من صدق والعفاف، [3] وبعد عام من ذلك تم تجديد الولاية لداي محمد باشا. [4]

---

[1] و.م.و، مج3190، ملف 1، وثيقة 3. (أنظر الملحق رقم :08)

[2] و.م.و، مج3205، ملف 1، وثيقة 09.

[3] و.م.و، مج 3205، ملف 1، وثيقة 12. (أنظر الملحق رقم:09)

[4] و.م.و، مج3205، ملف 1، وثيقة 14.

- وفي سنة 1236هـ الموافق لـ1820م جدد السلطان **محمود خان الثاني** الولاية لداي **حسين باشا**.[1]

ومن الأمور الخطيرة التي كان يصدرها السلطان لإيالة الجزائر عند تعديها على دولة تكون في سلم مع الإمبراطورية العثمانية ومن الأمثلة عن هذه الفرمانات مايلي:

- الفرمان الذي أرسله السلطان **عثمان الثالث** (**1168هـ/1754م**) إلى والي الجزائر **علي داي** سنة 1180هـ/1766م يقول فيه: "....والآن فالذي صار في مسموع سعادة من جملة الأخبار والآثار الذي تعرض علي من دار خلافتي وأن عبيدى أهل الجزائر وصلوا إلى تونس وحاربوها وفي خلال ذلك نهبوا دار قونسل السويد المقيم هناك تحت حماية دولتنا العلية من قديم الزمان وأخذوا أمواله وعياله وأولاده وجميع ما يكسب وتملكوا بهم وهذا الفعل مخالف لقواعد جميع الملل...والآن نآمركم بمجرد وصول هذا الفرمان العالي الشأن تبادروا بالسمع والطاعة والانقياء لأمري وتسلموا في الحين جميع المال والأشياء..."[2]

- الفرمان الذي أرسله السلطان **مصطفى الثالث** (**1171هـ/1757م**) لوالي الجزائر الغرب ينهيه عن العداوة مع سائر دول النصارى ويأمر بالصلح مع الدينمارك سنة 1183هـ/1769م ومما جاء فيه: " ..لما كانت دولتي العلية في هذه الأيام مشتغلة بالحروب مع الموسكو الكافر الخبيث الذي أظهر الخيانة وأراد إهانتنا لا يصوغ لأحد أن يفسد عقد الصلح والسلم الذي بيننا وبين سائر دول النصارى الآخرين ...إنكم فسحتم عقد الصلح مع الدينمارك وطردتم قونسل الموصى إليه...وإن ما دام الصلح بين دولتي العلية ودولة

[1] و.م.و، مج 3205، ملف1، وثيقة10.

[2] و.م.و، مج 3205، ملف1، الوثيقة5.

الدنيمارك كذلك يكون أوجاقكم عاملا به ولابد عليكم بالسمع والطاعة لأمرنا الشريف وجددوا عقد الصلح مع الدنيمارك والقونسل ..."[1]

- الفرمان الذي أرسله السلطان **سليم الثالث** إلى جميع الوزراء والحكام المتصرفين في البلدان الكائنين على سواحل البحر الأبيض منهم الجزائر وتونس وطرابلس الغرب في 1212هـ/1803م (ويتحدث في مجمله على عدم تعرض لسفن وتجار النمسا) ومما جاء فيه: "...وزيري والي الجزائر الغرب حسن باشا وسائر الوزراء العظام الموجودين في البلدان الكائنين على سواحل البحر الأبيض ...سفير دولة النامسة المقيم بدار خلافتي الذي اسمه...قدم لمقر سعادتي في كتاب ويقول فيه: وأن في هذه المرة صار انعقاد الصلح والسلم ما بين دولتك العلية ودولتنا النامسوية في اليوم الثاني من جمادى الأول سنة اثنين ومائتين وألف وكانت كيفية سير سفائن تجار النامسة مذكورة في كتاب العهد والصلح المذكور ...لا ينبغي لأحد أن يعمل بخلاف ما هو مذكور في كتاب المعاهدة المعتبرة المرعية بين الأقران المتضمنة كفالة تجار النامسة بل تظهروا مواد المحبة والصداقة ليكونوا أمنينن سالمين في ذهابهم ...واياكم أن تعملوا شيئا مخالفا لأمر فرمان السعيد هذا ...المحررة في أواخر شهر ذي الحجة سنة اثني عشر ومائتين وألف".[2]

وهناك فرمانات أخرى كان يرسلها سلاطين الإمبراطورية العثمانية لإيالة الجزائر وذلك عند ازدياد مولود جديد ومن هذه الفرمانات:

- الفرمان الذي أرسله السلطان **محمود خان الثاني** لوالي الجزائر الغرب... في سنة 1234هـ/1818م ومما جاء فيه: "....في يوم الأربعاء الموافق لليوم الرابع والعشرون من شهر ذي الحجة الشريفة سنة أربع وثلاثين ومائتين وألف فحمدا ثم حمدا لمن بزغت شمس قدرته

[1] و.م.و، مج 3204، الوثيقة 16.

[2] و.م.و، مج 3205 ، ملف1، الوثيقة 22.

الباهرة في فلك سلطنتي الزاهرة حيث زين بنجم أنار أفاق وزاد اشراق ..اعني به السلطان أحمد عمره الله بطول الأمد...فبمجرد وصول إليك تبادر بالدعاء في المساجد والجوامع مع المشايخ ...وبعد أداء مراسم الحمد والثناء تبادروا بإطلاق المدافع من جميع الحصون والقلاع ..."[1]

2- **الفرمانات العادية**: يصدرها كبار الوزراء وفي مقدمتهم الصدر الأعظم والقبودان باشا،[2] وكان يكتب بخط جميل للدلالة على علو منزلة صاحب الفرمان،[3] وتأتي من الدرجة الثانية من حيث الأهمية وأهم ما تميزت به هذه الفرمانات أنها تأتي بأسلوب أقرب إلى الرجاء والطلب والالتماس منه إلى أسلوب الأمر، مما يدل على ضعف سلطة المرسل على المرسل إليه.[4]

ومن أمثلة عن هذه الفرامين الرسالة التي أرسلت من طرف المقام الشاهاني إلى أمير أمراء جزائر الغرب (**الداي حسين**) يدعوا فيها قراصنة الأوجاقات الغربية للامتناع عن أخذ سفن الرعايا الدول التي تكون في سلم مع الإمبراطورية العثمانية ومن بينها دولة النمسا.[5]

لقد كان النوع الأول من الفرامين تأثيره السياسي على الداي والديوان الجزائر من خلال قبول محتوياته وطاعة أوامر السلطانية، وهو دليل احترام حاكم ايالة الجزائر للسلطان العثماني الحاكم الروحي للمسلمين،[6] أما النوع الثاني يحتوي على بعض القضايا والمسائل كانت في الغالب يرفض

---

[1] و.م.و، مج 3205، ملف1، الوثيقة 31.

[2] القبو دان باشا: وهو يحتل أعلى رتبة عسكرية في البحرية ورئيس الأسطول العثماني.

[3] محمد بن جبور، صورة الجزائر والجزائريين من خلال الكتابات الفرنسية في القرنين 17و18م، رسالة ماجستير، جامعة وهران، السنة الجامعية 2002-2003م، ص86.

[4] خليفة ابراهيم حماش، المرجع السابق، ص187-188.

[5] دفتر خط همايون عدد 22443 تاريخ 1243هـ.

[6] وليام سبنسر، المرجع السابق، ص94.

الاستجابة لها الداي وديوانه،[1] كتعبير عن تمسك الإيالة باستقلالية قراراتها، فكان الباب العالي يرسلها خاصة في حال تعدي السفن الجزائرية على السفن الأوربية مثل ما بعث به لايالة الجزائر تطلب منهم تحقق من بعض البحارة الذين تعدو على تجار فرنسيين وتطلب منهم أن يقيموا الأمن والحماية لهم.[2]

وكانت الدول الأوروبية تدرك مدى أهمية هذه المراسلات بنوعيها الهمايونية والعادية، وخاصة تلك المتعلقة بتسوية الخلافات والنزاعات التي كانت تنشب عادة مع إيالة الجزائر حيث يذكر في هذا القنصل الفرنسي "**دوبوا تانفيل**" في رسالة كتبها يوم 19 نوفمبر 1809م إلى الحكومة الفرنسية، يعلمها برفض الجزائر إطلاق سراح أحد المعتقلين الفرنسيين واحتجاز سفينته لعدم تجديد رخصة السفر عند الباب العالي حيث قال: "إن رفض الإيالة الامتثال لأمر القابودان باشا يؤيد المقولة التي كنت أنادي بها، والمتمثلة في عدم جدوى الفرمانات العادية عند الجزائريين، إنني لم أوصي بفرمان القابودان باشا العادي، وإنما بفرمان السلطان العثماني نفسه ذلك أن الفرمانات التي تكون موشحة بالخط الشريف هي الوحيدة التي كانت تحدث ضغوطا على الجزائريين..."[3]

ومن خلال عرضنا لبعض التقارير نستنتج أن الاتصالات بين الجزائر والباب العالي قد تحكمت فيها: مجموعة من العوامل الداخلية والخارجية، أهمها ما كانت تتعرض له الجزائر باستمرار من اعتداءات حربية أوربية من حين لآخر،[4] فكانت الاتصالات بينهم تتم في الظروف العادية بكتابة الفرمانات أو التقارير،[5] أما في الحالات والقضايا المعقدة التي تتطلب النقاش أو التشاور مع الموظفين

---

[1] خليفة ابراهيم حماش، المرجع السابق، ص188.

[2] التميمي عبد الجليل، التشكيل الإداري والجغراسياسي للايالات العثمانية، المجلة التاريخية المغربية، عدد21، تونس، ص209. (أنظر الملحق رقم:10.)

[3] محمد بن جبور، المرجع السابق، ص87-88.

[4] سفيان صغيري، المرجع السابق، ص46.

[5] قد أطلق على التقارير المرسلة من الجزائر "عرض الحال" وكانت ترسل إلى الصدر الأعظم والقبودان باشا الذين يقومان بإطلاع السلطان عليها. (للمزيد أنظر: خليفة حماش، المرجع السابق، ص192-193.)

الكبار للسلطنة أو مع السلطان العثماني نفسه، فكانت تتم عن طريق إرسال الرسل والسفراء،[1] ومن بين السفارات الجزائرية إلى الدولة العثمانية خلال هذه الفترة تلك السفارة التي بعث بها **عمر باشا**[2] إلى إستانبول في سبتمبر 1816م،[3] التي كان على رأسها قائد الميناء **علي رايس** والتي حملت إلى السلطان العثماني **محمود الثاني** تقريرا مفصلا عن الحملة البريطانية على الجزائر[4] ومما كتب فيها: " لقد كانت معركة حامية الوطيس دامت إحدى عشرة ساعة وثلاث وعشرين دقيقة، أحرقت خلالها كل بواخرنا وسفن تجارتنا، ولم نر دقيقة راحة واحدة، إذ أخذت تتهاطل علينا في كل لحظة ...بحيث أن تحصيناتنا وموانئنا قد تحطمت خلال ظرف ساعة واحدة"،[5] فأعطاهم السلطان ثلاث مراكب من من نوع فرقاطة وسفينتين من نوع كرابت ومدفع وآلات حربية رجعوا بها.[6]

ومن التقارير التي كان يرسلها حكام إيالة الجزائر إلى الدولة العثمانية إما لطلب المساعدة العسكرية أو العطف ومن أمثلة عن هذه الفرمانات ما يلي:

- مثل ما أرسله **الداي مصطفى** إلى السلطان يعلمه بوصول خبر هجوم الفرنسيين على مصر،[7] مصر،[7] وقد قام الداي حسن باشا بعد توليه بارسال هدايا وعريضة الطاعة والولاء للشاه الأعظم كما طلب منه الرضا والعطف والرعاية متوعدا له بالتبعية والخضوع والولاء بالإضافة إلى أن الداي طلب من الشاه إرسال عتاد عسكري .[8]

---

[1] محمد بن جبور، المرجع السابق، ص90.

[2] تميز عهده بحسن العلاقات مع الباب العالي من خلال استعداد لتنفيذ أوامر السلطان التي كان يصدرها ويظهر ذلك من خلال كثرة المراسلات بين البلدين.

[3] عزيز سامح ألتر، المرجع السابق، ص606.

[4] محمد بن جبور، المرجع السابق، ص90.

[5] عبد الجليل التميمي، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي (الجزائر– تونس– المغرب)، زغوان، ط2، تونس، 1985م، ص240.

[6] أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص159.

[7] و.م.و، مج 3205، الملف1، الوثيقة 49. (أنظر الملحق رقم:11.)

[8] خط همايون رقم 22556، تاريخ 1232هـ .

وتميزت فترة ما بعد1820م في العلاقات الجزائرية العثمانية بكثافة الاتصالات والمراسلات بسبب الاضطرابات القومية في البلقان، والحركة الانفصالية في اليونان على وجه الخصوص مما جعل السلطان العثماني يراسل داي الجزائر ويطلب منه تقديم المساعدة العسكرية للقضاء على هذه الحركة،[1] وهناك سفارة أخرى بعث بها الداي **حسين** أخر دايات الجزائر في أوائل مارس 1821م والتي كانت بطلب من السلطان لمناقشة قضية العوائد التي كانت تطالب من كل من تونس وطرابلس بدفعها، وقد أدى هذا إلى توتر العلاقات بين هذه الولايات وإيالة الجزائر.[2]

وعندما تعرضت الجزائر للحصار الفرنسي العسكري فقد أرسل **الداي حسين** باشا عددا من الرسائل إلى الباب العالي والصدر الأعظم والقبودان دريا شرح في الرسائل أسباب الحصار المفروض على بلاده، هذا إلى جانب أن الباب العالي قام من جهة أخرى بإرسال عدة سفارات فعين **الحاج خليلي** مفتي الجزائر بأزمير مبعوثا لها لحل النزاع الجزائري الفرنسي بطريقة ودية، كما كان **طاهر باشا** آخر مبعوث عثماني للجزائر يرسل من طرف السلطان العثماني للمساهمة في حل النزاع الفرنسي الجزائري غير أنه لم يصل إلى الجزائر بسبب مجيء الحملة الفرنسية العسكرية من ميناء تولون الفرنسي متوجهة إلى مدينة الجزائر.[3]

كما كانت القضايا التجارية بين الطرفين جزء من المراسلات بين الحكومة الجزائرية والباب العالي ومن هذه القضايا ما تعلق بقضية الجمارك حيث كان الجزائريون يتمتعون بنظام جمركي مميز تطبقه الدولة العثمانية على التجار الجزائريين وقد كان الباب العالي يعفيهم من دفع الرسوم الجمركية،[4] وما يمكن أن يسجل في هذا الإطار أن كثافة الاتصالات بين حكومة الجزائر وحكومة

[1] أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص148.

[2] محمد بن جبور، المرجع السابق، ص90-91.

[3] المصدر السابق، ص169-170.

[4] و.م.و، مج 3190، الملف 1، رقم الوثيقة 328.

الباب العالي إنما تعود إلى مكانة الجزائر السياسية لدى الدولة العثمانية هذا عكس ما يدعيه بعض الباحثين أن الجزائر لا قيمة لها لدى السلطان العثماني.[1]

ب- الرسل:

وفيما يخص الاتصال بين الباب العالي والايالة نجد أن الرسل المكلفون بحمل الفرمانات من إستانبول إلى الجزائر، كانوا غالبا ما يختارون من فئتين: من الجاوشية ومن القبوجية،[2] كما أنه في الحالات الصعبة التي تعترض العلاقات بين الايالة والباب العالي، فإنه يرسل الباب العالي سفارات تضم عددا كبيرا من الموظفين والضباط على متن إحدى سفن الأسطول الهمايوني إلى الجزائر وذلك مثلما حدث عام 1812م، بخصوص السفارة التي ترأسها **سليم ثابت** أفندي والمكونة من 32 شخصا، وأما في حالة الاتصال من الايالة إلى الباب العالي، فإن الوالي كان ملزما بتحرير تقارير مفصلة يطلق عليها " عرض الحال" تتحدث عن كل ما يحدث في الايالة، ويطرأ على وضعها السياسي والعسكري والأمن وغيرها وكانت تلك التقاربر ترسل إلى الصدر الأعظم والقبودان باشا، وهما اللذين يعرضانها على السلطان هذا في الحالات العادية.

أما في الحالات المستعجلة فإنها تستوجب محادثات مع وزراء الباب العالي، وأحيانا مع السلطان نفسه، بحيث يرسل الوالي سفارات إلى استانبول للقيام بذلك مثلما حدث في أوائل سبتمبر 1816م، وهي الرسالة التي أرسلها "**عمر باشا**" وترأسها قائد الميناء "**علي ريس**" لتحمل إلى السلطان "**محمود الثاني**" تقرير الوالي حول أحداث الحملة البريطانية على الجزائر في نفس السنة.[3]

---

[1] سفيان صغيري، المرجع السابق، ص50.

[2] الجاوشية: ومنهم حرس الباب، أما القبوجية: رئيس حراس الباب العالي.

[3] خليفة إبراهيم حماش، المرجع السابق، ص 191-192.

ج- الوكلاء:

إضافة إلى الرسل والمرسلات التي أسهمت في ربط العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي، قامت إيالة الجزائر بفتح عدد من الوكالات في بعض المدن العثمانية بالبحر الأبيض المتوسط وغيرها مثل أزمير والإسكندرية وتونس ومناطق أخرى مثل جزيرة مالطة وجبل طارق، وكانت هذه الوكالات تشبه بما تقوم به القنصليات من مهام دبلوماسية،[1] وأهم وكيل للجزائر الذي يوجد في العاصمة إستانبول ويسمى بقبو كتخدا (أي وكيل الباشا لدى الباب العالي)،[2] كان والي الجزائر مثل بقية الولاة هو الذي يتولى تعيين هذا الوكيل،[3] فمهمة وكلاء الجزائر في المدن العثمانية تمثيل الجزائر لدى الباب العالي والدفاع عن القضايا ومصالح الجزائر السياسية والعسكرية والتجارية، كما كان وكلاء الجزائر يزودون حكومة الجزائر بمعلومات عن التغيرات والتعيينات الإدارية التي تحدث في المناصب العليا للدولة العثمانية مثل منصب الصدر الأعظم والقبودان دريا،[4] ثم تقديم التفاصيل والتحاليل الدقيقة للوزراء وكبار الموظفين وكان الباشا يتكفل بإيصال المعلومات الخاصة بأوضاع الايالة الاقتصادية والسياسية والعسكرية والأمنية للوكيل وكان أخر الوكلاء الايالة سليم ثابت أفندي .[5]

أما المهمة الثانية التي يقوم بها الوكلاء هي جمع الأوقاف "صرة الحرمين الشريفين"[6] ومتابعة وكلاء الأوقاف الموجودين في مختلف أنحاء الايالة ومتابعة "وكيل الحرمين" المقيم في مدينة الجزائر،

[1] علي خلاصي، الجيش الجزائري في العصر الحديث، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م، ص118-119.

[2] محمد فريد يك المحامي، المصدر السابق، ص350.

[3] خليفة إبراهيم حماش، المرجع السابق، ص194.

[4] سفيان صغيري، المرجع السابق، ص65.

[5] بليل رحمونة، المرجع السابق، ص92.

[6] فهي كلمة عربية وتعني كيس النقود و استخدمت في المبالغ المالية التي كانت ترسل من عند السلاطين العثمانيين إلى الحجاز. (أنظر: سهيل صابان، المرجع السابق، ص144.)

فكانت الصرة في حقيقتها أحد مظاهر التضامن الإسلامي، والتي لم يتخل عنها الجزائريون حتى قبل الهجوم الفرنسي على الجزائر.[1]

بحيث ترسل هذه الصرة إلى شريف مكة رفقة وفد خاص يعين لهذا الغرض وترافق قافلة الحجيج التي تتوجه إلى الحجاز، وفي معظم الأحيان كان يأخذ هذه الصرة أحد وزراء الوالي مثل: بيت المالجي،[2] وبذلك اعتبرا الجزائريون الصرة مظهرا من مظاهر التعاون والتكافل والتضامن الإسلامي في العهد العثماني كما اعتبر واجبا مقدسا ونبيلا لا يمكن التخلي عنه وخاصة في الظروف الصعبة التي كانت تعيشها الجزائر خلال القرنين 17 و 18م كالمجاعات والفيضانات و الأوبئة وكذلك الحصار الذي ضربته فرنسا قبل الاحتلال.

ومن بين الوظائف التي أوكلت لهؤلاء الوكلاء هي حماية استقرار الايالة ومصالحها التجارية في الولايات العثمانية الأخرى ومن نماذج نشاط الوكلاء نذكر اتفاق وكيل ايالة بمدينة خانية بجزيرة كريت مع وكيل تونس وطرابلس وحتى مصر في حالة مصادفتهم لهذا البحار الجزائري **مصطفى قبودان** في البحر المتوسط بحمايته،[3] وعلى هذا الأساس كان الباشا يولي أهمية كبيرة لهذه التقارير لما لها من دور كبير في رسم سياسة الايالة في مختلف المجالات وتعتبر هذه التقارير مصدرا تاريخيا مهما.

وبالتالي ساهم وكلاء الجزائر في ربط العلاقات بين الجزائر والباب العالي لمدة ثلاثة قرون فكانوا بمثابة خط بريدي يضمن الاتصالات بين الجانبين.

[1] أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص170.

[2] بيت المالجي: يشرف على مصادر أملاك الدولة. (أنظر: ناصر الدين سعيدوني، موظفو الدولة الجزائرية في القرن التاسع عشر ميلادي، المؤسسة الوطنية للثقافة والسياحة، الجزائر، د.س، ص25.)

[3] بليل رحمونة، المرجع السابق، ص92-94.

3- الراية الجزائرية:

بالإضافة إلى المراسلات وتبادل الرسل بين الجزائر والباب العالي، نجد راية الإيالة التي كانت مظهرا من مظاهر الارتباط بين الجانبين والتي تعتبر من أهم رموز تبعية الجزائر السياسية للدولة العثمانية منذ تأسيس الإيالة إلى غاية سقوط الجزائر تحت الاحتلال الفرنسي.

فعندما أرسل أعيان مدينة الجزائر رسالة إلى السلطان "**سليم الأول**" سنة 1518م بأمر من **خير الدين** لتصبح الجزائر تابعة رسميا للإمبراطورية العثمانية، أرسل مع الوفد سنجقا (أي العلم أو اللواء الخاص بالدولة) وكتابا إلى أهل الجزائر،[1] وهو ما ذكره **ابن رقية التلمساني** أثناء حديثه عن مراسلة أعيان مدينة الجزائر للسلطان العثماني بقوله: " فوصلت الأجفان إلى حضرة السلطان سليم...ووجه صحبتهم سنجقا -أي علما- وكتابا إلى أهل الجزائر..."[2] ومن هنا أول راية استعملت بالجزائر خلال القرن السادس عشر وردت من الباب العالي.

فبقيت راية الإيالة تستعمل للدلالة على الولاء السياسي والديني حتى الفترة الأخيرة من الوجود العثماني بالجزائر، إذ تذكر المصادر أن **عمر باشا** قد رفع العلم العثماني عند توليته سنة 1814م، كما استخدمت إيالة الجزائر عدة رايات مشتركة مع الباب العالي أو بصفة مستقلة إذ تذكر بعض المصادر بأن العلم كان يرفع فوق التحصينات والأسوار والقصور وهو ما ذكره المؤرخ الفرنسي **فونتير دو برادي** بقوله: " كان بقصر الباي قضبان مذهبة وكان يوضع فيها علم الايالة الجزائرية، أما بالنسبة للعلم الإسلامي فكان يشاهد في المناسبات الدينية كصلاة الجمعة والأعياد"، كما ذكر أن الراية الخضراء ظلت ترفع فوق الحصون الجزائرية حتى مطلع القرن التاسع عشر،[3] وقد

---

[1] شاوس حباسي، العلم الوطني الجزائري المعاصر (1518-1945م)، تطوره الشكلي وتحليل المضمونة الأيدلوجي والسياسي، موفم للنشر، 1996م، ص11.

[2] ابن رقية التلمساني، المصدر السابق، ص12.

[3] Venture De Paradis, Tunis et Alger au 18eme siècle (mémoire et observation), Présenter par : Josèphe Cuoq, Sandbad, Paris, 1983, P254-255.

وصف الأسير الأمريكي **جيمس كاثكرت** الرايات التي استخدمتها الايالة في أواخر القرن الثامن عشر إلا أنه لم يكن دقيقا في وصفها ولم يحدد شكلها ولونها، فأطلق على العلم الذي كان موجودا في دار الإمارة "بعلم الداي".

هذا دليل أن هناك إما ازدواجية في الراية العثمانية والراية الخاصة بالجزائر أو هناك تنوع،[1] فاستعمل الجزائريون طوال العهد العثماني رايات متعددة منها ما اشتركوا فيه مع العثمانيين بحكم ارتباطهم بالدولة العثمانية ومنها ما انفردوا به لاعتبارات خاصة بهم وهي:

أ- **الراية العثمانية:** هي نفسها العلم أو الراية الإسلامية وهي الراية الرسمية للدولة العثمانية ذات اللون الأخضر، ترفع فوق دار الإمارة عند تعيين والي جديد وكذلك فوق المساجد يوم الجمعة وأيام الأعياد بدل الراية البيضاء التي كانت ترفع في الأيام العادية، وظلت هذه الراية إحدى الشعارات الرسمية للدولة العثمانية إلى غاية القرن التاسع عشر للميلاد.

ب- **الراية الحمراء:** كما سجلت بعض الكتابات الفرنسية وجود رايات أخرى في الجزائر حمراء اللون لها أربعة أشكال، اشترك الجزائريون في اثنان منها مع رايات الباب العالي وبعض الايالات العثمانية الأخرى، وكانت إحدى هذه الأشكال ترفرف أثناء الغزو الفرنسي للجزائر في الخامس من جويلية سنة 1830م،[2] وهي الراية الرسمية للجزائر التي كان لونها أحمر وشبيه بالراية التونسية والمصرية وكانت ترفع هذه الرايات فوق السفن وقد حمل الأسطول العثماني نفس الراية الجزائرية عندما أقلع من ميناء الإسكندرية بمصر نحو بحر ايجة باتجاه اليونان عام 1827م.[3]

---

[1] جيمس لندر كاثكارت ، مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب، تر: إسماعيل العربي، د.م.ج، الجزائر، 1982م، ص91-92.

[2] محمد بن جبور، المرجع السابق، ص85.

[3] خليفة حماش، المرجع السابق، ص183-184.

أما الشكل الثاني في الراية الحمراء التي استخدمها الجزائريون خلال القرن الثامن عشر كان يوجد في وسطها سيف، وهي نفس الراية التي رفعها **أحمد باي** في مقاومته للقوات الفرنسية أثناء غزو مدينة قسنطينة عام 1836م.[1]

وانفردوا بالشكلين الآخرين كعلامتين خاصتين بهم وتمثل أحدهما في راية حمراء رسم في زاويتها العلوية من جهة الصاري وباللون الأبيض رأس بحار وكانت خاصة بالباشا، وتمثل الشكل الثاني في راية رسم لونها أحمر وباللون الأبيض كذلك ذراع بحار مرفوع يحمل سيفا وبجانبه جمجمة وكانت خاصة بالأسطول.

4- الدعاء للسلطان العثماني في خطبة الجمعة والأعياد:

دائما وانطلاقا من الخط الهمايوني (مرسوم سلطاني إصلاحي) الذي أرسله **سليم الأول** إلى **خير الدين بربروس** جاء فيه بصرف الخطبة والدعاء إليه، وكذلك ذكر اسمه في المنابر، وذلك في خطبة الجمعة والأعياد واعتبر الجزائريون هذا بمثابة القوة التي تسهم في الارتباط سياسيا بالعالم الإسلامي،[2] ولم يكن الدعاء للسلطان العثماني في المساجد مقتصرا على مدينة الجزائر والمدن القريبة منها فقط، فقد ظلت ورقلة تبدي فروض الطاعة بذكر اسم السلطان العثماني في خطبة الجمعة كما أكد ذلك **العياشي** عندما أورد إمام المسجد الجامع كان يدعو لسلاطين العثمانيين.[3]

وبالإضافة إلى ما سبق من مظاهر ارتباط الجزائر بالدولة العثمانية نجد العملة أو السكة التي بقيت تضرب باسم السلطان إلى غاية الاحتلال الفرنسي، وهو ما لوحظ في عدة قطع نقدية تعود

[1] شاوس حباسي، المرجع السابق، ص105.

[2] جمال قنان، معاهدات ...، المرجع السابق، ص241.

[3] مولاي بالحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1981م، ص29.

إلى عهد السلطان **محمود الثاني**[1] والتي كتب عليها "سلطان البرين وخاقان البحرين ابن السلطان محمد" وفي ظهرها كتب "الجزائر 1238ه" وأخرى كتب في وجهها "محمود خان عز نصره" وفي وجهها الآخر "ضرب في سنة 1227ه."[2]

[1] محمود الثاني (1784-1839م) ابن السلطان عبد الحميد الأول تولى الحكم بعد أخيه السلطان مصطفى الرابع عام 1808م كان الوريث الوحيد للعرش العثماني من آل عثمان بعد مقتل السلطان سليم الثالث. (ينظر: محمد خير فلاحة، الخلافة العثمانية من المهد إلى اللحد، www.Smart10.com ص66.)

[2] محمد بن جبور، المرجع السابق، ص94.

المبحث الثاني: دور الباب العالي في السياسة الداخلية الجزائرية

يعود ظهور الجزائر الحديثة في الإطار الإقليمي الذي هو عليه الآن تقريبا، خاصة بالنسبة لحدودها الشرقية والغربية، إلى منتصف الأول من القرن السادس عشر، وبالرغم من انضمامها للإمبراطورية العثمانية لكن طبيعة علاقاتها مع هذه الأخيرة قد اكتسب منذ البداية طابعا خاصا ميزها عن كونها ليست مجرد إقليم أو ولاية من ولايات الإمبراطورية،[1] فكان الحكم العثماني للجزائر حكما غير مباشر تتحدد فيه نفوذ السلطة العثمانية بالموافقة على تعيين الباشا بعد انتخابه من طرف الديوان العسكري بالجزائر، وبالحصول على العائدات المفروضة على الخزينة الجزائرية وبتقديم السلطة العثمانية على غيرها من الدول الأخرى انطلاقا من إقرار الحكومة الجزائرية بولائها للخليفة العثماني، وقد تجلت حرية التصرف التي كانت تتمتع بها الحكومة الجزائرية بولائها للخليفة العثماني، و بالصلاحيات الممنوحة لها في استقلال الحزينة الجزائرية منذ عهد **خير الدين** والسماح لحكومة الجزائر بضرب النقود باسمها واتخاذ الأختام الخاصة بها، وقد تطور هذا النظام مع مرور السنين إذا أصبحت الجزائر في عصر الدايات مستقلة استقلالا تاما عن المملكة العثمانية وتتمتع بسيادة كاملة ولم تعد تربطها بالباب العالي إلا العلاقة الحميمية القائمة على الرباط الديني والاحترام المتبادل، ولذا أصبحت الجزائر في هذا العهد يطلق عليها اسم الجمهورية الجزائرية تتميز بإدارة منظمة وعاصمة قارة وحدود معترف بها دوليا.[2]

فتميزت العلاقات بين الجزائر والدولة العثمانية بطابعين اثنين:

1-علاقات التعاون والمساعدة المتبادلة، كما كانت البحرية الجزائرية تساهم إلى حد كبير في انقاد البحرية العثمانية في كم من حرب بين الدولة العثمانية وتكتلات أوربية كبرى، فكانت كوحدة متراصة أمام كتلة أخرى كانت دائما هي البادئة بالعدوان وهي أوروبا في مجموعها ككتلة

[1] جمال قنان، قضايا...، المرجع السابق، ص45.

[2] عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ إلى 1962م، دار المعرفة، الجزائر، 2006م، ج2، ص161-162.

نصرانية، وهكذا كان الأمر في معركة ليبانت البحرية يوم 09 أكتوبر 1571م ضد الحلف المقدس المتكون من البابوية واسبانيا والبندقية وغيرها من المعارك.[1]

2-استقلالية الجزائر التام عن الدولة العثمانية ونرى اسم الجمهورية الجزائرية في غالب نصوص المعاهدات وفي المراسلات بينها وبين الدول الأخرى.[2]

وفي سياق الحديث عن هذه الاستقلالية نذكر بعض الشهادات من مؤرخين غربيين عن تلك الجزئية وعن استقلالية الجزائر وسيادتها:

فيشير الكاتب الفرنسي **دي غرامون** De Grammont: "لقد كان الديوان يتخذ القرارات بكل سيادة فيعلن الحرب، ويعقد السلم ويوقع المعاهدات ويقيم الأحلاف بدون أن يتساءل عما إذا كانت تلك القرارات المتخذة موافقة أو مخالفة لسياسة الباب العالي".[3]

أما المؤرخ كات **E.Cat** فيورد في كتابه تاريخ الجزائر: "...طوال القرن السابع عشر كانت الجزائر منهمكة في حروب ضد دول كبرى: فرنسا، إسبانيا، إنجلترا...أما علاقاتها مع الباب العالي فتكاد تكون منعدمة."[4]

ويذكر المؤرخ **غارو** Garrot: "إن تبعية الايالة المغاربية (وخاصة الجزائر) للخلافة العثمانية مجرد تبعية اسمية."[5]

[1] مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها قبل 1830م، دار البعث، قسنطينة، 1985م، ج1، ص81.

[2] حنيفي هلايلي، بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني، سلسلة تراث الجزائري الحديث، ط1، الجزائر، 2007م، ص92.

[3] De Grammont, Op.cit, P126.

[4] Edward Cat , Op.cit, P301.

[5] Henri Garrot, Histoire générale de l'Algérie, Imprimerie Perexenza, Bastion, 1910, P659.

ولقد أعطى أحد نبلاء فرنسا **دوغراماي** وهو في طريقه سنة 1619م إلى اسطامبول في مهمة رسمية انطباعا حيا عن مفتاح عظمة الجزائر في تاريخ البحر المتوسط: "مدينة الجزائر تلك السوط المسلط على العالم المسيحي، إنها رعب أوروبا ولجام ايطاليا واسبانيا وصاحبة الأمر في الجزر."[1]

فعرفت العلاقة بين الايالة الجزائرية والإمبراطورية العثمانية في بدايتها التبعية والخضوع التام للباب العالي ونهايتها الاستقلال والانفراد بالحكم دون الرجوع للدولة العثمانية (الباب العالي)، وهو ما سنحاول توضيحه في هذا المبحث:

1- الارتباط الكلي:

مر الحكم العثماني في الجزائر بأربعة مراحل فكان بداية بعهد باي البايات من 1518-1587م وكان لقب باي البايات يطلق على حكام الجزائر ابتداء من 1518م وأول من حمل هذا اللقب هو **خير الدين،** وكان يعين من قبل السلطان العثماني من رجال البحر وقد لمعت في عهد هؤلاء الحكام عدة أسماء أمثال: خير الدين وحسن بن خير الدين وصالح رايس وعلج علي...[2] ويعتبر هؤلاء الحكام من الرجال البارزين الذين أعادوا تنظيم البلاد وإخضاعها إلى سلطانهم، حيث امتد حكمهم إلى الحدود التونسية والمغربية ليصل في عهد صالح رايس إلى الواحات الجنوبية الجزائرية وورقلة وتقرت، وقد مكنتهم شخصيتهم من السيطرة على القوتين العسكريتين البرية والبحرية،[3]

وقد كانت الجزائر في هذه المرحلة مرتبطة ارتباطا وثيقا بالدولة العثمانية ونلاحظ في هذه المرحلة نقطتين أو ميزتين أساسيتين وهما:

[1] وليم سبنسر، المرجع السابق، ص11.

[2] Edward Cat, Op.cit, P268.

[3] توفيق المدني، حرب...، المرجع السابق، ص281.

أ- أن السلطة الكاملة للبلاد وتسيير شؤونها بيد البيلرباي وهذا الأخير كما ذكرنا سابقا مرتبط ارتباطا مباشرا بالعاصمة إسطنبول (الباب العالي).

ب- من خلال المراسلات والمعاهدات المبرمة بين الجزائر والدول الأوروبية المتوفرة لدينا من خلال التواجد العثماني من البداية إلى غاية 1587م، لم نسجل هناك معاهدة رسمية بين الجزائر وهذه الدول في فترة البيلربايات وهذا دليل آخر على أن الجزائر مرتبطة كليا بالدولة العثمانية، وذلك لأن الدول الأوربية ما زالت تهدد السواحل الجزائرية وخاصة الاسبانية مثل حملة شارلكان على الجزائر سنة 1541م.[1]

لكن في أواخر هذا العهد أي أواخر القرن 16م نلاحظ أن الوضع قد تغير وذلك بسبب:

- ضعف وتدهور الأسطول العثماني بعد هزيمت "ليبانت" البحرية سنة 1571م.
- انشغال الدولة العثمانية بالحرب مع الفرس.
- تلاشي الخطر الاسباني على الجزائر بسبب انشغال اسبانيا بالحرب مع فرنسا وهولندا وإنجلترا.

فكان على الدولة العثمانية تغيير نظام الحكم في الجزائر وتونس وطرابلس خشية استقلال حكام تلك الأقطار وتأسيس دولة إسلامية، ولهذه الاعتبارات قامت في عام 1587م بإلغاء نظام البيلربايات وأقامت مكانه نظام الباشوات[2] كما قسمت البلدان المغربية إلى ثلاث ولايات منفصلة عن بعضها البعض.[3]

---

[1] ناصر الدين سعيدوني ، المعاهدات الجزائرية الإسبانية 1791م، مجلة الدراسات التاريخية، العدد7، 1414هـ-1993م، الجزائر، ص80.

[2] الباشوات وهي جمع باشا تعني الملك أو شاه ثم صار معناه مستخدما، واستعملت بعد ذلك كلقب لحكام الولايات وأخيرا أصبح أعلى لقب تشريفي في الدولة. (أنظر: سهيل صابان، المرجع السابق، ص52.)

[3] أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص18-19.

فتميزت المرحلة الأولى بالارتباط الكلي للجزائر بالدولة العثمانية وذلك بقيام الباب العالي بتعيين حكام الجزائر من خلال إرسال شخصيات ذات ثقة من طرف سلاطين ووزراء الباب العالي.

2- توتر العلاقات الجزائرية العثماني:

- **دور الباب العالي في السياسة الداخلية الجزائرية خلال حكم الباشوات:**

كان **العلج علي** يحمل لقب البايلرباي عند استدعائه من طرف الباب العالي، وتعيينه أميرالا للأسطول العثماني عام 1571م، لكن بعد وفاته في شهر جوان 1587م عمد السلطان العثماني **مراد الثالث**[1] إلى تغير نظام البايلربايات واستبداله بنظام الباشاوات،[2] فما الذي حمل السلطان على اتخاذ هذا القرار؟

كان بايلربايات الجزائر أقوياء وأصحاب نفوذ واسع تخطت سلطتهم الجزائر إلى تونس وطرابلس، بحكم أنهم أصحاب الفضل في فتحها وإلحاقها بالدولة العثمانية، فمنحتهم امتيازات كبيرة وواسعة كإعطائهم حق تعيين باشاوات كل من تونس وطرابلس بالإضافة إلى منحهم امتياز من يخلفهم في منصب البايلرباي بالجزائر عند مغادرتهم لها، ومن جهة أخرى كانت مدة حكم البايلربايات غير محددة والتي تمتد فترة الواحد عدة سنوات في المنصب، فكانت مصدر تخوف وشكوك مستمرة لدى الدولة العثمانية من محاولة التمرد أو الانفصال عنها خاصة وأن المسافة بعيدة بين القسطنطنية والجزائر،[3] إضافة إلى المعاهدة التي عقدتها الدولة العثمانية مع إسبانيا عام 1580م التي أسهمت في تحول مجال سياستها من الحوض الغربي للمتوسط إلى المشرق، الأمر الذي ألحى عليها

[1] مراد الثالث (1544-1595م) هو السلطان الثاني عشر من سلاطين الدولة العثمانية، ولد بإسطنبول واعتلى العرش بعد والده سليم الثاني بن سليم الأول عام 1573م، أدت سياسته إلى عصيان جنده الانكشارية لعدة سنين دامت مدة حكمه اثنتا وعشرين سنة، تميزت باتصالاته مع ملوك أوروبا وعقد المعاهدات والاتفاقيات معهم. (ينظر: إبراهيم بك حليم، تاريخ الدولة العثمانية العلية، مؤسسة الكتب الثقافية، ط1، بيروت، 1988م، ص103م.)

[2] عائشة غطاس، المرجع السابق، ص48.

[3] يحي بوعزيز، الموجز...، المرجع السابق، ص32.

ضرورة إيجاد وسيلة تضمن حضورها في الضفة الجنوبية للمتوسط وخشية وقوع وحدة سياسية بين أقطار المغرب تؤدي إلى استقلالها عن القسطنطنية.[1]

وعليه فإن الظروف الدولية والأوضاع المحلية التي كانت تعيشها الجزائر خلال فترة البايلربايات من ازدهار ورخاء اقتصادي وكثرة الغنائم، وتمكن البايلربايات من تدعيم حكمهم ومد نفوذهم في كل من تونس وطرابلس دفع بالدولة العثمانية إلى تعويضهم بالباشوات.[2]

وعلى ذلك أصدر السلطان **مراد الثالث** فرمانا ألغى بموجبه منصب البايلرباي وعوضه بمنصب باشا كأعلى منصب رسمي بالجزائر، بالإضافة إلى فصل كل من تونس وطرابلس عن الجزائر فكل واحدة تدار بشكل مستقل،[3] ونتيجة لهذا التغيير أصبح السلطان العثماني يعين الباشا لمدة ثلاث سنوات حيث يقوم بإرساله من تركيا ويستدعيه بعد انتهاء فترة حكمه على أن يقوم بإرسال باشا أخر مكانه،[4] وأول باشا عين على الجزائر هو **دالي أحمد** سنة 1586م، الذي تميزت فترة حكمه بكثرة الغزوات البحرية ضد الشواطئ الأوروبية وقد قتل في إحدى المعارك بليبيا فخلفه في الحكم **الخضر باشا** .[5]

رغم استحداث نظام الباشوات إلى أن ديوان الأوجاق بدأ يتقوى ويوسع من نفوذه وسيطرته، وعمل على التخلص من الهيمنة العثمانية حيث تلاقت جهوده مع جهود الباشوات لتجسيم هذا الاتجاه،[6] فالباشا[7] كان يعلم أن مدة ولايته محسوبة الشيء الذي أكسبه الشعور باللامسوؤلية وعدم

[1] المرجع السابق، ص48.

[2] ناصر الدين سعيدوني والبوعبدلي، المرجع السابق، ص15.

[3] عزيز سامح ألتر، المرجع السابق، ص276.

[4] عمار بوحوش، المرجع السابق، ص58.

[5] عمار عمورة، موجز في تاريخ الجزائر ، دار ريحانة للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2002م، ص97.

[6] يحي بوعزيز، الموجز...، المرجع السابق، ص35.

[7] الباشا: وهو لقب عثماني أطلق منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي على الذين يرقون إلى درجة وزير وأمير الأمراء، معناه في الأصل قدم الملك أو الشاه، ثم صار معناها "مستخدما" واستعملت بعد ذلك كلقب لحكام الولايات وأخيرا أصبحت لقب تشريفي في الدولة. (ينظر: سهيل صابان، المرجع السابق، ص52.)

حاجته إلى ولاء وخدمة الشعب، فكان همه جمع أكبر قسط من الأموال في انتظار انتهاء مدة ولايته، وما دام هذا هو الهدف الأساسي للباشا أصبح الحكم مسألة ثانوية وشيئا فشيئا انتقل الحكم الفعلي إلى فرق الجيش الانكشاري.[1]

وبهذا السلوك الذي اتبعه الباشوات في الجزائر فقدوا كل تأثير وكل احترام من الرعية وكان هؤلاء الباشوات ضائعين باستمرار بين مطالب طائفة رياس البحر والأوجاق أو مع الرعاع من الرعية، فحاولوا عدم إغضاب أي من الأطراف لأنهم كانوا يخافون على حياتهم وعلى كنوزهم التي كانوا يعملون على مضاعفتها بأسرع وقت.[2]

ودامت فترة حكم الباشاوات ما يقارب 72 سنة تعاقب خلالها على الحكم حوالي سبعة وعشرون باشا، عاد بعضهم إلى الحكم أربع مرات وإذا كانت فترة البايلربايات عرفت تنوعا في انتماءات حكامها من أتراك وعرب وكراغلة وأعلاج، فإن فترة الباشوات اقتصرت على العنصر التركي،[3] وسادت خلال هذه الفترة الكثير من الاضطرابات والفوضى وعدم الاستقرار السياسي فاشتد الصراع بين طائفة الرياس وفرق الأوجاق، هذه الأخيرة التي كانت تتطلع إلى الحكم والسيطرة بمختلف الوسائل فأصبح خطرها يهدد البلاد من كل النواحي فكثر القتل والسلب والنهب،[4] فحاول فحاول **الباشا خضر** أن يتخلص من فرق الأوجاق بمساعدة الأهالي الذين كانوا يعانون من ظلمها وجبروتها وسطوتها على الأموال، فثار الناس ضدها بمدينة الجزائر وامتد الغضب إلى الأحواز المجاورة، وهب الجميع من كل جهة للقضاء عليهم، إلا أن محاولتهم باءت بالفشل وانتهى الأمر بعزل **الخضر**

[1] مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق، ص136-137.

[2] يحي بوعزيز، الموجز...، المرجع السابق، ص38.

[3] عائشة غطاس، المرجع السابق، ص49.

[4] صالح فركوس، المختصر في تاريخ الجزائر، دار العلم للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2002م، ص95.

باشا، مما دفع الناس إلى الاستنجاد بقوة إمارة بني العباس التي حاصرت مدينة الجزائر قرابة نصف شهر حتى تدخل السلطان العثماني في الأمر وعالجه بصورة وقتية.[1]

ففي هذه المرحلة زادت حدت الصراع مع الباب العالي ويبرز هذا عندما قام **الباشا** الخضر[2] بتشجيع طائفة رياس البحر بهدم المركز التجاري الفرنسيين في ساحل القالة وعنابة وأسر الأشخاص الذين فيه، وعندما تدخلت الدولة العثمانية وطلبت إعادة بناء المركز الفرنسي وإطلاق صراح الفرنسيين رفض الديوان بشدة معارض أوامر السلطان،[3] فضعفت هيبة السلطان العثماني في الجزائر، ولقد كانت الأزمة في ذروتها وزادت حدتها مع إقدام **إبراهيم باشا** باقتطاع من المال الذي أرسله السلطان إلى رياس البحر ليحفزهم على الالتحاق بالأسطول العثماني، فسبب ذلك اندلا ع شغب كبير بالجزائر وصل إلى حد اختطاف الباشا وتهديده بالقتل وانتهى الأمر بوضعه في السجن.[4]

فكانت كل الفئات ساخطة على الباشوات فالأتراك الأصليون لم يكونوا راضين على قلة الاحترام الذي يبديه الباشوات للسلطان العثماني، أما رياس البحر فكانوا ساخطين لأجل حرمانهم من ثمن الغنائم التي كانوا يحصلون عليها من الأعداء، أما البلدية (الحضر) فكانوا بدورهم يشتكون من نقص التجارة وتناقص عدد الأجانب الذين غادروا الجزائر بسبب جشع وسوء نية الباشوات، أما الإنكشارية فكانوا يتذكرون في أسف فيما بينهم الزمن الذي كانوا فيه سادة البلاد الفعليين فكانوا يطالبون بالعودة إلى التقاليد القديمة.[5]

---

[1] الطاهر عمري، المرجع السابق، ص16.

[2] حكم ثلاثة مرات فالأولى كانت من 1589-1592م والثانية 1592-1595م والثالثة 1599-1603م.

[3] يحي بوعزيز، الموجز...، المرجع السابق، ص278.

[4] De Grammont, Op.cit, P177.

[5] الطاهر عمري، المرجع السابق، ص16.

تميزت هذه المرحلة بعدم الاستقرار في العلاقات بين الباب العالي والايالة بسبب شجع الباشوات لقصر مدة حكمهم من جهة وسوء العلاقات بين الايالة وفرنسا من جهة أخرى.

3- بوادر انفصال الجزائر عن الدولة العثمانية:

أ- العلاقات السياسية بين الجزائر والباب العالي خلال حكم الآغاوات:

تعتبر مرحلة الآغاوات من أقصر مراحل الحكم التي شهدتها إيالة الجزائر، والتي تميزت خلالها العلاقات العثمانية الجزائرية بالاضطراب وعدم الاستقرار ذلك منذ إقدام قادة الجيش الإنكشاري على خلع **الباشا إبراهيم** (1656-1671م)،[1] وتعويضه بقائد آخر من فئتهم أطلق عليه اسم الآغا،[2] وقد كان هذا الانقلاب نتيجة ثورة رياس البحر على **الباشا إبراهيم** بعد قيامه بحرمانهم من المبالغ المالية التي خصصها الباب العالي تعويضا لهم عن الخسائر التي لحقت بهم في البحر الآدرياتي بعد معركة فالونا، ومن جهة كان الجنود الانكشارية ينتظرون باستمرار الفرصة المواتية وقاموا بانقلاب مفاجئ على الباشا المعين من طرف الباب العالي وممثل السلطان العثماني بالجزائر.[3]

كما نلاحظ منعرجا في العلاقات الجزائرية العثمانية في هذه المرحلة، وذلك بأن الإيالة الجزائرية قدمت تقريرا يتعلق بنظامها الجديد إلى الباب العالي للمصادقة عليه فأمضاه السلطان العثماني، ولكن شريط أن يتحمل الديوان نفقات الجند، وكذا مرتبات الضباط وجميع موظفي الإيالة الجزائرية، كما أن الجزائر عقدت معاهدة مع انجلترا سنة 1662م والتي ضمت 16 بندا وكذلك عقدت معاهدة مع

[1] عمار بوحوش، المرجع السابق، ص59.

[2] آغا هي كلمة تركية بمعنى الكبير والمتقدم في السن، فاستعمل عند العثمانيين لقبا بمنزلة خوجة أو أفندي، ويلقب بها كبير الخدم وسمي بلقب الآغا كبار رؤساء الانكشارية والبحرية وهي أعلى مرتبة في الجيش. (ينظر: مصطفى بركات، الألقاب والوظائف العثمانية، دار الغريب، القاهرة، 2000م، ص174.)

[3] يحي بوعزيز، الموجز..، المرجع السابق، ص42.

هولندا في نفس السنة، وكانت هذه المعاهدات عبارة عن إقامة السلم بين الدول المتعاقدة، كما تظهر هذه المعاهدات بداية استقلالية الجزائر النسبية عن الدولة العثمانية.[1]

وبمقتضى هذا الانقلاب تم القضاء على سلطة الباشا وتقرر إعطاء السلطة التنفيذية للآغا رئيس الفرقة العسكرية على شرط أن لا تتجاوز مدة حكمه شهرين، أما السلطة التشريعية فقد تقرر أن تكون بيد الديوان،[2] وبذلك أصبحت طائفة الرياس تحتل مكانة ثانوية في شؤون الحكم بالجزائر.[3]

كان هذا الانقلاب محاولة لإيجاد نوع من الديمقراطية داخل المؤسسة العسكرية التركية بالجزائر، إذ أن مدة حكم الآغا لا تتجاوز شهرين ويخلفه في مهامه أكثر العسكريين أقدمية، ومن جهة كان محاولة بارزة للانفصال عن الدولة العثمانية والاستقلال بالجزائر وفي الوقت نفسه انتقاما من طائفة الرياس التي كانت كلمتها هي العليا في عهد الباشوات،[4] وبعد هذا الانقلاب قرر ديوان الإنكشارية إلقاء القبض على الباشا وأتباعه ثم وضعوه في غليوطة[5] وأرسلوهم إلى أزمير بتركيا وحالما وصل الباشا إلى أزمير كتب تقريرا حول الأحداث التي تعرض لها.[6]

---

[1] أحمد السليماني، النظام...، المرجع السابق، ص16.

[2] ديوان الانكشارية هو مجلس يتألف من كبار الضباط الانكشاريين يرأسه الآغا.

[3] مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق، ص171.

[4] نفسه، ص172.

[5] الغليوطة كانت تصنع بالجزائر وهي سفينة حربية أصغر من القاليرة، تحتوي على أربعة عشر مصطبة وعدد مدافعها عشرون وبحارتها من عشرة إلى ثلاثون رجلا، شاعت عند الهولنديين في القرن الثامن عشر.

Mahfoud kaddache, l'Alger durant la période ottomane, Militaire des publications, Alger, 1992, P42.

[6] عزيز سامح ألتر، المرجع السابق، ص386.

فغضب الصدر الأعظم[1] "**كوبرلو محمد باشا**" من هذا الانقلاب واستدعى الباشا من أزمير وأمر بقتله، كما أرسل فرمانا إلى الجزائر جاء فيه:" أخيرا لن أرسل إليكم واليا بايعوا من تريدون، السلطان ليس بحاجة إلى عبوديتكم، لدينا آلاف الممالك مثل الجزائر، فالجزائر وإن كانت وإن لم تكن شيء واحد ومن بعد ذلك إن اقتربتم من الممالك العثمانية فلن تكونوا راضيين."، كما كتب فرمانا آخر إلى البحارة في جميع السواحل العثمانية وإلى والي مصر وشريف مكة، يطلب منهم منع الجزائريين من الذهاب إلى الحج وعدم بيع السلاح لهم وعدم السماح لهم من الاقتراب من السواحل العثمانية.

على ذلك أرسل السلطان العثماني القابجي **بوشناق إسماعيل باشا** إلى الجزائر سنة 1661م، وقد قبل الباشا الجديد في الجزائر ممثلا للسلطان العثماني وخرج الجميع لاستقباله، لكن الديوان قرر أن الأحداث الأساسية والإدارة الفعلية تبقى بيد الآغا كما قرر تحديد مدة حكم آغا الإنكشارية بشهرين حتى لا ينفرد بالحكم ويستبد بالأمر،[2] فكان هذا المنصب في هذه الفترة صوريا نظرا لتسلط قادة الجيش الانكشاري الذين جردوه من أغلب صلاحياته، حيث كان آغا الانكشارية يتدخل في شؤون الحكم بطرق مباشرة أو غير مباشرة، بينما كان الوالي (الباشا) لا يمثل سوى هيبة السلطان العثماني بالجزائر.[3]

فأول أغا عين لهذا المنصب هو **خليل آغا** (1071هـ/1660م) فبمجرد انتهاء عهدته رفض التخلي عن منصبه فثار عليه جنود الانكشارية وقتلوه فخلفه **رمضان آغا** ومن بعده **شعبان آغا**،[4]

---

[1] الصدر الأعظم هو الشخص الذي حاز منصب رئيس وزراء في الدولة العثمانية وكان وكيلا مطلقا للسلطان العثماني وللتفريق بينه وبين الوزراء الآخرين أطلق عليه هذا اللقب. (للمزيد أنظر: سهيل صابان، المرجع السابق، ص143.)

[2] عزيز سامح ألتر، المرجع السابق، ص387-388.

[3] محمد بن جبور ، المرجع السابق، ص2.

[4] عمار عمورة، الموجز...، المرجع السابق، ص99.

وقد كان لقصر فترة حكم الآغا الأثر البالغ في كثرة الاضطرابات والخصومات والمؤامرات واستعمال القوة مما جعل معظم آغاوات هذا العهد يموتون موتت غير طبيعية بالاغتيال والقتل والبعض منهم يعزلون بالقوة.[1]

في هذه المرحلة بدأ تغير يظهر جليا في العلاقات بين الباب العالي والإيالة الجزائرية من خلال فرض نظام جديد على السلطان فكان بذلك بداية الاستقلال النسبي عن الدولة العثمانية.

ب- علاقات السياسية بين الجزائر و الباب العالي خلال حكم الدايات:

كان للهجومات المتوالية التي شنها الأوروبيون على الجزائر أواخر عهد الآغاوات تأثير كبير على الوضع الداخلي للبلاد وعلى السلطة نفسها، فقد فقدت البلاد كثيرا من سفنها التجارية وتأثرت طائفة الرياس بصفة خاصة لأنها تضررت أكثر من غيرها باعتبار أنها مالكة الأسطول والمراكز البحرية، ونتيجة ذلك تآمر رياس البحر على آخر الآغاوات "**علي آغا**" وقتلوه أوائل عام 1671م.[2]

وبعد مقتل **علي آغا** اختيرت عدة شخصيات لتخلفه حيث تم تعيين خمسة أو ستة آغاوات في ظرف ثلاث أيام، لكنهم امتنعوا عن المنصب لأنه يؤدي بصاحبه إلى القتل، وفي هذه الظروف اجتمعت طائفة رياس البحر وحولت هذا التمرد ضد **علي آغا** إلى انقلاب حقيقي، وقررت إلغاء نظام الآغاوية وتعويضه بنظام آخر أكثر استقرارا وهو نظام الدايات، ويعتبر تجسيد هذا النظام انتصارا لطائفة الرياس كما يدل على ذلك اختيار الدايات الأربعة الأولين من طائفة الرياس.[3]

أما بالنسبة لمدة حكم نظام الدايات فهو يختلف عن الأنظمة التي سبقته فينتخب فيه الداي ويظل في منصبه مدى الحياة ويتمتع بسلطة مطلقة، فكانت سياسته الداخلية والخارجية مستقلة عن

---

[1] يحي بوعزيز، الموجز...، المرجع السابق، ص43.

[2] نفسه، ص44.

[3] مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق، ص177.

الباب العالي، فهو الذي يعين الوزراء الذين تتشكل منهم الحكومة ويبرمون الاتفاقيات الدولية ويعلنون الحرب ويعقدون معاهدات السلام.[1]

وقد أبقى رياس البحر على منصب الباشوية كما فعل من قبلهم فرق الأوجاق الذين أبقوا عليه، فكان اسميا وشكليا لا تأثير له في توجيه سياسة البلاد وليس إلا رمزا للعلاقة الشكلية التي تربط الجزائر بالخلافة العثمانية، وبهذا كان الداي عبارة عن ملك مستقل غير أن حكمه يختلف عن حكم النظام الملكي بأنه لم يكن وراثيا.

ومن جهة نجد الفرق بين شكلية منصب الباشا في نظام الآغاوات وشكليته في نظام الدايات، أن الباشوية في عهد الأغاوات كان منصبا يحتله شخص معين من طرف السلطان العثماني دون الآغا، أما في نظام الدايات استمرت على شكيلة الآغاوات فترة من الزمن ثم تحول الأمر إلى أن أصبح الداي هو نفسه هو الذي يحمل لقب الباشا.[2]

وكان الباب العالي في الظروف العادية يكتفي بترسيم الوالي الجديد في منصبه لإضفاء الشرعية القانونية على الحكم بالجزائر، وكانت عملية اختيار الوالي الجديد تتم بعد اجتماع يحضره الكبار الشخصيات من الموظفين الساميين وعلماء الدين، وبعد اختياره يقوم العلماء والأعيان بإلباسه الخلعة العثمانية أو القفطان،[3] ثم يقوم الداي الجديد بكتابة تقرير يرسله إلى السلطان العثماني يشرح له فيه الظروف التي أحاطت بتعيينه كما يطلعه على كل التفاصيل، حتى يكون للسلطان صورة واضحة ودقيقة عن السلطة الجديدة في الجزائر، ولكي يكون التقرير الذي يرسله الداي إلى الباب العالي

[1] عمار عمورة، الموجز...، المرجع السابق، ص100.

[2] المرجع السابق، ص178.

[3] أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص95.

مصداقية يوقعه عليه بنفسه، وكذا كبار موظفي الإيالة كآغا الانكشارية،[1] بالإضافة إلى توقيعات بعض العلماء والقاضي المفتي ونقيب الأشراف، إلى أن خبر تعين الداي كان يصل قبل وصول التقرير إلى السلطان العثماني، حيث كان وزير البحرية العثمانية يبادر بإيصال الخبر كونه المسؤول الأول والرئيسي عن المقاطعات العثمانية المواجهة للبحار.

ومن جهة أخرى كان السلطان العثماني يرد عليه بفرمان يتضمن عدة توصيات وإرشادات تتعلق بشؤون الإيالة والحفاظ على وحدتها واستقرارها السياسي، والأمن في البحر المتوسط وإحلال العدل والحكم بما يمليه الشرع والقانون الإسلامي، كما كان يوصي الباشا الجديد بطاعة الباب العالي واحترام الدول الخليفة لدولة العثمانية، وضرورة تجنب المشاكل وحلها والابتعاد عن الخلافات، وتوفير كل الظروف الملائمة والمساعدة التي تحفز الأوجاق على العمل، وتشجيعهم للحرص على مصالح الدولة العثمانية والغيرة عليها.[2]

أما تجديد ولايته من قبل الباب العالي فإن المصادر تذكر أنه كان يتم مرة كل ثلاثة سنوات ولم يكن حصول ديات الجزائر على عهد الولاية أو تجديدها لهم من السلطان العثماني سوى تقليدا اعتاد الجزائريون المحافظة عليه، كأسلوب لتدعيم الجانب المعنوي في العلاقات بين الايالة والباب العالي وتعزيز سيادة السلطان الروحية،[3] فحسب "**حمدان بن عثمان خوجة**" أن هذه العملية تتم في المناسبات الدينية، خاصة في عيد الفطر من كل سنة حيث كان يجتمع الديوان فيعقد اجتماعا

[1] يعتبر آغا الإنكشارية بمثابة الجنرال والقائد الأعلى للجيش، يعين في منصبه لمدة شهرين فقط لذا يعرف بآغا الهلالين ثم يحال على التقاعد ليصبح يدعى بمنزول آغا أو معزول آغا، ويحتفظ الآغا بحقه في حضور اجتماعات الديوان لكن كملاحظ فقط، وكثيرا ما أوكلت للآغوات المتقاعدين مهام الإشراف على مؤسسات الأوقاف. (عائشة غطاس، المرجع السابق، ص80.)

[2] محمد بن جبور، المرجع السابق، ص03-05.

[3] أحمد السليماني، النظام...، المرجع السابق، ص20-21.

لتجديد الثقة في الباشا بإلباسه الخلعة السلطانية[1] ثم القيام بالطقوس التي تمت في الاحتفال الخاص لتعين الباشا الجديد.[2]

ومع شعور الدايات بوجود ازدواجية في الحكم أخذوا يسعون للقضاء على منصب الباشوية وإلغائه بالوسائل المختلفة، وكثيرا ما منعوا الباشا من النزول إلى البر عند قدومه من القسطنطنية، مثل ما حصل 1686م في عهد الداي **حسين ميزمورتو** وكذلك في عام 1711م أين أرغم الداي **علي شاوش**[3] الباشا الجديد على الانسحاب من الميناء الجزائر إلى القل وتمكن من إقناع الباب العالي على تعيينه هو الباشا إلى جانب منصب الداي[4] حيث أرسل إلى السلطان العثماني **أحمد الثالث** 1703-1730م رسولا محملا بالهدايا وزوده برسالة يشرح الأسباب التي دفعته إلى منع **إبراهيم باشا** من الدخول إلى مدينة الجزائر والخطورة الناجمة عن تقلد شخصين للسلطة في آن واحد.[5]

إن الجمع بين السلطتين واللقبين أكسب الدايات نفوذا كبيرا وفسح لهم المجال للممارسة سلطتهم بشكل فعلي، فالداي **علي شاوش** أدار البلاد بشكل جيد وفرض كلمته على مؤسسة الديوان فلما أصابه داء الملاريا وأدرك أن أيامه معدودة، أوصى بأن يخلفه أحد وزرائه وهو **محمد الخزناجي ابن الحسن** الذي تولى السلطة في أفريل 1718م دون معارضة تذكر، ويعد هذا بمثابة خطوة حاسمة في سبيل وضع دعائم نظام سياسي بمنأى عن هيمنة الجند فأصبح تعيين الدايات يتم

[1] الخلعة السلطانية: وهي نوع من الملابس الخارجية أو ما يسمى بالعباءة أو الرداء. (ينظر: سهيل صابان، المرجع السابق، ص183)

[2] حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص121.

[3] تولى الحكم علي شاوش يوم 18 الخميس جمادى الثانية 1710م مات بمرض الزحار ودفن داخل مدينة الجزائر خلف القصر. (أنظر: ابن المفتي بن رجب، المصدر السابق، ص61.)

[4] يحي بوعزيز ، الموجز...، المرجع السابق، ص47.

[5] عزيز سامح ألتر، المرجع السابق، ص463.

من الوزراء،[1] وقد حافظ خلفاء **علي شاوش** على ما حققه هذا الأخير وتمسكوا بمبدأ الاستقلال عن الباب العالي، إذ عارضوا كل محاولات تدخل الدولة العثمانية في شؤون الجزائر كما رفضوا بشدة قبول الباشا وممثل السلطان العثماني.[2]

وابتداء من العقد الثاني من القرن الثامن عشر عرف نظام الدايات استقرارا واضحا وهو ما نلمسه في طريقة انتخاب الداي، كما نلمسه في مدة الولاية إذ تعاقب على السلطة خلال مائة وعشرين سنة أي بين (1710-1830م) سبعة عشر دايا بلغ وسط معدل بقائهم في السلطة ثمانية سنوات وهو مؤشر على استقرار النظام السياسي.[3]

وخلال هذه الفترة زادت حدت التوتر بين الجزائر والدولة العثمانية حيث تأكد اتجاه استقلال سياسة الجزائر عن سياسة القسطنطينية، إذ قاوم الدايات تدخل الباب العالي في الشؤون الداخلية والخارجية للجزائر، ويظهر ذلك جليا في ما قام به الداي **كردي عبدي**[4] من خلال رفضه وساطة السلطان العثماني في إبرام الصلح مع إسبانيا سنة 1725م حيث اعتبر ذلك تدخلا في السياسة الخارجية للجزائر ومن جهة سعيا من السلطان العثماني لاستعادة نفوذه بالجزائر، كما رفض تسليم الثائر المصري "**شركس محمد**" باي القاهرة السابقة للمبعوث السلطاني.[5]

وكرد على ما قام به **كردي عبدي** حاول الباب العالي إخضاع سلطة الداي لنفوذها حيث أرسلت إلى جزائر عام 1729م مبعوثا خاصا وأضفت عليه لقب الباشوية ليكون ممثل الخليفة الدائم بالجزائر،

---

[1] عائشة غطاس، المرجع السابق، ص57-58.

[2] De Grammont, Op .cit, P233.

[3] الطاهر عمري، المرجع السابق، ص18.

[4] امتدت فترة حكم كردي عبدي من 1718-1724م تميز بقوته الشخصية التي كانت الضامنة للأمن والسلام بالبلاد فرفض استقبال مبعوث السلطان عدة مرات، ولما فشل في تحرير وهران بلغ من الحزن لدرجة أنه امتنع عن الأكل والشرب إلى أن قضى نحبه.

[5] يحي بوعزيز، الموجز ...، المرجع السابق، ص48.

وكان مصحوبا بقابجي[1] وخمس وأربعين شخصية وزعت عليهم المهام الأساسية في الدولة، لكن بوصول السفينة إلى الميناء منعهم الداي من النزول وفي نفس الوقت استدعى **كردي عبدي** الديوان للاجتماع، فقرر هذا الأخير عدم استقبال بعثة الباب العالي وطلب منهم الانسحاب ومغادرة الجزائر.[2]

وقد وصلت حدت التوتر في عهد **الداي الحاج علي** أن قام هذا الأخير بقذف مبعوث الباب العالي "**محمود أغا**" بالقنابل أمام ميناء الجزائر الذي جاء ليضع حد للحرب بين الجزائر وتونس.[3]

فسمحت الدولة العثمانية بحرية التصرف للجزائر في شؤونها دون التدخل المباشر من طرفها وفي المقابل تمسكت الجزائر بقوة علاقتها مع الباب العالي ضمن الرابطة العثمانية الإسلامية التي يقرها الدين الإسلامي اعتمادا على التحالف المعنوي القوي الذي أقامه الجزائريون مع السلطان العثماني **سليم الأول**،[4] ومن جهة أخرى واصل الباب العالي ببعث فرامين همايوني حول الاتفاقيات مع الدول الأوربية لإقامة السلم وعدم التعرض لسفنها، مثل الاتفاقية المبرمة بين الباب العالي والنمسا حول حرية حركة التجارة عن طريق البر والبحر، وأن لا يقيموا مصالحة أخرى إلى عن طريق الباب العالي وأن ينفذوا شروط المعاهدة المبرمة.[5]

---

[1] القابجي هو بواب القصر السلطاني أو الهمايوني ويعد منصبا قيما. (ينظر: سهيل صابان، المرجع السابق، ص181.)

[2] مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق، ص214.

[3] عبد الجليل التميمي، بحوث ...، المرجع السابق، ص236.

[4] سفيان صغيري، المرجع السابق، ص37.

[5] دفتر مهمات الديوان الهمايوني رقم 132.

ينظر الملحق رقم:12.

فقد كانت سياسة حكومة الدايات بالجزائر وسياسة الباب العالي تتعارضان في الكثير من الأحداث الدولية في البحر المتوسط وأحسن مثالا عن ذلك اعتراف الحكومة بالجمهورية الفرنسية الأولى بعد الثورة الفرنسية 1789م عندما أقدمت الجزائر على تقديم الدعم المالي والمادي لفرنسا، بينما لم تعترف بها الدولة العثمانية إلى بعد وقت،[1] إضافة إلى الخلافات بين الطرفين استمرت بينهما خاصة في قضايا استيلاء الأسطول الجزائري على بعض سفن رعايا الدولة العثمانية، مثل الذي حدث مع سفن يونانية استولت عليها البحرية الجزائرية، مما جعل الباب العالي يرفض هذا العمل بالرغم من العداء الموجود بين اليونانيين والباب العالي، فرفض الهدية المقدم من طرف **الداي مصطفى باشا** 1212-1222هـ/1797-1807م.[2]

ففي هذه المرحلة الأخيرة للإيالة الجزائرية بدأت روابط الاتصال بالباب العالي تضعف وأصبحت العلاقة بينهم علاقة مصلحة مشتركة، اقتصرت على تقديم الطاعة للسلطان العثماني كونه خلية وأمير المؤمنين، بالإضافة إلى تبادل الهدايا وتقديم الإعانات العسكرية على الخصوص، كتنظيم الجزائر لعملية التجنيد وجلب المتطوعين في الجيش الإنكشاري من الأقاليم العثمانية ومن جهة أخرى مشاركة الجزائر إلى جانب الدولة العثمانية في حروبها،[3] فتميزت هذه المرحلة باضمحلال نفوذ السلطان العثماني بالجزائر فلن يبق له بها من مظاهر النفوذ الشكلية إلا الدعوة له على المنابر أيام الجمع والأعياد، وإصداره الفرمانات بالموافقة على تسمية الدايات المعينين من قبل الديوان –كما ذكرنا سابقا– بالإضافة إلى تلقي هدايا رمزية سنوية وأحيانا بعد عدة سنوات.[4]

---

[1] سفيان صغيري، المرجع السابق، ص48.

[2] أحمد شريف الزهار، المصدر السابق، ص72

[3] محمد بن جبور، المرجع السابق، ص12.

[4] يحي بوعزيز، الموجز...، المرجع السابق، ص47.

فكانت الجزائر في هذه المرحلة شبه جمهورية عسكرية لا يربطها بالدولة العثمانية سوى رباط ديني ووازع أدبي بينما حكامها قد أصبحوا يعتبرون أنفسهم كحلفاء للباب العالي فقط، فهم لا يتعاملون مع الدول الأوربية باسم القسطنطينية بل يتصلون بالأوروبيين مباشرة، كما أن ممثلي الدول الأوربية لدى الجزائر أصبحوا يتجاهلون السيادة العثمانية في تعاملهم مع الجزائر، ويظهر لنا مدى استقلالية الكيان الجزائري عن الدولة العثمانية في إلغاء منصب الباشا الذي فرضه السلاطين على الدايات،[1] ومن هذا فكانت علاقة الجزائر بالقسطنطينية علاقة صورية أكثر منها عملية وهي علاقة السيد بالسيد لا تربط بينهما سوى روابط الدين والمصالح المشتركة، فكانت الجزائر العاصمة مثلا كلما تعين دايا جديدا تبعث لاسطمبول (الباب العالي) رسولا يأتي بالفرمان وتبعث معه هدية تشمل عادة على بعض جلود الأسود والنمرة والأغطية الصوفية المصنوعة في العاصمة، وما عدا هذا النوع من العلاقات فأن الجزائر تعتبر مستقلة تعلن الحرب على من تشاء وتسالم من تشاء.[2]

وبالتالي: كانت الجزائر قبل حكم الدايات خاضعة للدولة العثمانية وينفذ الولاة أوامرها خاصة ولاة البليربايات والباشوات، وكانت الدولة العثمانية تتحكم في السياسة الخارجية للإيالة بحيث كانت الواسطة بينها وبين الدول الأخرى ذات المصالح المشتركة معها، وقد لاحظنا في عهد الباشاوات ظهور سلطة الديوان ووقوفه في وجهة السيطرة والنفوذ العثماني وسعيه الدائم لاحتفاظ الجزائر بشخصيتها في الميدانيين الداخلي والخارجي، أما في عهد الدايات فقد تحول كبير في العلاقات الجزائرية العثمانية، حيث استطاع الدايات أن يحققوا للجزائر نوعا من الاستقلال الذاتي عن الدولة العثمانية التي لم يكن لها يد في هذا الانقلاب ولم تستطع أن تواجهه، فلم يعد للسلطان نفوذ بالجزائر سوى إصدار الفرمانات بالموافقة على تسمية الدايات الذين يعينهم الديوان وكذلك التعيين الشكلي للباشا الذي يجلس بجانب الداي كمحاولة منهم لاستعادة ما فقده من نفوذه.[3]

[1] ناصر الدين سعيودني، النظام المالي...، المرجع السابق، ص22-23.
[2] حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص108.
[3] يحي بوعزيز، الموجز...، المرجع السابق، ص47.

من خلال عرضنا للعلاقات السياسية بين إيالة الجزائر والباب العالي نستنتج مايلي:

فلقد كانت قوية طوال الوجود العثماني في الجزائر، وهذا ما تدل عليه مظاهر هذه العلاقات وهذا عكس ما تظهره بعض المؤلفات الأوروبية التي تؤكد أن الباب العالي لم يبال بهذه العلاقة، ورغم استقلالية الجزائر عن الدولة العثمانية خلال فترة حكم الدايات في العديد من الجوانب كالإدارة والقضاء والجيش والعلاقات الخارجية، بقيت المظاهر التي سبق ذكرها تعبر بوضوح عن ارتباط إيالة الجزائر بالدولة العثمانية بل جعلت الإيالة جزأ لا يتجزأ من الإمبراطورية العثمانية على رغم من عجز العثمانيين الواضح في الدفاع عما يعتبرونه جزاءا من ممتلكاتهم أو مقاطعات تابعة لهم.

و قد تميز نظام الحكم في الجزائر خلال الفترة الأخيرة من مرحلة الدايات (1792-1830م) بالعديد من المظاهر تتجلى بدرجة كبيرة في الداي وصلاحياته، وتمتعت الجزائر باستقلال مالي عن الدولة العثمانية، فمن مظاهر السيادة الجزائرية في الميدان المالي وجود دار السكة المكلفة بضرب النقود كما أن العملة المضروبة في الجزائر كانت تختلف من حيث القيمة والنوعية عن غيرها من العملات العثمانية، وبالتالي الذي حدث في هذه الفترة هي بداية حكام الجزائر التراجع عن الانقياد لفرامين سلاطين الباب العالي، فسمحت الدولة العثمانية بحرية التصرف للجزائر في شؤونها الداخلية والخارجية دون التدخل المباشر وفي المقابل تمسكت الجزائر بقوة علاقتها مع الباب العالي ضمن الرابطة العثمانية الإسلامية من خلال الدعاء والراية والفرمانات والوكلاء وهو ما يقر بمدى قوة الرابط بين الجزائر والباب العالي.

الفصل الثالث:

العلاقات العسكرية الجزائرية العثمانية

مع ازدياد عمليات القرصنة الأوربية وضرب المسلمين في عرض البحر الأبيض المتوسط خلال القرن السادس عشر، وهو ما تسبب في صدام المسحيين بالعثمانيين فكان العثمانيون يمثلون الإسلام وعرفت الحروب التي قامت بينهم بالجهاد البحري، ومن هنا بدأت ملامح العلاقات بشمال إفريقيا تأخذ منحنى أخر بارتباط الجزائر رسميا بالباب العالي، فكانت المؤسسة العسكرية إحدى دعائم هذا الارتباط، ففي هذا الفصل سنتطرق إلى المؤسسة العسكرية بما فيها البحرية والدور الهام الذي لعبته في البحر المتوسط، التي أخذت نهج الجهاد ضد القوى الأوربية، ثم سنتعرض للمساعدات العثمانية العسكرية للايالة بما فيها دعم الباب العالي لعملية التجنيد وتقديم التجهيزات العسكرية لنتناول في الأخير المساهمة البحرية الجزائرية في الحروب العثمانية.

المبحث الأول: المؤسسة العسكرية الجزائرية

كان الجيش في الجزائر مثل الجيش في الدولة العثمانية، قائما على قاعدتين هما: الجيش البري والجيش البحري، فالجيش البري يتمثل في دعامتين: الجيش النظامي المتمثل في فرق الأوجاق وفي مقدمتها الجيش الانكشاري والجيش الاحتياطي غير النظامي، والمتمثل في قبائل المخزن[1] والكراغلة وبعض الفرق الأهلية، بينما البحرية كانت تشكل جانبا هاما ومميزا في قوة الجزائر العسكرية.[2]

1-الجيش الانكشاري ودوره في الايالة

احتل الجيش مكانة بالغة الأهمية في تاريخ الدولة العثمانية فهو أداة للحكم والحرب معا، وقد أسس هذا الجيش أورخان بن عثمان سنة (1326-1362م) أول سلاطين الدولة ويسمى هذا الجيش بالانكشارية، فارتبط تأسيس إيالة الجزائر العثمانية 1519م بالجيش كركيزة قوية في دعم نظام الحكم المركزي وهي الخاصية ذاتها التي تكونت بها الدولة العثمانية،[3] لهذا كانت إيالة الجزائر في نظر بعض الكتاب الغربيين جمهورية عسكرية اعتبارا منهم على أن المؤسسة العسكرية كانت القاعدة الأساسية التي يقوم عليها نظام الحكم بالجزائر،[4] إلا أنه لا يمكننا التسليم المطلق بهذا الحكم لما يضعفه من مبررات وتفاسير في كثير من الجوانب أهما الظروف التي كانت تمر بها إيالة الجزائر، التي وجدت نفسها ملزمة بالاهتمام بالجانب العسكري حتى تتمكن من التصدي للحملات الأوربية التي كانت تتعرض لها من حين لآخر.

---

[1] عشائر المخزن هي تجمعات سكانية تعميرية متمايزة في أصولها مختلفة، منها من أقره الأتراك بالأراضي التي وجدت عليها، لتكون سندا لهم ومنها من أعطيت لها الأرض لتستقر عليها.(أنظر: ناصر الدين سعيدوني، ورقات...، المرجع السابق، ص544.)

[2] حنيفي هلايلي ، بنية ...، المرجع السابق، ص8.

[3] خليفة إبراهيم حماش، المرجع السابق، ص91-92.

[4] شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 19. و

De Paradis Venture, Op.cit, P205.

ومن جهة أخرى يمكن إرجاع اصطباغ الجزائر بالجانب العسكري إلى بداية تأسيس الإيالة، حيث أقام خير الدين الدولة الجزائرية على اعتبار الولاء للسلطان العثماني والتبعية للدولة العثمانية التي كانت في صراع عسكري دائم مع القوى المسيحية في عرض البحر الأبيض المتوسط، مما حتم على الجزائر المشاركة إلى جانبها في معظم حروبها خاصة خلال القرن السادس عشر الميلادي الأمر الذي عكس صورة الجزائر كدولة عسكرية في أعين الأوربيين.

فقد أتت أول فرقة إنكشارية إلى الجزائر عام 1519م وهي التي أرسلها السلطان "**سليم الأول**" مع الوفد الجزائري الذي حمل له رسالة الجزائريين المعبرة عن رغبتهم في الالتحاق بالباب العالي، والمكونة من "ألفي إنكشاري" و "أربعة آلاف" من المتطوعين،[1] فعرفت الجزائر تنظيما عسكريا يشبه إلى حد ما المعمول به في الدولة العثمانية حيث كان إنكشارية الجزائريون يتمتعون بنفس الامتيازات التي حصل عليها إنكشارية استانبول نظرا لحاجة الإيالة لهم، فمنحت لهم تسهيلات وحقوق مادية ومعنوية،[2] وقد كان الجنود الإنكشارية بالجزائر ينحدرون في الغالب من أسر مسلمة[3] وأحيانا مسيحية يؤتى بهم من الولايات العثمانية المختلفة كالبلقان ليجندون في الجيش الإنكشاري.[4]

وقد كانت خدمة الجيش مرتبة حسب المدة الزمنية إلى ثلاث مراحل وهي كما يلي: فالعام الأول لحماية بلدان المدينة وهي النوبة، والعام الثاني لخدمة المعسكرات، والعام الثالث للراحة في الجزائر (العاصمة)،[5] وكان الجنود الانكشارية يسكنون الثكنات والمسماة بقشلات، فكانت لكل ثكنة تحت حكم ضابط برتبة "أمباشي" وعدد من الضباط، فقد كان في مدينة الجزائر فقط سبعة ثكنات،

---

[1] عائشة غطاس، المرجع السابق، ص70-73.

[2] محمد بن جبور، المرجع السابق، 39.

[3] De Paradis Venture, Op.cit, P 160.

[4] عبد العزيز محمد الشناوي، المرجع السابق، ص473.

[5] منور مروش، المرجع السابق، ص36-37.

وضمت كل ثكنة العديد من الحجرات وكل حجرة لها رقم وفيها عدد من اليولداش، ومن مهام هؤلاء الجنود أنهم كانوا يرسلون كنوبة أو حامية لحراسة المدن ونواحيها وأطلق عليها هذا الاسم (النوبة)، لأنها كانت تقيم مدة سنة ثم تخلفها حامية أخرى في ربيع كل سنة.[1]

وكان الجيش الإنكشاري في الجزائر يتكون من فرق ووحدات صغيرة تسمى أوجاق[2] وهو اسم مأخوذ من نظام الجيش الانكشاري باستانبول مع اختلاف بسيط، لأن كلمة أوجاق بالتركية تعني الجيش الإنكشاري كله، وقد بلغ عدد الأوجاق في مدينة الجزائر حوالي 424 أوجاقا يحمل كل أوجاق رقم يعرف به.[3]

كما كان نظام الخدمة العسكرية داخل وحدات الأوجاق بالجزائر نظاما عثمانيا بحتا في شكله العام، بيد أنه كان يختلف عن نظام الباب العالي في بعض الميادين والجوانب، خاصة فيما يتعلق بطبيعة الخدمة وحجم الوحدات العسكرية،[4] فكان يخضع لنظام محكم ومنضبط، فكل فرد في الجيش مسؤول أمام الآخر حسب رتبته والمهام المخولة له، وقد نص "عهد الأمان" الذي يعتبر دستورا أساسيا للمؤسسة العسكرية على احترام كل واحد لمنصبه والمهام الموكلة له دون أن يكون تداخل في الصلاحيات،[5] أما النظام الداخلي للجيش الانكشاري فقد كان نظاما غير معقد، حيث كانت معالمه

---

[1] المرجع السابق، ص37.

[2] الأوجاق: كلمة تركية بمعنى الموقد تطلق على قطاعات الجيش الانكشاري الذي يعتبر كعائلة واحدة تجتمع حول موقد البيت ولذا صارت تفهم بمعنى المأوى وبمرور الزمن أصبحت تطلق على الجيش والحكومة معا. (أنظر: آرجموند كوران، السياسة العثمانية اتجاه الاحتلال الفرنسي 1827-1847م، تر: عبد الجليل التميمي، الشركة التونسية لفنون الرسم، ط2، تونس، 1974م، ص16.)

[3] عائشة غطاس، المرجع السابق، ص78.

[4] Tomas Show, Voyage dans régence d'Alger, Traduit de l'anglais par : J.Mac Carthy, Edition bouslama, 2eme édition, Tunis, 1980, P158.

[5] المرجع السابق، ص78.

معالمه واضحة والعلاقة بينه وبين الدولة مبنية على معرفة الجند بحقوقهم ووجباتهم نحوها، هذا النظام الذي رسم له الطريق السليم الذي يسير عليه الجندي.[1]

وكانت الرتبة العسكرية في الجيش الإنكشاري بالجزائر على النحو التالي:

1. يولداش: وهو المجند الجديد الذي لا رتبة له ويدعى بيكي يولدا شاي اليولداش الجديد.
2. أسكي يولداش أو اليولداش القديم: يتحصل على هذه الرتبة بعد مرور سنوات من الخدمة كأسكي يولداش.
3. وكيل الحرج: وهو المقتصد ورتبته تعادل عريف أول وقد يتعدى عدد وكلاء الحرج في الأوجاق الواحد وهذا حسب أهمية الأوجاق.
4. وكيل حرج ألتي: وهو وكيل حرج ثانوي.
5. أوده باشي: وهو المسؤول عن الأوده في الأوجاق ورتبته تعادل رتبة ملازم أول.
6. آشجي أو عجشي باشي: وهو الطباخ ويعمل تحت أوامر وكيل الحرج.
7. عجشي باشي أو رئيس الطباخين ورتبته تعادل رتبة البلوك باشي.
8. بلوك باشي: وهو المسؤول عن الأوده في الأوجاق ورتبته تعادل رتبة نقيب.
9. باش بلوك باشي أو الكاهية: وهو أقدم ضباط في الجيش وهو خليفة الآغا ويترأس اجتماعات الضباط المكونة من الياياباشية وعددهم 24 يجتمعون بالقرب من منزل الآغا.

[1] محمد بن جبور، المرجع السابق، ص43.

10. ياياباشي: ويشكلون فرقة مميزة تضم أقدم ضباط المدفعية والبلوك باشية القدامى، وقد تركوا مناصبهم لضباط شباب واليايباشية هم مستشارو الديوان يرافقون دوما الداي في الحفلات العمومية ويساعدون الآغا في حل الأمور المعقدة، وأقدم يياباشي يختار ليصبح كاهية تم آغا وكان سفراء الجزائر يختارون من اليايباشية، كما كانوا يكلفون بحمل أوامر الداي إلى مختلف أرجاء الإيالة، كما يقومون بتفتيش السفن التجارية حتى تتأهب إلى الرحيل وكان الهدف من ذلك التأكد من عدم هروب الأسرى.

11. الآغا أو آغا العسكر: وهو القائد الأعلى للجيش وهو بمثابة الجنرال، يعين في منصبه لمدة شهرين فقط ولذا يعرف بآغا الهلالين ثم يحال إلى التقاعد أين يصبح يدعى بمنزول آغا أو معزول آغا، لا يترك الآغا الجزائر مدة توليته المنصب ويقيم بمنزل خاص، أين تسلم له كل مساء مفاتيح المدينة ومن صلاحياته معاقبة الأتراك سريا بمنزله سواء بالسجن أو الضرب أو القتل إن أمره الداي بذلك، وعندما يتولى الداي منصبه يلبس قفطان التولية ويتسلم وثيقة عهد الأمان، ويحتفظ بحقه في حضور اجتماعات الديوان لكن كملاحظ فقط، وكثيرا ما أوكلت للأغوات بعد تقاعدهم مهم الإشراف على مؤسسة سبل الخيرات.[1]

والقوانين التي تمنح بها هذه الرتب العسكرية قائمة فقط على مراعاة الأقدمية في الخدمة، وكانت أعلى الرتب العسكرية تمنح للأتراك في الدرجة الأولى، ثم تمنح للأعلاج أما غيرهم من أهل البلد فلا ترقية في حقهم وإن كانوا من الكراغلة هؤلاء يحق لهم في بعض الظروف الانتساب للفرقة للدفاع عن وجود الوجاق، وبعد مرور شهرين على بلوغ الضابط مرتبة الآغا يتحصل على لقب شرفي هو (موصولاغا)، وأنداك يفقد حقه في قيادة عسكرية ثم يصبح عضوا في الديوان الأعلى الذي يترأسه الداي، ويشارك في اتخاذ القرارات الهام، كما أنه يحق له تولي مسؤوليات مدنية وهذه الطريقة في الترقية

[1] عائشة غطاس، المرجع السابق، 79-80.

العسكرية التي لا تراعي قدرة وقوة الفرد وقت الصعاب تجعل الرجال لا يبذلون الجهد في تحسين قدراتهم القتالية ومعارفهم، كما أن الراتب يلعب دورا مهما في حياة هؤلاء العساكر الذين يطمعون في المزيد من العطايا والمنح وبالتالي تراهم يميلون إلى العنف وإثارة الفتن واللجوء إلى الاغتيالات للحصول على مبتغاهم من الشخص الذي يرونه قادرا على تجسيد رغباتهم بالعطايا والامتيازات.[1]

وكان جنود الجيش الإنكشاري يتمتعون بعدة حقوق لم يتمتع بها غيرهم من سكان الإيالة ولم يكن هذا باعتبارهم طبقة معينة، وإنما لوضعهم القانوني بالنسبة للباب العالي أو الديوان، وكانت الأجور من ضمن تلك الحقوق والتي كان يطلق عليها مصطلح "علوفة" أي المبلغ من المال الذي يتقاضاه الموظف في المؤسسة العسكرية أو في الديوان من خزينة الدولة مقابل الخدمة التي كان يؤديها في أوقات السلم أو الحرب.

وكان الجندي الإنكشاري بإيالة الجزائر يتلقى نفس الأجر الذي كان يستفيد منه الجندي الإنكشاري بإستانبول، حيث كان يصرف له بانتظام من الخزينة المالية للإيالة وكانت الرواتب تعتبر في الجزائر من أهم الالتزامات التي يتعهد بها الباشا عند توليته و يحرص على تقديمها في مواعيدها، وكان يحسب مرتب الجندي الإنكشاري في الإيالة بمجرد وصوله إلى الميناء وإذا صادف يوم دفع الرواتب فإنه يستفيد من حصته رغم أنه لم يباشر عمله،[2] ويتسلم الجندي الانكشاري أجرته كل شهريين وتتراوح بين 14 و160 صيمة (Saima) كأعلى مبلغ، والملاحظ أن هذه الأجرة تسلم لكل تركي أو كرغلي (Fils de Turcs) مقيم بالجزائر سواء كان مسجلا أو غير مسجل في قوائم الانكشارية،[3] ويبدو أن الأجرة تبدأ ضئيلة ثم تزيد كلما صار الجندي قديما في سلكه، كما تزيد حين

[1] يحي جلال، المرجع السابق، ص152.

[2] محمد بن جبور، المرجع السابق، ص44.

[3] Albert Devoulex, Op.cit, P26.

يعين داي جديد أو عندما يكون هناك انتصارا في الحروب والمعارك لكنها لا تتعدى 160 صيمة،[1] ويذكر في هذا الصدد **ويليام شال** أن أجرة اليولداش الجديد لا تتعدى نصف دولار في الشهر، ومع مرور الزمن ترتفع لتصل إلى ثماني دولارات وهو أعلى مرتب.[2]

وعلى نقيض ما كان معمول به في استانبول التي كان نظام الأجور فيها لا يساوي بين الجند في الرواتب، فإن النظام بإيالة الجزائر كان مختلفا تماما حيث كان يساوي بين الجند والضباط، وكانت عملية دفع الرواتب والزيادة فيها تتم بالتساوي دون استثناء أحد، وكان راتب الباشا ووزرائه هو أعلى الرواتب الذي لا يمكن للجندي العادي أن يصل إليه إلا بعد خدمة اثنتي عشر أو ثلاث عشر سنة في الجيش.[3]

وعن دور وحدات الجيش الإنكشاري خلال الفترة الأولى لتأسيس إيالة الجزائر تذكر الباحثة **كورين شوفاليه** أن **خير الدين بربروس** أبقى هذه الوحدات على حياد، إذ كان ديوان الإنكشارية لا يقوم إلا ببعض الأعمال الشكلية كالتحضير للانتخابات في مختلف المناسبات، كما تذكر أنه حتى سنة 1567م لم يسمح للإنكشاريين الصعود على متن السفن، لأن هذا المجال كان محجوزا لرياس البحر فقط، لكن مع مرور الزمن وبوصول دفعات جديدة من الجنود بدؤوا ينافسون طائفة الرياس ودخلوا معهم في صراع أكثر من مرة من أجل الوصول إلى الحكم.[4]

وقد لعب الجيش الإنكشاري دورا كبيرا في الدفاع عن الجزائر وفي صد الغارات المتكررة عليها فأظهر بسالته في القتال والتضحية، وقد شهد بذلك **اللورد إكسموث** أثناء حملته على الجزائر

[1] وليام سبنسر، المرجع السابق، ص59.

[2] وليام شالير، المرجع السابق، ص45.

[3] محمد بن جبور، المرجع السابق، ص45.

[4] كورين شوفاليه، المرجع السابق، ص66.

1816م إذ ذكر:" بأنه لم يرى في حياته عدوا أكثر صمودا وأكثر تشبثا بأسلحته ولا حماس مثل حماس الجزائريين في القتال فلا أحد تراجع ولو خطوة واحدة"، إلا أن هناك جانب سلبي يؤخذ على الجيش الإنكشاري منذ زيادة نفوذه بالجزائر، وهو تورطه في المؤامرات على الحكام والإطاحة بهم واغتيالهم فكان الجيش يولي من يشاء ويعزل من يشاء فانحرف بذلك عن مساره الصحيح وكان سببا في عدم وجود الاستقرار السياسي بالجزائر وتوتر العلاقات بينها وبين الدولة العثمانية.

وفكر بعض حكام الجزائر في القضاء على نواة هذا التنظيم العسكري مثل **الداي عمر** باشا لكن محاولته باءت بالفشل،[1] وعندما تولى الحكم **الداي علي خوجة** (1816-1818م) كان على دراية تامة أن الجيش الذي ولاه الحكم قد يطيح به في أي لحظة، ولهذا بدأ منذ توليه الحكم بتصفية المحيطين به فقتل الآغا ونفى الخزناجي إلى تلمسان وخوجة الخيل إلى مستغانم وولى مكانهم أفراد يثق بهم،[2] كما قام بنقل إقامته من قصر الجنينة إلى القصبة وحمل معه كل الأموال والأشياء الثمينة المودعة في الخزينة، كما أحاط نفسه بفرقة من الجزائريين لدفاع عنه، وأظهر بوضوح تصميمه على حل الفرقة الإنكشارية التركية والقضاء على امتيازاتها، فسلح الكراغلة الذين كانوا مبعدين قبل ذلك عن شؤون الحكم والوظائف السامية وأعاد عددا من الجنود الأتراك إلى المشرق وأوقف العمل بالتجنيد منه.[3]

2- البحرية الجزائرية وحركتها الجهادية:

اهتمت إيالة الجزائر بمختلف جوانب المؤسسة العسكرية فمثلما نظمت الجيش البري وأولته عناية كبيرة، فقد كرست أيضا اهتمامها بالبحرية والأسطول البحري الذي كان يمثل هيبة وسيادة الدولة ومحور قوة الجزائر العسكرية وسيادتها الإقليمية في الحوض الغربي للبحر المتوسط.

[1] عائشة غطاس، المرجع السابق، ص88.

[2] أحمد شريف الزهار، المصدر السابق، ص161.

[3] مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق، ص 265.

وأخذت البحرية الجزائرية نهج الجهاد البحري الذي تبناه العثمانيون في سياق الصراع العسكري والبحري ضد التحالف المسيحي في البحر الأبيض المتوسط، خاصة بعد أن أقدمت إسبانيا على طرد مسلمي الأندلس فكانت القرصنة أسلوبا مشروعا للانتقام من الإسبان وحلفائهم، وفي وقت تبنى المسيحيون القرصنة وأضفوا عليها الصفة الشرعية واعتمدوها أسلوبا حربيا لمواجهة العثمانيين،[1] فلعبت الملاحة الجزائرية دورا هاما في العهد العثماني، حيث أبدى الجزائريون مهارة عظيمة في الملاحة حتى أصبحوا لا يغلبهم أحد في حروب البحر واتخذوا لهم المراسي الأحسن مناعة في الساحل الجزائري والتونسي، من جربة إلى هنين[2] وأخذوا يغيرون على البلاد المسيحية.[3]

وأثارت مسألة القرصنة اهتماما كبيرا لدى كثير من مؤرخي الغرب، حيث اقترنت البحرية الجزائرية عندهم بأوصاف عدة، كاللصوصية والسرقة ووصفت الإيالة بوكر القراصنة واللصوص على الرغم من أن إيالة الجزائر قد مارست مثل أي دولة في المشرق والمغرب القرصنة بمفهومها الشرعي والقانوني الذي يحدده قانون البحار،[4] حيث قال أحد القناصل الأوربيين :" كان الداي يحاول إشغال القراصنة بالخارج، فلم يكن همه تقوية البحرية كقوة، لكن هدفه هو عملية القرصنة"،[5] كما عبر آخر بقوله:" الجزائر آفة الدنيا مضجع القراصنة، عجبا متى سيظل ملوك أوروبا يتحملون سفاهة وذل القراصنة".[6]

---

[1] مصطفى الغاشي، البحر المتوسط في الإستراتيجية العثمانية، مجلة كلية الآداب، جامعة تيطوان، ص04.

[2] هنين: مدينة ساحلية تقع شمال غرب الجزائر وغرب مدينة الغزوات أطلق عليها الرومان اسم "جيساريا و أرتيسيقا" و سميت أوني تحت الإسبان كانت مركزا تجاريا رئيسيا في عهد الموحدين.

[3] أحمد توفيق المدني، حرب ...، المرجع السابق، ص79.

[4] محمد بن جبور، المرجع السابق، ص74. (ينظر أيضا: دو غرامونت في مقدمة كتابه الجزائر تحت سيطرة الأتراك.)

[5] Moulay Belhamissi, Histoire…, Op.cit, P53.

[6] ملود قاسم نايت بلقاسم، المرجع السابق، ص72.

يرى البعض أنها حرب ذات طابع اقتصادي أو بالأحرى صناعة إذ هي شكل من أشكال الحرب التجارية تعتمد على التفوق في العتاد الحربي، وهذا النوع من الحروب كان جد مألوف ومعمول به عالميا والممارسين لهذا النشاط ينتمون إلى ديانات وأصول مختلفة وبذلك لم تكن القرصنة اختصاصا إسلاميا كما يدعي الغرب، وعلى هذا فإن القرصنة بالنسبة للمسلمين هي جهاد بحري تبناه سكان شمال إفريقيا عند تعرض سواحلها إلى الاعتداءات المسيحية.[1]

فظهرت النواة الأولى للبحرية الجزائرية مطلع القرن السادس عشر بعد أن جاء **خير الدين** من جيجل على رأس 21 مركبا، وفي سنة 1558م أصبح عدد الوحدات البحرية يزيد عن 53 قليدة (لومانة) و 25 فرقاطة (بارجة) وعدد من المراكب الصغيرة، وفي سنة 1571م كان بالجزائر خمسون مركبا مسلحا أما سنة 1580م كان هناك خمس وثلاثون قليوطة وعدد من أنواع السفن الأخرى،[2] فعرفت الجزائر في فترات الأولى من تأسيسها قوة وازدهار وإرهاب للأعداء لما كان عليه الأسطول البحري الذي يمارس الجهاد البحري ضد أطماع الغزاة من الأوروبيين المسيحيين ويقهر جيوشهم ويصد هجماتهم، فكل الحملات البحرية انتهت بانتصار الجزائريين بما فيها حملة اللورد **إكسموث** الضخمة، فأخذت وحدات الأسطول تتطور بصورة سريعة حيث نجد الأوروبي "بيول" قدم تقريرا يذكر فيه أنه خلال سنة 1686م كانت الجزائر تمتلك ما يزيد عن واحد وعشرون قطعة بحرية، يضاف إليها عدد من المراكب الصغيرة وإحدى عشر مركب ريقاتين ومركب وسبعة زوارق وأكثر من ستة عشر عمارة تجارية بدار الصناعة البحرية،[3] وفي سنة 1687م كان بالجزائر ثلاث سفن مسلحة بالمدافع وعدد كبير من المراكب الصغيرة وسفن من نوع يريقنتان وسفن في طور التجهيز في الورش.[4]

1 رحمونة بليل، المرجع السابق، ص14.
2 ناصر الدين سعيدوني والبوعبدلي، المرجع السابق، ص193.
3 نفسه، ص194.
4 جمال قنان، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث (1500-1830م)، المؤسسة الوطنية الجزائرية، الجزائر، 1987م، ص173.

وقد بقيت البحرية الجزائرية تقليدية في نظمها إلى غاية القرن الثامن عشر إذ ما قارناها مع نظم البحرية الأوروبية التي أصبحت تعتمد بمرور الزمن على الأساليب المتطورة والابتكارات العلمية، ورغم ذلك بقيت الإيالة حتى عام 1816م قادرة بإمكانيات البحرية لدفاع عن سواحلها من الهجمات الأوروبية، كما شاركت بقوة وفعالية إلى جانب الدول العثمانية في حروبها، بيد أن الهجوم الانجليزي الذي كان سنة 1816م قد أدى إلى شلل جزئي للبحرية وكان بمثابة ضربة قوية يتلقها الأسطول الجزائري في عرض البحر المتوسط.[1]

وتميزت التركيبة البشرية للبحرية الجزائرية بتعدد مشاربها يوحدها الجهاد في سبيل الله، حيث ضمت خليطا من العناصر المحلية والأعلاج الذين أسلموا، ويضاف إليهم البحارة الذين قدموا من الأندلس والمشرق، الأمر الذي أكسب الأسطول الجزائري قوة متجددة وتقنيات بحرية إضافية، وكان القائمون بشؤون البحرية ينتسبون إلى مختلف المستويات الاجتماعية في إيالة الجزائر كما أدى زيادة نشاط البحرية إلى استمرار اتساع نفوذ الطبقة المتوسطة من الحرفيين والتجار وأصحاب الدكاكين، الذين كانوا يستثمرون أموالهم في البحرية إما بالمساعدة في إعادة التجهيز أو لشراء الخشب وما تحتاجه السفينة.[2]

وقد كانت طائفة الرياس[3] العصب الرئيسي في تسير الأسطول البحري منذ نشأته كما كانت تتمتع بالاحترام الكبير لدى جمهور الشعب، كونها القوة الحامية للبلاد من هجمات المسيحيين

---

[1] محمد بن جبور، المرجع السابق، ص68.

[2] نفسه، ص75.

[3] ظهر رياس البحر منذ عهد خير الدين الذي كون منهم ثمانية آلاف جندي وكانت طائفة الرياس تتألف من الأتراك والأندلسيين والجزائريين في أوائل الحكم التركي ثم أصبحت الكثرة الغالبة منهم فيما بعد تتألف من الفئة التي اعتنقت الإسلام وهم الأعلاج. (رابح بونار، المغرب العربي تاريخه وثقافته، دار الهدى، ط3، الجزائر، 2000م، ص352.)

بالإضافة إلى أنها كانت تجند رجالا من شتى طبقات الشعب،[1] وكان لها دور كبير في تخفيف عبء الضرائب على سكان المدن والأرياف إذ كلما زادت مصادر الدخل البحري خفت الضرائب عن الأهالي، ومن جهة ساهم النشاط البحري لطائفة الرياس في رفاهية مجتمع المدن وزاد في غنى الحضر حيث تجمعت ثروات طائلة في أيدي البحارة والتجار.[2]

وقد تميز رياس البحر بالشجاعة والإقدام والانضباط باعتراف الكثير من الكتاب المسلمين والغربيين، إذ يذكر **دو هايدو**" أن رجال البحرية الجزائرية كانوا يجوبون البحار من الفجر إلى الغروب وخلال الشتاء والربيع دون خوف، ويسخرون من السفن المسيحية كأنهم يخرجون لصيد الأرانب"،[3] كما تحدث **التمقروتي** -الرحالة والسفير المغربي- عن كفاءتهم وانضباطهم حيث قال: " الجزائر عامرة كثيرة الجند حصينة ومرساها عامر بالسفن ورؤسائها موصوفون بالشجاعة وقوة الجأش ونفوذ البصيرة في البحر، يقهرون النصارى في بلادهم فهم أفضل من رياس القسطنطينية بكثير وأعظم هيئة وأكثر رعبا في قلوب العدو".[4]

وكان يشرف إداريا على البحرية الجزائرية "يالي وكيل حرج" وهو بمثابة وزير البحرية والشؤون الخارجية، وكانت مهامه تشمل ميدانين رئيسين: يتمثل الأول في مراقبة النشاط البحري والإشراف على الترسانة البحرية ومختلف الأنشطة الخاصة بالميناء التجاري والعسكري منها، أما الميدان الثاني فيتمثل في إشرافه على العلاقات الخارجية للإيالة، حيث يتصل في بعض الأحيان بالقناصل ومبعوثي

[1] ابن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تحقيق: محمد بن عبد الكريم، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ص42.

[2] ناصر الدين سعيدوني والبوعبدلي، المرجع السابق، ص200-201.

[3] Fray Diego De Haedo, Op.cit, P19.

[4] مولاي بلحميسي، المرجع السابق، ص57.

الدول الأوروبية كما يقوم بحل القضايا الخاصة بالعلاقات الدولية للإيالة،[1] ومن أبرز الضباط الذين يأتون بعد وكيل الحرج نجد "القبودان" وهو القائد الأعلى للأسطول البحري عند خروجه من الميناء إلى عرض البحر، ثم يأتي بعده "ليمان رئيسي" أي قائد الميناء والذي يشرف على عمليات تفتيش الميناء ومراقبته، فكانت له سفينة خاصة يجوب بها المياه الإقليمية لمدينة الجزائر ليراقب شواطئها وحركة السفن التي تدخل وتخرج منها بالإضافة إلى معرفة هويتها وطبيعة مهامها.[2]

ومن وظائف البحرية الأخرى وظيفة "وارديان باشي" والذي يعتبر من أبرز الموظفين في البحرية الجزائرية حيث كان يشرف على أنشطة الخدم في الميناء والذين كان معظمهم من الأسرى الأوروبيين، وكان يعين لكل رئيس سفينة العدد المناسب من الخدم للعمل على متنها،[3] وبالنسبة لطاقم السفينة كان يتكون من خمس بحار من بينهم الضباط وهم على المحو التالي:

1- القبطان رايس: وهو قائد السفينة وقد يكون مالكها أحيانا.

2- باشا رايس: وهو نائب القبطان قائد

3- صوصو رايس: وهو النائب الثاني لقائد السفينة.

4- رايس العسة: وهو مفتش المركب والمشرف على صيانته والعناية به.[4]

وكانت السفينة أداة الجهاد الأساسية لدى طائفة الرياس حيث كانت تحظى بالاهتمام البالغ والعناية المستمرة، ومن بين أنواع السفن التي كانت تستعمل في الجزائر نجد الشينيات والفرقاطات

---

[1] محمد بن جبور، المرجع السابق، ص18-19.

[2] مولاي بلحميسي، المرجع السابق، ص66.

[3] عائشة غطاس، المرجع السابق، ص97.

[4] يحي بوعزيز، الموجز ...، المرجع السابق، ص174.

والباشردات وغيرها، فخلال القرن السادس عشر كانت السفن المفضلة هي سفن الشيني، والتي تتميز بكونها طويلة وسريعة الحركة سهلة التوجيه ويتراوح عدد مقاعدها بين 24 و 28 مقعد، بالإضافة إلى الشينيات اعتمد الرياس على سفن أخرى صغيرة وخفيفة كالغليوطات والشراعيات أو الفرقاطات.

وبحلول القرن السابع عشر حصل تغير كبير في تشكيل الأسطول الجزائري إذ عوضت السفن ذات المجاديف بالسفن المستديرة ذات 74 مقعد مثل البريكات وغيرها، لكن هذا لم يمنع الرياس من الاحتفاظ بالغليوطات لحماية الميناء وللسير في المتوسط، وفي القرن 18م سجلت عودة سفن الشيني إضافة إلى الشبق، أما في القرن 19م أصبح الرياس يملكون الفرقاطات والكروفات والشالوب والغليوطات وغيرها.

وأبرز ما يلاحظه الدارس لتاريخ الجزائر العثمانية أن الجيش من الناحية السياسية كان له دور كبير في تثبيت دعائم الوجود العثماني بالجزائر ويظهر **ذلك من** خلال العمل على توسيع حدود الايالة،[1] فشكل دور الأسطول الجزائري في البحر المتوسط في العديد من المرات خلافات حادة بين الجزائر والباب العالي، خاصة عندما يصطدم بسفن دول أوروبية تقيم علاقات جيدة مع الدولة العثمانية،[2] فرفضت الجزائر في العديد من المرات إرجاع ما غنمته من السفن الدول الأوربية إلى أصحابها،[3] لأن ذلك يدخل في إطار الاعتزاز بالأسطول البحري ورجاله الذين في نظر الجزائريين يدافعون عن الإسلام والمسلمين فكان الباب العالي يحقد كثيرا على حكام الجزائر الذين يرفضون تنفيذ أوامره السلطانية.[4]

---

[1] حنيفي هلايلي ، بنية...، المرجع السابق، 79.

[2] عزيز سامح ألتر، المرجع السابق، ص304.

[3] أحمد توفيق المدني، الدولة الجزائرية تدافع عن استقلالها ضمن الجامعة العثمانية، مجلة التاريخ، العدد 7، ا 1979م، لجزائر، ص22.

[4] سفيان صغيري، المرجع السابق، ص40.

وتعود قوة البحرية الجزائرية في العهد العثماني إلى عدة أسباب منها :

- الموقع الجغرافي الممتاز وطبيعة سواحلها المفتوحة على أوروبا المتحكمة في الحوض الغربي للبحر المتوسط على امتداد 1200 كلم.
- الظروف الدولية والمتمثلة في التنافس بين الدول الأوربية وما أنجر عن ذلك من صراع وتوترات.
- تجنيد الأوروبيين في البحرية الجزائرية والذي اصطلح على تسميتهم بالأعلاج (Rénégats).
- الإيمان بحق الدفاع عن دار الإسلام بعد انهيار الأندلس وحلول الإسبان بالسواحل، وقد كان في طليعة من تطوع لركوب البحر لمواجهة سفن النصارى أهالي المدن الساحلية وعلى رأسهم جماعة الأندلسيين، وممن التحق بهم من الأعلاج الذين اعتنقوا الإسلام وكانوا قبل ذلك يعانون الجور في بلداهم من جراء النظام الإقطاعي والاستبداد الملكي السائد آنذاك بالبلاد الأوروبية.
- استخدام البحارة الجزائريون الأساليب الحربية الملائمة مثل الالتحاق إلى الغارات المفاجئة واستعمال بنادق البارود السريعة الطلقات والمدافع الخفيفة وسفن الشراعية في هجماتهم.
- مهارة البحارة الجزائريين وكفاءتهم الحربية ومقدرتهم القتالية العالية، ومن هؤلاء نذكر على سبيل المثال: الأخوين بربروسة، ودرغوث رايس وصالح رايس، وإيدين رايس وآرناؤوط مامي، وعلج علي وعلي بتشين وحسن فينزيانو ...وغيرهم.[1]

[1] حنيفي هلايلي، بنية..، المرجع السابق، ص28-29.

وإن مظاهر قوة البحرية الجزائرية في العهد العثماني كانت تضمن للدولة مداخل معتبرة كانت تأتي من ثلاث مصادر أساسية: حمولات السفن بالغنائم التي تؤخذ من البحر و مبالغ افتداء الأسرى، والآتاوات التي تدفعها الدول الأوروبية تحت تدابير اتفاقيات شكلية لحماية سفنها من استيلاء القراصنة، و هناك مصدر رابع كان يحصل عليه من المؤسسة البحرية بذاتها و ذلك من خلال الإذن بالإرساء.[1]

ومن هنا نستنتج أن المؤسسة العسكرية سواء البرية أو البحرية كانت تقوم على العنصر التركي في المقام الأول، إلا أن التلاحم والاختلاط بين العناصر الوافدة من الأتراك، والسكان الأصليين للبلاد جعلت هؤلاء ينخرطون ضمن القوة العسكرية والتي أصبحت فيما بعد القوة الضاربة التي يعتمد عليها، فاكتسبت الجزائر من قوتها هيبة ومكانة في البحر الأبيض المتوسط، جعلت العديد من الدول تخشى مواجهتها منفرد وتستجيب لدفع الإتاوات والشروط التي تطلبها.

[1] المرجع السابق، ص42.

المبحث الثاني: المساعدات العسكرية العثمانية للجزائر

منذ التحاق الجزائر بالدولة العثمانية ساهم الباب العالي في إنشاء ودعم المؤسسة العسكرية الجزائرية عبر عدة جوانب، أهمها تنظيم عملية التجنيد والمساعدة على انخراط المتطوعين في الجيش الإنكشاري بالجزائر، ومن جهة تقديم التجهيزات العسكرية لأسطول البحرية الجزائرية.

1- تنظيم عملية التجنيد:

سعى حكام الجزائر في تنظيم الجيش على أسس مماثلة لجيش الدولة العثمانية الانكشاري، ولتزويد هذا الجيش بالجنود الأكفاء والمخلصين فكان لابد من تجنيد المتطوعين من مختلف مقاطعات الدولة العثمانية،[1] فكانت قضية تجنيد المتطوعين لفائدة الجيش الجزائري من المقاطعات العثمانية إحدى القضايا الهامة في تقوية العلاقات الجزائرية العثمانية، لذا أولى الباب العالي القضية اهتماما كبيرا في سياسته الخارجية مع حكومة الجزائر.[2]

يتم تجنيد المتطوعين في صفوف الإنكشارية في أوجاق الجزائر بالأستانة بتقديم طلب من الداي للسلطان العثماني الذي يتفضل ويوافق على ذلك مرة كل خمس سنوات في الحالات العادية التي لم تكن فيه الايالة في حروب أو تعاني من التهديد الخارجي، وتتم الدعاية للتجنيد على سواحل الدولة العلية ويتم تسجيل المتطوعين من الأجناد القادمين من مناطق عديدة شملت معظم أنحاء الدولة، ومختلف الأجناس المكونة لها ويجمعهم الانتماء إلى الدولة العثمانية،[3] فوصلت أول فرقة من الجيش الإنكشاري إلى الجزائر عام 1520م وهي تلك الفرقة التي أرسلها السلطان **سليم الأول**

---

[1] Marcel Colombe, «Contribution a l'étude du recrutement de l'odjak d'Alger dans les dernières années de l'histoire de la régence », In R.A, N 87, Alger, 1943, P 165-183.

[2] وليام سبنسر، المرجع السابق، ص87.

[3] حنيفي هلايلي، بنية ...، المرجع السابق، ص19.

(1467-1520م) مع الوفد الجزائري الذي كان في استانبول، والتي ضمت 6000 جندي منهم 2000 من الجيش الإنكشاري المدرب والمتمرس على القتال، إضافة إلى 4000 متطوع أضيفوا إلى الجند الذي كان مع **خير الدين** في مدينة الجزائر منهم 5000 جندي جزائري، كما أرسل مجموعة من البنادق والمدافع وكميات من الذخيرة،[1] وفي عام 1522م أرسل السلطان العثماني **سليمان القانوني** (1494-1566م) إلى الجزائر، أربعين سفينة على متنها ستة آلاف جندي إنكشاري ومنذ ذلك الوقت سمح للشبان في الأقاليم العثمانية بالهجرة إلى الجزائر للتطوع في سلك الجندية.[2]

وقد أولى العثمانيون والجزائريون أهمية كبيرة للمتطوعين في الجيش باعتبارهم يشكلون احتياطي يغذي الإيالة باستمرار، حيث زادت ظاهرة التطوع في الجيش خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر وأصبحت تشكل إحدى الروابط الأساسية بين الجزائر والدولة العثمانية،[3] فكان التجنيد عبارة عن مؤسسة قائمة بذاتها في الجزائر ولها موظفون يطلق عليهم اسم "الدائيات" تحت سلطة الوكلاء،[4] وتتم عملية التجنيد في الأقاليم العثمانية بطلب من الداي الذي كان يكلف وكلاء الجزائر المقيمين ببعض مدن آسيا الصغرى أو جزر بحر ايجة، منها مدينة سميرين وكريت وجنقالة (جبال أرمينيا حتى شواطئ البحر الأسود وكانت النسبة الكبيرة تأتي من الأناضول)، أو وفود مكلفون بمهام من أفراد الجيش ويترأس كل وفد ضابط،[5] ومن جهة أخرى شارك بعض الأتراك المقيمين بالجزائر في عملية التجنيد، ذلك حين عودتهم إلى الجزائر بعد زيارة ديارهم وأهاليهم بتركيا أثناء عطلهم، وكانوا

---

[1] يحي بوعزيز، الموجز...، المرجع السابق، ص16.

[2] محمود علي عامر، تاريخ المغرب العربي الحديث، منشورات جامعة دمشق، ط2، سوريا، 2000م، ص122.

[3] بن جبور محمد ، المرجع السابق، ص60.

[4] علي خلاصي، المرجع السابق، ص117.

[5] Marcel Colombe, Op.cit, P173-174.

يصطحبون معهم البعض من شباب سكان منطقتهم ويساعدوهم على الانخراط في الجيش الانكشاري.[1]

ولا تبدأ العملية إلا بإصدار السلطان العثماني فرمان يسمح للدائيات الجزائريين بتنظيم عملية التجنيد، وفي حالات أخرى يقوم الصدر الأعظم أو القبودان دريا بإعلام ولاة المقطعات العثمانية بعملية التجنيد، حيث وردت في بعض الوثائق ترخيص قائد الجيش العثماني **محمد خسرو** لوالي إزمير يدعوه فيه إلى السماح للجزائريين للقيام بعملية التجنيد، وسبب الترخيص أن الباب العالي كان يمنع عملية التجنيد بسبب قيام السفن الحربية الجزائرية بالاستيلاء على السفن التابعة للرعايا العثمانيين أو التابعة لدول أوربية أمضت اتفاقيات صداقة مع الباب العالي.[2]

وبالإضافة إلى المناطق التي أشرنا إليها كانت عملية التجنيد تنظم في مناطق أخرى كبعض جزر البحر الأبيض المتوسط، حيث استفادت إيالة الجزائر من مجموعة كبيرة من الجند المتطوع في الجيش الاحتياطي بأمر من الداي **مصطفى باشا** (1798-1805م) الذي أرسل بعثة انطلقت يوم 20 جمادى الأولى 1215هـ/ 22 سبتمبر 1800م وتوجهت نحو رودس وبعثة أخرى توجهت صوب أزمير، وعادت إلى الجزائر في 17 ربيع الأول 1215هـ/1800م وهي تحمل على متن سفنها 279 متطوعا،[3] وقد ذكر "**فونتير دي بارادي**" بأنه كان يؤتى بالجند من سميرين وقارماني واوسنتاش،[4] وكانت أعمار المجندين تتراوح ما بين سن العاشرة والسابعة عشر وكانوا هؤلاء الصبية يختنون ويلقنوهم الشهادتين، وبعد هذه الطقوس والترتيبات يسجلونهم في دفتر خاص بالمجندين حيث يسجل فيه الاسم المسيحي للمجند واسم والده وقريته وتسجل أدوات المجندين الشخصية.

---

[1] حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، 103.

[2] و.م.و، مج 3190 ، م1، الوثيقة 117-73-143.

[3] و.م،و، مج 3190، م1، الوثيقة 316.

[4] Venture De Paradis, Op.cit,P 59.

وكانت الجزائر تمتلك في الأناضول بناءا ضخما بمنطقة أزمير[1] اصطلح عليه اسم خان يشرف عليه وكيل يعينه باشا الإيالة ويساعده في أداء مهامه مجموعة من الموظفين، وكانت مهمتهم الإشراف على عملية تسجيل الجند الجدد حيث كانوا ينصبون الخيام التي يتوافد عليها الشبان للانخراط في الجيش وبعد ذلك يحول المنخرطون إلى الخان وبعد جمعهم يتم نقلهم إلى الجزائر.[2]

هذا وقد ضمت صفوف الإنكشارية بالجزائر عناصر أخرى أتت من تونس وطرابلس وجبل طارق وليفورنة، خاصة في الأعوام الأخيرة من الوجود العثماني بالجزائر حين قل التجنيد من الأراضي العثمانية وحين فرض الحصار على الجزائر عام 1827م وكذلك بعد القضاء على الفرق الإنكشارية في الدولة العثمانية أيام حكم السلطان **محمود الثاني**.

وعليه يمكن القول أن عملية التجنيد كانت تنظم في جميع أقاليم الدولة العثمانية ودون مراعاة الانتماءات العرقية خاصة في الفترة الأخيرة من الوجود العثماني بالجزائر، وهو ما ذكره "**حمدان بن عثمان خوجة**" بقوله: "أصبحت الإيالة تستقطب الجند من الولايات الأخرى دون الأخذ بعين الاعتبار اتجاهاتهم وكفاءتهم"،[3] وقد شجعت الدولة العثمانية المتطوعين للذهاب إلى الجزائر وهدفها من وراء ذلك هو الإبقاء على إيالة الجزائر في دائرة النفوذ العثماني فهي تدرك بعدها الجغرافي عن مركز الدولة العثمانية خوفا من انفصالها.[4]

[1] تقع أزمير على بعد 320كم جنوب غربي إستانبول وهي عاصمة إقليم أزمير، بها ميناء على الساحل الشرقي لبحر ايجة، حكمت المدينة شعوب مختلفة منها الإغريق والرومان والأتراك السلاجقة والمغول العثمانيون ومن عام 1424م سيطر عليها الأتراك باستثناء الفترة الممتدة من 1919 إلى 1922م الموسوعة العربية العالمية . .http : www.ahlalhdeeyh.com

[2] محمد بن جبور، المرجع السابق، ص61.

[3] حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص149.

[4] وليام سبنسر، المرجع السابق، ص87.

أما بالنسبة لتكاليف التجنيد فقد خصصت إيالة الجزائر مبالغ ضخمة لهذه العملية، ففي فترات رخاء الخزينة الجزائرية تكون عملية التجنيد سهلة وممكنة، أما إذا كانت حالة البلاد المالية سيئة خاصة في الفترات المتأخرة من بداية القرن 19م فتعرضت العملية إلى صعوبات حيث قل عدد المتطوعين وتأخر التجنيد.[1]

ومن أهم البعثات التي أرسلتها الإيالة في أخر عهدها بعثة انطلقت يوم 20 جمادى الأولى 1215/ 22 سبتمبر 1800م بأمر من الداي **مصطفى باشا** (1798-1805م) نحو رودس، وأخرى مكونة من 22 موظفا صوب أزمير، وعادت إلى الجزائر وهي تحمل على متن سفنها 279 متطوعا،[2] وفي رسالة **مصطفى كرموسي** وكيل الجزائر بالإسكندرية إلى **حسين داي** بتاريخ 15 ذي الحجة 1244هـ/1829م يخبره بتجنيد عشرين متطوعا لصالح الجزائر، وإرسالهم على متن سفينة تونسية،[3] وقد اضطرت السلطات إلى مضاعفة عدد البعثات لتجنيد المتطوعين لحاجتها الماسة للعساكر مثلما حدث في صيف 1242هـ/سبتمبر 1826م إذ بعث الحاج **خليل أفندي مفتي** الجزائر من أزمير برسالة إلى **الداي حسين** يخبره فيها بنقص الوكلاء المشرفين على عمليات التجنيد.[4]

وكانت عملية التجنيد تخضع لطبيعة العلاقات بين الجزائر والباب العالي حيث كانت السلطات العثمانية تمنع التجنيد عن الجزائريين في المقاطعات التابعة لها حين تسوء العلاقات بين البلدين، ويذكر "**جون وولف**": "أن عدد جند الانكشارية في أوائل القرن التاسع عشر تناقص بسرعة لعدم إمكانية التجنيد من المشرق"،[5] ومما لاشك فيه أن تناقص عدد الجند المتطوعين في الجزائر قد

---

[1] سفيان صغيري، المرجع السابق، 53-54.

[2] م.و.م، مج 3190، ملف 1، الوثيقة 316.

[3] م.و.م، مج 3190، ملف1، الوثيقة 316.

[4] م.و.م، مج 3190، ملف1، الوثيقة 176.

[5] جون ب وولف، المرجع السابق، ص125.

جاء نتيجة توتر العلاقات بين الباب العالي والإيالة، ومن جهة نتيجة ازدياد مشاكل الدولة العثمانية الخارجية وظهور عدة عقبات أمام مواصلة عملية التجنيد في الأناضول والمناطق الأخرى التابعة لها،[1] وقد كان البشاوات الجزائر يعبرون عن استيائهم لذلك من خلال التقارير التي كانوا يرسلونها إلى السلطان العثماني والتي أشارت إلى حاجة الجند وهذا ما توضحه الرسالة التي بعث بها **حسين باشا** إلى السلطان **محمود الثاني** في ديسمبر عام 1827م،[2] ومما جاء فيها: "لقد جرت العادة من قديم الزمان بخصوص جلب وتحرير الجنود من مدينة أزمير وضواحيها باسم الوكالة التابعة للأوجاق الجزائرية...فإذا كانت الإرادة الشاهانية موافقة على ذلك يتم إصدار الفرمان الشاهاني وإعطاؤه إلى رسول الباشا المشار إليه ليقوم بدوره بالمهمة التي جاء من أجلها...(رفض السلطان التجنيد بسبب أعمال البحارة الجزائرية في الاستيلاء على السفن الدول التي كانت في سلم مع الإمبراطورية العثمانية) وقد جدد حسين باشا أمير أمراء جزائر الغرب تقديم الطلب إلى المقام الشاهاني بخصوص التكرم السلطاني بالسماح لتحرير الجنود من مدينة أزمير وضواحيها...وبما أنه قد تبت لدينا رجوع القراصنة الجزائريين عن تلك الأعمال السيئة وندامتهم...فإنه يوافق على طلب حسين باشا المشار إليه ويعمل من أجل صدور فرمان شاهاني كريم يقضي بالسماح لرسوله (الحاج سعيد) بتحرير الجنود ...وهكذا فقد تم إرسال من القرار الصادر بشأن السماح بتحرير الجنود للأوجاق الجزائرية كل من:

1- سنجاق صقله والمسؤلون فيه.

2- منتت

3- صاروخان

[1] تمثلت في الحرب اليونانية العثمانية التي حولت البحر المتوسط إلى ساحة قتال دائم والقضاء على الجيش الانكشاري من قبل السلطان محمود الثاني عام 1243هـ/1826م. (للمزيد أنظر: خليفة إبراهيم حماش، المرجع السابق، ص176.)

[2] محمد بن جبور، المرجع السابق، ص63.

4-رودس

5-ايدين..."[1]

كما منع تجنيد الجزائريين بسبب أعمال البحارة الجزائرية في حجز سفن دولة النمسا وعدم امتناعهم وذلك من خلال الرسالة التي أرسلت من طرف المقام الشاهاني إلى أمير أمراء جزائر الغرب ومما جاء فيها: "...أمرة اليكم بترك جميع هذه التصرفات الشادة واللاقانونية وإعادة جميع السفن إلى أصحابها وإخلاء سبيل جميع الأسرى الموجودين عندكم ...أنكم لم تستجيبوا للأوامر الشاهانية ... كما أرسلت إلى جميع المحافظين الموجودين في أزمير وايدين ورودس وغيرها من المدن أوامر متعلقة بقطع الإمدادات العسكرية إليكم من هذه الجهات وأخبر بذلك وكلاءكم في تلك المناطق ومنهم الحاج خليل مفتي الجزائر..."[2]

من الواضح أيضا أن الوثائق العثمانية تشير إلى الصعوبات والعراقيل التي كان يواجهها الدائيات بخصوص عمليات التجنيد ومنها عدم وجود سفن لحمل المجندين، وهذا يظهر من خلال رسالة **الحاج حافظ إسماعيل** باش دائي الجزائر في إزمير أن **الداي حسين** في 15 صفر 1240هـ/1825م يطلب منه أن يتدخل لدى القنصل الفرنسي في الجزائر لكي يطلب منه موافقة السفن الفرنسية نقل المجندين إلى الجزائر بعد انتهاء الحرب مع انجلترا.[3]

---

[1] دفتر خط همايون، عدد 17216، تاريخ 1239هـ/1823م.

[2] دفتر خط همايون، عدد 22443 تاريخ 1243هـ/1827م.

[3] و.م.و، مج 3190، الملف 1، الوثيقة 126.

ومع ازدياد مشاكل الدولة العثمانية الخارجية وتصاعد الأزمة بين الجزائر وفرنسا بين عامي 1827-1830م، تضاعفت العقبات أمام مباشرة عملية التجنيد في الأناضول وأطراف الدولة العثمانية الأخرى، وأصيب بالركود إلى أن توقفت نهائيا قبيل الحملة الفرنسية.[1]

ومن هنا فعملية التجنيد كانت تتحكم فيه طبيعة العلاقة بين الجزائر والباب العالي بحسب سوء أو تحسن هذه العلاقة.

2- التجهيزات البحرية العثمانية لإيالة الجزائر:

تعتبر المساعدات إحدى مظاهر الارتباط بين الايالة الجزائرية والباب العالي، ولهذا أخذت في بعض الأحيان طابعا دبلوماسيا يتمثل في تجديد وإحياء الصلات العريقة بين البلدين، كما أخذت طابعا عسكريا وهو ما تمثل في المساعدات التي كانت تقدمها الدولة العثمانية للإيالة الجزائرية سواء في التجنيد البشري أو العتاد الحربي،[2] فكان من عادة الدول العثمانية أن تجهز الجزائر تقريبا كل سنة بالمراكب والتجهيزات البحرية المختلفة والمتنوعة، خاصة عندما ترسل قفطان وفرمان التولية للوالي الجديد، أو عندما تعود مراكب الجزائر التي تحمل الهدايا إلى السلطان العثماني أو التي ذهبت لمساعدة السلطان في حروبه.[3]

ومن أمثلة عن التجهيزات التي حصلت عليها الايالة: تجهيز الباب العالي لباي ولاية تلمسان **برقموز مصطفى** الذي جهز سفينته الحربية بالأراضي العثمانية،[4] و التجهيزات التي أرسلها السلطان

---

[1] خليفة إبراهيم حماش، المرجع السابق، ص180.

[2] ناصر الدين سعيدوني، النظام ...، المرجع السابق، ص149-150.

[3] يحي بوعزيز، الموجز...، المرجع السابق، ص167.

[4] إدريس الناصر رائسي، العلاقات العثمانية الأوروبية في القرن السادس عشر، دار الهادي، ط1، لبنان، 2007، ص379. (ينظر الملحق رقم:13.)

العثماني "**مصطفى الثالث**"[1] إلى الداي **محمد بن عثمان** باشا يوم 15 رجب 1180هـ الموافق ل 17 ديسمبر 1766م وهي عبارة عن مجموعة من التجهيزات البحرية كالتالي:

- ثمانية مدافع أربعة حديدية وأربعة نحاسية، اثنتان من نوع الهاون عيار 200، واثنتان من نوع الهاون عيار 100 واثنتان من نوع الهاون عيار 32 واثنتان ذات عيار 14.
- 38 صاريا صغيرا و250 مجدافا صغيرا و200 مجدافا كبيرا.
- 60 عجلة للمدافع 1577 قذيفة مدفع.
- 100 قنطار من العلك اليابس –السمك العربي–.[2]

وفي يوم 25 شوال 1180هـ الموافق ل26 مارس 1776م وصلت سفينة فرنسية من إستانبول تحمل التجهيزات التالية:

- 10 قطع من الخشب لصنع مراكز مدافع "الموريتي".
- 6 مراسن للسفن و26 قاعدة للسفن و193مجدافا كبيرا و250 مجدافا صغيرا.
- 3030 رطلا من الحديد و500 قنبلة و22 صاريا و87 قاعدة خشب لعربات الدافع.
- 2000 منفذا و 3715 رطلا من القنب لصنع الحبال.
- 2540 قنطارا من مسامير الحديد و 150 برميلا من العلك.[3]

[1] مصطفى الثالث: ابن أحمد الثالث ولد عام 1717م تولى الحكم سنة 1758م وعمره 41 سنة نظم الأحوال الداخلية ووطد دعائم الأمن.

[2] يحي بوعزيز، الموجز...، المرجع السابق، ص167.

[3] أحمد توفيق المدني، محمد ...، المرجع السابق، ص176.

كما أرسلت إستانبول في يوم 25 شوال 1180هـ الموافق لـ1767م إلى الجزائر سفينة ساردينية، وأخرى فرنسية قادمتين بهدايا من السلطان تمثلت في مجموعة من التجهيزات البحرية والعسكرية كانت على النحو التالي:

- 10 قطع من الخشب لصنع ركائز مدافع المورتي و 145 قاعدة خشبية للمدافع و 5000 قنبلة.
- 26 قاعدة للسفن و 139 مجدافا صغيرا و 5000 منفذ و 6 مخاطف لرسو السفن.
- 3715 رطلا من القنب لصنع الحبال.
- 22 صاريا 87 قاعدة خشبية لعربات المدافع.
- 150 برميلا من العلك، و45670 رطلا من الحديد.
- 7000 رطلا من المسامير النحاسية، و 2540 قنطارا من المسامير الحديدية.
- 17880 رطلا من القصدير، و50 قربة من الزفت أو القار المعدني.[1]

وفي عام 1784م أرسل السلطان العثماني مجموعة من التجهيزات والعتاد البحري تسلمها الحاج **مصطفى خوجة** تمثلت في 500 قنطارا من النحاس.

- 18 عودا مثلثا لصواري المؤخرة و 6 صواري كبيرة، 104 قواعد للمدافع.
- 500 قنطار من أسلاك الحديد و 200 قنطار من القار المعدني (الزفت).
- 452 مجدافا و 205 أعواد للحمالين.

[1] يحي بوعزيز، الموجز...، المرجع السابق، ص167-168.

- 538 قنطارا من البارود و 200 قنطارا من العلك ودفع **حسان** وكيل الحرج مبلغ 6150 قروش على استئجار السفينة التي حملت التجهيزات، كما دفع مصطفى خوجة مقدار 1025 محبوب للبقية ما اشتراه **لمحمد باشا**.

كما تسلم سليم آغا في العام الموالي مجموعة من العتاد تمثل في:

- 450 قنطارا من البارود و300 قنطار علك و 50 قنطارا من النحاس.
- 200 يد بندقية و 20 ألف قنبلة و 10 مدافع.
- 17 عودا مثلثا لصواري المؤخرة و 50 مجدافا.[1]

ومن خلال أمر همايوني تم إرسال للجزائر مساعدات عسكرية وذلك طلبا منها والذي ينص على إرسال مدافع الهاون الموجود بدار العامرة، وتزويد الجزائر بمدافع تدعى "طوج" وقطعتان بقطر 85 من مدافع الهاون، بالإضافة إلى تزويد الجزائر بمادة الحديد والرصاص والأسلاك بمقدار ثلاثة آلاف قنطار والخشب لصناعة السفن.[2]

وبمناسبة جلوس السلطان **محمود الثاني** على كرسي السلطنة أرسلت الجزائر هدايا وتحف ثمينة للباب العالي، وقد اهتم السلطان محمود بالبعثة اهتماما كبيرا وأكرمها، وردا على هديتهم أرسل معهم عام 1810م سفينة فرقاطة[3] وكميات من الحديد والخشب والقنب والقطران،[4] وفي عام 1819م وجه السلطان نفسه إلى الجزائر مجموعة من التجهيزات العسكرية وعددا من خبراء بناء السفن والجنود البحارة بطلب من **الداي حسين** كانت على الشكل التالي:

---

[1] أحمد توفيق المدني، محمد...، المرجع السابق، ص178.

[2] خط همايون، عدد 56499، تاريخ 1206هـ/1791م.

[3] الفرقاطة: هي نوع من السفن الحربية ذات حمولة أكثر من الكورفيت المركب الحربي الصغير.

[4] عزيز سامح ألتر، المرجع السابق، ص594.

40 مدفعا من النحاس و6 مدافع مقنبلة و 100 مدفع حديد.

- 3000 قنبلة عيار 18 و 3000 قنبلة عيار 16 و1300 قنبلة عيار 12.
- 15 ألف من البارود الأسود و 2000 قنطار زيت ونفط، و 500 قنطار زفت.
- 40 مركبا من نوع فرقاطة، و 100 قطعة سلاح و1200 شراع كبير.[1]

كما تطلعنا على ذلك في التقرير المرسل من قبل السلطان **محمود الثاني** لوالي الجزائر الغرب حسين باشا سنة 1235هـ/1819م ومما جاء فيه: "...وها أنا أحسنت إليك من طرف سلطتي بقطعة قربيط مجهز مع بعض المهمات الحربية وعدة مدافع يأتونك مع أهل الجزاير الغرب بعد بروز الإذن من لدن سعادتي الملوكية لهم..."[2]

كما قرر السلطان الاستجابة لطلب الأوجاق المتمثل في امدادهم بسفن وبارود.[3]

3- مساهمة بحارة الجزائر في تحديث وقيادة الأسطول العثماني

ساهمت الجزائر إلى جانب الدولة العثمانية في مجالين عسكريين مهمين: تمثل الأول في مساهمة البحرية الجزائرية إلى جانب الدولة العثمانية في حروبها ضد أعدائها الصليبيين في عرض البحر الأبيض المتوسط، أما المجال الثاني تمثل في طلب الباب العالي من بحارة الأسطول الجزائري تحديث وقيادة الأسطول العثماني في العديد من المناسبات.

---

[1] Moulay Belhamissi, Histoire de marine…, Op.cit, P 53-67.

[2] و.م.و، مج 3205، الوثيقة 32.

[3] خط همايون، عدد16237، تاريخ 1245هـ.

- **دور خير الدين بربروس والعلج علي في تحديث وقيادة الأسطول العثماني:**

لم تقتصر استعانت الباب العالي بالجزائر على استدعاء سفنها لمساعدة الأسطول العثماني في حروبه، فقد اعتمد الباب العالي عليها أيضا كمدرسة بحرية ظلت طوال ثلاث قرون تزود الدولة العثمانية بأفضل بحارتها،[1] فبعد أن عاد السلطان العثماني **سليمان** من حرب النمسا منتصرا[2] قرر محاربة **شارلكان** إمبراطور إسبانيا حيث رأى أن يتعهد بقيادة الأسطول البحري العثماني إلى **خير الدين**، حتى تكون أعماله البحرية أكثر نجاحا وفعالية، فوجه إليه فرمانا سلطانيا سنة 1533م جاء فيه:" رغبتي توجيه عمل ضد إسبانيا ضع مكانك رجلا جيد وعاقلا، وأسرع إلينا وإذ لم تجد من تتوفر فيه المقدرة أعلمنا..."[3] فلبى خير الدين نداء السلطان وتوجه إلى إستانبول على رأس أسطول يتكون من أربعين سفينة جيدة التسليح ومحملة بغنائم معتبرة.[4]

وبوصوله إلى الأستانة شرح خير الدين خطته **للسلطان سليمان** التي تعتمد على تضييق الخناق على الإسبان في عقر دارهم، ثم مهاجمة جزر البحر المتوسط وسواحل إيطاليا في نفس الوقت، بحيث لا يترك **لأندري دوريا** أي ملجأ ولا أي مكان للتموين،[5] ويبدو من خلال هذه الخطة أن خير الدين يملك خبرة واسعة بشؤون البحر المتوسط وهذا ما مكنه من التصدي للمشاريع الصليبية في المنطقة.

---

[1] خليفة إبراهيم حماش، المرجع السابق، ص144-145.

[2] تحرك سليمان القانوني إلى النمسا عام 1832م وكان ملكها آنذاك فرديناند وقد أرسل هذا الأخير إلى شرلكان يطلب المساعدة. (للمزيد أنظر: عزيز سامح ألتر، المرجع السابق، ص97.)

[3] نفسه، ص100.

[4] محمد بن جبور، المرجع السابق، ص 72.

[5] صالح حيمر، المرجع السابق، ص55.

وقد منح السلطان العثماني **لخير الدين** لقب قابودان باشا أي قائد الأسطول العثماني وزوده بثمانين سفينة وثمانية آلاف جندي لإنجاز مهمته، كما أعطاه صلاحيات واسعة في ما يخص صناعة السفن وتجهيز الأسطول،[1] حيث تمكن من إنشاء 61 مركبا بين باتشي وشيني.

أما بعد نكبة ليبانت ونتيجة للشجاعة والمقدرة التي أبداها **العلج علي** خلال قيادته الأسطول البحري وتمكنه من تجنيبه خسارة محققة، عينه السلطان العثماني أميرالا على الأسطول العثماني وكلفه بتجديد الأسطول وتعويض مادمر منه،[2] وكان العلج قد حضر إلى إستانبول ومعه كافة الرياس الذين تدربوا على يديه وكلفهم بإدارة دار السفن وعهد إليهم إنشاء سفن جديدة وأمر بإلغاء السهام من الأسطول واستبدالها بالبنادق.[3]

كما تمكن **العلج علي** في وقت قياسي من تعويض ما دمر من الأسطول العثماني إذ في جوان 1572م خرج بأكثر من 200 سفينة شيني وثمانية سفن نوع قلاع، وبذلك فوت الفرصة على أعداء الدولة العثمانية في الانتقام منها والقضاء عليها بعد تدمير أسطولها،[4] وهكذا استطاع العلج علي باشا بفضل الجهود التي بذلها من إعادة الحيوية والنشاط إلى الأسطول العثماني بعد تعرضه لنكسة كبيرة كما ازدادت شهرته أكثر من ذي قبل إذ حاول بابا الفاتيكان كسب العلج علي باشا إلى جانبه وعرض عليه إغراءات خيالية لكن دون فائدة.[5]

---

[1] صالح حيمر، المرجع السابق، ص140.

[2] عائشة غطاس، المرجع السابق، ص47.

[3] عزيز سامح ألتر، المرجع السابق، ص231.

[4] المرجع السابق، ص49.

[5] عزيز سامح ألتر، المرجع السابق، ص233.

وخلال الحرب التركية الروسية بين أعوام 1757و 1778م عين السلطان العثماني **مصطفى بن أحمد**[1] الباي **حسن باشا** قبطانا للبحرية العثمانية، بعد الشجاعة والبطولة التي أبداها في معارك الجيش العثماني ضد القوات الروسية حيث هاجم **حسن باشا** السفن التي كانت تحاصر جزيرة لمنوس وأرغمها على فك الحصار عنها، فكافأه السلطان العثماني عن هذا الانتصار برتبة الباشوية وعينه قبطان باشا أي قائدا عاما للأسطول العثماني.[2]

وأثناء تعين **حسن باشا** كقائد أعلى للبحرية العثمانية قام السلطان العثماني باستقبال النجدات العسكرية الجزائرية التي قامت هي الأخرى بدور مهم في الحرب العثمانية الروسية والتي كانت على التوالي: النجدة الأولى عام 1769م بقيادة الرايس القبطان **علي بن يونس** التي بقيت هناك خمس سنوات كاملة ثم عادت إلى الجزائر، بأمر من **حسن باشا** إذ يذكر **الزهار** ذلك بقوله:" فلما جاء فصل الشتاء سرح المراكب الجهادية لأنها أقامت خمس أعوام، على أن تقضي فصل الشتاء بالجزائر وترجع بالصيف".[3]

وكانت النجدة الثانية عام 1774م بقيادة القبطان **الرايس محمد** بقيت هناك ستة أشهر ثم عادت إلى الجزائر، أما الثالثة كانت يوم 17 جويلية 1789م بقيادة القبطان الرايس **الحاج سليمان**.[4]

وفي سنة 1807م قام السلطان العثماني **سليم الثالث** باستدعاء **علي باشا** الذي كان جنديا في إيالة الجزائر ثم تحول إلى وكيل لها في إستانبول، ونظرا لما أبداه هذا الموظف من شجاعة

---

[1] هو السلطان مصطفى (الثالث) السابع والعشرون من السلاطين العثمانيين.

[2] يحي بوعزيز، الموجز..، المرجع السابق، ص182.

[3] أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص46.

[4] المرجع السابق، ص182.

وانضباط في العمل، طلب منه السلطان العثماني دراسة أسباب الأزمة السياسية التي حدثت بين الدولة العثمانية وبريطانيا التي بدأت تهدد العاصمة إستانبول كما كلفه بقيادة الأسطول العثماني، وفي عام 1808م عزله السلطان **مصطفى الرابع** من منصبه، لكن مع تولي **محمود الثاني** الحكم أعيد إلى منصبه في نوفمبر 1808م ومع مرور الوقت عزله هو الآخر حتى لا يتعاظم نفوذه ويصبح مصدر خطر للحكام.

وهناك جندي آخر من البحرية الجزائرية كانت له سمعة كبيرة في الباب العالي وهو "**الطاهر باشا**" الذي كان جنديا في الإيالة، ثم تحول إلى جندي في فرقة المدفعية بالبحرية العثمانية ونظرا لخبرته العسكرية وإتقانه عدة لغات أجنبية اشتهر بين رياس البحر وفتحت أمامه الأبواب لتولي مناصب عليا في الأسطول العثماني.[1]

[1] محمد بن جبور، المرجع السابق، ص71.

المبحث الثالث: دور البحرية الجزائرية في الحروب العثمانية

دخلت إيالة الجزائر البحر الأبيض المتوسط وأصبحت أحد الفاعلين فيه و المتحكمة البارزة في مصيريه وتاريخه، وقد رفعت الجزائر شعار التضامن الإسلامي مع الدولة العثمانية في مواجهتها وحروبها المتواصلة، فقد ضم التحالف المسيحي ضد الدولة العثمانية كلا من اسبانيا والبندقية والبابوية فتواصل الصراع البحري في العالم المتوسطي كامل القرن السابع عشر وحتى منتصف القرن الثامن عشر،[1] فإن علاقات الجزائر مع الباب العالي كانت من جملة أهدافها تشكيل تحالف قوي ضد أي اعتداء خارجي أوروبي يستهدف الجزائر أو الدولة العثمانية، خاصة في البحر الأبيض المتوسط وظهر جليا من خلال مساعدة الجزائر للدولة العثمانية من خلال تدخل أسطولها البحري في العديد من الحروب التي خاضتها السلطنة ضد القوى والتحالفات الأوروبية.[2]

1- تحرير طرابلس وضمها للخلافة العثمانية:

لعل من بين أسباب قدوم العثمانيين إلى طرابلس (ليبية) ذهاب وفد ليبي إلى استانبول يطلب المساعدة من السلطان العثماني **سليمان القانوني**، الذي أسعده ذلك ووعدهم بالمساعدة خاصة بعد أن بايعوه كخليفة للمسلمين، حيث رد السلطان العثماني الوفد إلى بلاده مع **مراد آغا** وقلة من الإنكشاريين،[3] غير أن تسليم إسبانيا طرابلس إلى فرسان **القديس يوحنا**[4] كان الدافع الرئيسي الذي جعل السلطان العثماني يصمم على فتحها وإلحاقها بالخلافة، ومهما تكن الأسباب والدوافع يمكن

---

[1] حنيفي هلايلي، بنية...، المرجع السابق، ص 88-89.

[2] وليم سبنسر، المرجع السابق، ص136.

[3] شوقي عطا الله الجمل، المرجع السابق، ص129-130.

[4] استقر فرسان القديس يوحنا في جزيرة رودس بعدما طردوا للمرة الثانية من عكا بفلسطين، بسبب ارتكابهم المظالم ضد المسلمين ومهاجمة السفن العثمانية، فطردهم السلطان سليمان القانوني من رودس فاستقروا بطرابلس بعدما قدمها لهم شرلكان كهدية.

القول أن وجود الجزائر كإيالة عثمانية وتميز ولاتها بالقوة وروح المغامرة قد طمأن السلطان العثماني وهيأ له الأسباب في الإقدام على فتح طرابلس.[1]

وكان للانتصار الذي أحرزته الجزائر عام 1541م ضد **شرلكان** بداية لحرب طويلة وعنيفة بين القوى الإسلامية تحت لواء الخلافة العثمانية، والقوى المسيحية الأوروبية بزعامة إسبانيا، حيث صارت الجزائر القاعدة الغربية للخلافة العثمانية مع أنها لم تكن النقطة المركزية في هذا الصراع، غير أن البحارة الجزائريون الذين تكونوا على **يد خير الدين** قد لعبوا دورا بارزا فيه،[2] ويعد **درغوث رايس**[3] من أبرز البحارة الذين تكونوا على يد خير الدين وقد لعب دورا رئيسيا في بلورة أحداث الساحة المغاربية، بفضل شخصيته القوية وخبرته البحرية فقد سطع نجمه في عرض البحر بعد أن صارت لديه 24 سفينة، وشرع في الإغارة على السواحل الإسبانية والإيطالية متخذا من جزيرة جربة قاعدة لأسطوله، ولما اتسع نشاطه وكبر أسطوله راح يبحث عن ميناء أوسع فوجد ضالته في مدينة المهدية بتونس، فتمكن منها في فيفيري 1550م ومنها انطلق يغير على السواحل الأوروبية الأمر الذي أحدث أزمة بين إسبانيا والدولة العثمانية بحجة نقض هدنة 1545م التي كانت بينها.

ونظرا لازدياد خطر درغوث رايس بالمهدية القريبة من حلق الوادي التابعة للإسبان، أمر شرلكان نائبه **أندري دوريا** باستعادة هذه المدينة، فجهز هذا الأخير أسطولا يتكون من خمسين سفينة بقيادة نائب ملك صقلية **جوان دي فيغا،** وبمشاركة فرسان القديس يوحنا الذين أرسلوا أربع سفن على متنها مائة وأربعين فارسا، وقد تمكنت القوات الإسبانية من احتلال المهدية في 10 سبتمبر

[1] محمود علي عامر، المرجع السابق، ص159.

[2] جون ب وولف، المرجع السابق، ص60.

[3] ولد درغوث رايس بجزيرة رودس لازم خير الدين منذ صغره حتى أصبح من المقربين منه وسمح له ذلك بتقلده عدة مناصب عسكرية مهمة. (للمزيد أنظر: جون ب وولف، المرجع السابق، ص65.)

1550م لكن لصعوبة الاحتفاظ بهذه المدينة قرر **شرلكان** تدميرها بعد أن اغتصب واسترق سكانها.[1]

وكان رد الخلافة سريعا وحاسما إذ أرسل السلطان **سليمان القانوني** أسطولا بحريا يضم عشرة آلاف جندي بقيادة **سنان باشا**،[2] وبمساعدة **درغوث رايس** بايلرباي الجزائر وقبل الوصول إلى طرابلس هاجم الأسطول الإسلامي مالطة عام 1551م، غير أن استبسال الفرسان في الدفاع عن جزيرتهم حال دون سقوطها، فانسحب **سنان باشا** ورفاقه إلى جزيرة قوزو واحتلوها،[3] وفي الرابع من أوت 1551م وصل الأسطول الإسلامي إلى طرابلس، وتمكن من ضرب منشآت الميناء والدخول للمدينة بعد قصفها وطرد الفرسان منها وتم تعيين **آغا مراد** واليا عليها وأضحت بذلك طرابلس ولاية عثمانية.[4]

2- دور البحرية الجزائرية في حرب مالطة:

بعد أن فشل **حسن بن خير الدين** في افتكاك وهران سنة 1536م عزم السلطان العثماني **سليمان القانوني** على تصفية الوجود الاسباني في المغرب الإسلامي نهائيا، ولأجل ذلك كان عليه فتح مالطة أولا كونها القاعدة المسيحية التي تعرقل تحركات الأسطول العثماني نحو شمال إفريقيا، ففرسان **القديس يوحنا** منذ استقرارهم بمالطا أخذوا يهاجمون السفن الإسلامية، ويعترضون طريق الحجاج إلى البقاع المقدسة فضلا عن مشاركتهم في الحملة الإسبانية ضد الجزائر 1541م وبهذا جعلوا

---

[1] صالح حيمر، المرجع السابق، ص131.

[2] ولد سنان باشا بألبانيا 1520م وتولى ولاية أكثر من إيالة في الدولة العثمانية. (أنظر: فاضل بيات، دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، دار الهدى الإسلامي، بيروت، 2005م، ص132.)

[3] محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص216.

[4] يحي بوعزيز، الموجز...، المرجع السابق ، ص50.

من هذه الجزيرة القاعدة المتقدمة للعالم المسيحي تهدد أمن وسلامة المسلمين،[1] وعن هذا الخطر أرسل السلطان **سليمان** إلى **حسن بن خير الدين** بتاريخ 7 ذي الحجة 967هـ الموافق ل 1559م رسالة ليحضر أسطوله تقول: "ليعلم حسن باشا باي لرباي الجزائر....علمنا أن الكفار المندحرين قد اتخذوا منذ أمد قلعة مالطة الواقعة في الغرب، قاعدة يقطعون منها الحجاج الذين يذهبون إلى مصر على طريق البحر، وقد ألحق ذلك بالحجاج أضرار كبيرة..."[2]

ولكل هذه الاعتبارات قرر **السلطان سليمان** مهاجمة مالطة فاتخذ هذا القرار بالتنسيق مع القيادات العثمانية بالمنطقة وبصفة سرية، حيث راسل كل من **حسن بن خير الدين** حاكم الجزائر و**درغوث رايس** حاكم طرابلس من أجل الاستعداد لذلك.[3]

وقد تلقى **حسن باشا** رسالة سرية من السلطان في شهر سبتمبر 1564م يطلعه فيها عن عزمه على توجيه قوة عسكرية نحو مالطة وحدد له تاريخ الإقلاع شهر ماي،[4] فتوجه **حسن باشا** نحو مالطة على رأس قوة تتكون من 28 سفينة على متنها ثلاث آلاف رجل من خيرة المقاتلين الجزائريين وأكثرهم خبرة بفنون القتال إلا أن حسن باشا وصل إلى مالطة متأخرا أي بعد انتهاء المرحلة الأولى من المعركة والتي انتهت بمقتل درغوث رايس.[5]

وبوصوله تولى حسن آغا قيادة معظم الهجومات الخطيرة ووضع تحت تصرفه 6000 جندي حيث كلفه **مصطفى باشا** بمهاجمة حصن (سانت ميشال)، وقد تمكن البحارة الجزائريون من لوصول

---

[1] صالح حيمر، المرجع السابق، ص145.

[2] أحمد توفيق المدني، "من وثائق الجزائر العثمانية (العثمانيون والجزائريون يستعدون لإنقاذ وهران ولحصار مالطا)"، مجلة التاريخ، العدد2، 1975م، الجزائر، ص39.

[3] أحمد توفيق المدني، حرب..، المرجع السابق، 384.

[4] Fray Diogo de Haedo, op.cit, p19.

[5] De Grammont, Op.cit, P100.

إلى الحصن، وبعد محاولات متكررة اضطروا إلى الانسحاب لكثرة القتلى في صفوفهم مع أنهم ألحقوا أضرار معتبرة بقوات العدو، وفي 15 جويلية هاجم حسن آغا الحصن مرة أخرى من جهة البر في الوقت الذي هاجم نائبه **كانديليسا** من جهة البحر، ورغم تمكن الأسطول الجزائري من التقدم نحو الساحل إلا أنه لم يتمكن من إسقاط الحصن.[1]

وأمام الوضعية الصعبة التي آل إليها الجيش الإسلامي من نقص البارود وقلة المؤونة وانتشار الأمراض بين الجند، اضطرت قيادة الأركان إلى رفع الحصار وإنقاذ ما تبقى من القوات يوم 11سبتمبر1565م،[2] لا سيما بعد تلقي فرسان مالطة المدد والمساعدات التي كان لها الأثر الواضح في حسم المواجهة، ونظرا للدور الفعال الذي قام به حسن باشا أثناء المعركة عينه السلطان قائدا للأسطول العثماني سنة 1567م.[3]

3- دور البحرية الجزائرية في معركة ليبانت:

كانت البندقية الجمهورية الإيطالية الوحيدة التي لم تخضع للإسبان، وحفاظا على مصالحها السياسية كانت تفضل سياسة الحياد تجاه الصراع بين الدول العثمانية والدول الأوروبية، غير أن الدولة العثمانية تضايقت من غارات قراصنة قبرص ضد مصالحها في شرق البحر الأبيض المتوسط والذين كانوا يعترضون التجار العثمانيين والحجاج، فقرر السلطان العثماني الاستيلاء على قبرص التي كانت تابعة للبندقية.[4]

---

[1] صالح حيمر، المرجع السابق، ص150.

[2] محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص249.

[3] المرجع السابق، ص150.

[4] نفسه، ص158-159.

وفي منتصف شهر مارس 1570م أرسل السلطان العثماني مبعوثا إلى البندقية يطلب منها تقديم عرضية حول انتهاكات التي ارتكبها القراصنة، وكحل للمشكل طلب منها تسليم قبرص مقابل السلم بين البلدين غير أن مجلس شيوخ البندقية رفض ذلك،[1] عندئذ قرر السلطان افتكاكها بالقوة لذلك جهز أسطولا يحمل مائة ألف جندي تحت قيادة **بيالي باشا** في أوت 1570م وبعد حصار دام عدة أشهر سقطت المدينة في يد العثمانيين يوم 02 أوت 1571م.[2]

ونتيجة هذا أدرك **البابا بيوس الخامس** (1566-1572م) الخطر الإسلامي الذي يهدد البلاد الأوروبية فأخذ يسعى لجمع شمل البلاد الأوروبية وتوحيد قواتها تحت راية البابوية، وقد تمكن من ذلك رغم تنافر العلاقات الأوربية فيما بينها، حيث تم عقد "الحلف المقدس" يوم 25 ماي 1570م في كاتدرائية "سان ببار" ضم كل من أساطيل إسبانيا والبندقية وبقية الدويلات الإيطالية وألمانيا.[3]

ومن جهة كانت القيادة العثمانية على علم بالتحرك الأوروبي لذلك عمل السلطان العثماني على تعزيز قواته لمواجهة هذا الحلف، فراسل كل من حاكم الجزائر وطرابلس يدعوهم إلى الاستعداد للمشاركة إلى جانب الأسطول العثماني في المواجهة المرتقبة.[4]

ونظرا للدور البارز الذي لعبته الجزائر في الحروب العثمانية من قبل، وجه السلطان العثماني رسالة إلى بايلرباي الجزائر **العلج علي**[5] يدعو فيها إلى تجهيز سفنه والالتحاق بالأسطول العثماني ومما جاء فيها: "قد تقرر في هذه السنة الخيرة غزو الكفار من البر والبحر والإغارة وإلحاق الخسارة بجزره

[1] جون ب وولف، المرجع السابق، ص85.

[2] محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص255-256.

[3] Moulay Belhamissi, Histoire de marine ..., Op.cit, P167-168.

[4] صالح حيمر، المرجع السابق، ص159.

[5] العلج علي: (1500-1572م) أصله من كلابري الايطالية وقع في الأسر أثناء إحدى الحملات التي نظمها خير الدين ضد جنوب ايطاليا اشتغل في الإسلامية جدافا. (أنظر: مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق، ص103-105.)

المعادية وأسطوله هزمه الله وكذلك بقصد دفع مضرته وفساده...ونظرا للاعتماد الهمايوني على فراستك وكياستك ووفور شجاعتك وشهامتك فإني آمرك ومن معك من السفن والقاليتات بكامل أسلحتها بالتوجه عاجلا لملاقاة المشار إليه الوزير برتو باشا"، وقد سارع العلج علي إلى تلبية النداء إذ غادر الجزائر في ربيع سنة 1571م على رأس خمسين سفينة قصد الالتحاق بالأسطول العثماني.[1]

بدأت المعركة بين الأسطولين يوم 09 أكتوبر 1571م وكان الأسطول المسيحي يتكون من ثلاثمائة سفينة بقيادة **دون خوان النمساوي**،[2] أما الأسطول الإسلامي كان يضم الأسطول الجزائر بقيادة العلج علي والأسطول العثماني بقيادة **علي باشا** إضافة إلى الأسطول المصري.[3]

وبعد الاشتباك الذي دام قرابة ثلاث ساعات متتالية قتل علي باشا قائد الأسطول العثماني فخلفه العلج علي الذي شن هجوما عنيفا تمكن من خلاله من قتل قبطان مالطة والاستيلاء على سفينته، وقد حاولت سفن العدو تجميع صفوفها ومحاصرة **العلج علي** إلا أنه تمكن من الإفلات والانسحاب بأسطوله والعودة به بدون خسائر تذكر، على عكس الأسطول العثماني الذي أحرق وأغرق بعضه وتم الاستيلاء على البعض الآخر.[4]

4- دور البحرية الجزائرية في تحرير تونس:

قبل دخول العثمانيين إلى تونس كانت تحت حكم السلطان الحفصي **أبو العباس أحمد** الذي تميزت فترة حكمه بالضعف والخضوع للإسبان الذين تمكنوا من مد نفوذهم والسيطرة على حلق

---

[1] المرجع السابق، ص160.

[2] ولد دون خوان سنة 1545م بمدينة راتسبون بعد موت والده شرلكان أراد فيليب الثاني إدخاله الرهبنة لكنه لم يقبل فعينه قائدا في جيشه سنة 1570م وكلفه باضطهاد ما تبقى من المسلمين بإقليم غرناطة. (ينظر: محمد فريدك بك المحامي، المصدر السابق، ص297.)

[3] مولود قاسم نايت بلقاسم، المرجع السابق، ص163.

[4] محمد فرديك بك المحامي، المصدر السابق، 25.

الوادي، ونتيجة هذا توجهت هيئة من تونس إلى اسطنبول في سنة 1563م تطلب المساعدة من السلطان العثماني لإنجادهم من حكامها وطرد الإسبان منها، فلبى السلطان العثماني ندائهم وأمر **العلج علي** باشا بالتوجه إلى تونس.[1]

وبوصول العلج علي إلى تونس تمكن من طرد أبو العباس أحمد وأخذ البيعة من سكانها للسلطان العثماني كما نصب بها حامية عثمانية، ثم عاد إلى الجزائر من أجل تنظيم الأسطول تلبية لطلب السلطان مؤجلا بذلك أمر انتزاع حلق الوادي من الإسبان إلى فرصة أخرى،[2] وبعد معركة ليبانت سنة 1571م قرر الأمير **يوحنا الاستيري** -ابن شرلكان- أن يغتنم فرصة الرعب الذي أحدثته هذه المعركة، ورأى أن يبتدئ حملته الصليبية بغزو مدينة تونس واسترجاعها من أيدي العثمانيين فخرج في شهر أكتوبر سنة 1573م من جزيرة صقلية متجها إليها على رأس أسطول مؤلف من 138 سفينة تحمل 25 ألف مقاتل من المقاتلين، حيث تمكن من الاستيلاء عليها دون أي مقاومة تذكر.[3]

وبمجرد احتلال **يوحنا** مدينة تونس بدأت الاستعدادات الحثيثة من طرف الدولة العثمانية لاسترجاعها واسترجاع حلق الوادي،[4] ويظهر ذلك من خلال الرسائل التي بعث بها السلطان العثماني إلى حكام الأقاليم العثمانية في شمال إفريقيا يدعوهم فيها للاستعداد وتجهيز القوات العسكرية للمشاركة في الحملة المرتقبة.[5]

[1] عزيز سامح ألتر، المرجع السابق، ص228-231.

[2] محمد العروسي المطوي، السلطنة الحفصية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986م، ص720.

[3] أحمد توفيق المدني، حرب...، المرجع السابق، ص399.

[4] صالح عباد، المرجع السابق، ص96.

[5] صالح حيمر، المرجع السابق، ص136.

ولم يمض طويلا عن احتلال تونس حتى وصلت طلائع الأسطول العثماني بقيادة **العلج علي بايلرباي،** كما وصل الأسطول الجزائري بقيادة **أحمد عرب،** بالإضافة إلى أسطول طرابلس الذي يقوده **مصطفى باشا** وكذلك جيش القيروان بقيادة **حيدر باشا،**[1] وعن وصول **العلج علي** إلى تونس يقول **ابن أبي الدينار:**" فلما وصل الباشا قلج علي إلى تونس وشهد تحصن الباستيون وكثرة النصارى والأعراب المرتدين ...بعث إلى الوزير يطلب منه عدة مدافع أخرى وزيادة العسكر، فبعث له ألف ينشري (جندي) ...فلما وصلوا إليه اجتمع أمرهم أن يدوروا بالبرج من كل جهاته وكانت الكفرة ومن معهم من المرتدين كثيرين..."[2]

واستمر حصار العلج علي لحلق الوادي إلى أن أسقط الباستيون وتمكن من أهله إذ يقول **ابن أبي ضياف:**" وحاصر قلج علي باشا حلق الوادي ووالى عليه القتال إلى أن أخذه عنوة وحكم السيف في أهله...ولم يزل ملحا على حصار الباستيون إلى أن ملكه عنوة يوم الخميس ...لخمس باقيين من جمادى الأول سنة إحدى وثمانيين وتسعمائة واستأصل أهلها بالقتل والأسر ومات من الفريقين ما ينيف على العشرين ألفا".

وبسقوط الباستيون تفرغ العلج علي إلى مدينة تونس فحاصرها إلى أن تمكن من فتحها في 13 سبتمبر 1574م،[3] وهكذا سقطت الدولة الحفصية نهائيا وأصبحت تونس تعيش مرحلة جديدة من تاريخها تحت لواء الخلافة العثمانية وبمساهمة الجزائر التي كان لها الدور البارز في هذا الفتح والذي أظهر جانبا مهما من تاريخ العلاقات بين الجزائر والدولة العثمانية.

---

[1] أحمد توفيق المدني، حرب...، المرجع السابق، ص400.

[2] ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، تح وتعليق: محمد شمام، مطبعة دولة تونس، ط1، تونس، 1869م، ص187.

[3] أحمد ابن أبي ضياف، المصدر السابق، ص19-20.

5- دور الأسطول الجزائري في حرب البنادقة:

وما بين 1630-1639م دخلت الدولة العثمانية في حرب مع البنادقة في الساحل الدلماشي بألبانيا فاستعانت بالأسطول البحري الجزائري، الذي قاده البحار الجزائري **علي بتشيني**، وبسبب حدوث زوابع بحرية شديدة التجأ الأسطول الإسلامي إلى شواطئ خليج فالونا، فاغتنم البنادقة نزول البحارة إلى البر وانقضوا على المراكب وقتلوا 1500 شخصا وحرروا 4634 أسيرا مسيحيا كانوا على ظهر المراكب وخربوا تسعة مراكب واستولوا على أثنى عشر منها وتمكن علي بتشيني بصعوبة من إنقاذ المراكب الباقية.[1]

وقد أشار **مبارك الميلي** إلى أن كثرة الوحدات الجزائرية وتداخلها جعلها لا تستطيع أن تستعمل مدفعيتها ضد العدو، وهكذا تكبدت البحرية الجزائرية خسائر جسيمة إذ فقدت ما يقارب نصف أسطولها كما خسرت أسماء لامعة من القادة البحريين، وكانت هذه الموقعة منعرجا حاسما في تدهور قوة البحرية الجزائرية التي كانت الدعامة الأساسية التي ترتكز عليها الجزائر، وقد وعد الباب العالي الجزائر بتعويض خسائرها وتجهيزها بخمس وعشرين باخرة حربية كبيرة،[2] لكنه لم يوف بما وعد به الأمر الذي جعل رياس البحر يقررون عدم الذهاب لمشاركة السلطان في حروبه إلا بعد الحصول على ضمانات، واعتبارا من هذه الواقعة أصبحت طائفة الرياس تطلب بتعويض الخسائر وفي بعض الأحيان المساعدات المسبقة.[3]

---

[1] يحي بوعزيز، علاقات ...، المرجع السابق، ص73. و

De Grammont, Histoire…, Op.cit, P187.

[2] مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق، ص166.

[3] عائشة غطاس، المرجع السابق، ص51.

وفي عهد **بابا علي شاوش** (1710-1718م) شارك الأسطول الجزائري إلى جانب الأسطول العثماني في حربه ضد البنادقة والنمسا خلال سنوات (1714-1718م).[1]

6- مشاركة الأسطول الجزائري في ثورة اليونان:

رغم استقلال إيالة الجزائر في العديد من الجوانب عن الدولة العثمانية خلال القرن الثامن عشر إلا أن البحرية الجزائرية بقيت تبدي طاعة كبيرة للباب العالي، حيث كانت ترسل أسطولها حتى بحر ايجة والبحر الأسود كما أن دول أوروبا كانت تعتبر أساطيل إيالات المغرب جزءا كبيرا لا يتجزأ عن أسطول وقوة الدولة العثمانية وهذا ما كان يرد في تقاريرها،[2] وعلى سبيل المثال المساعدة التي كانت تقدمها البحرية الجزائرية يظهر في وثيقة رقم (CB.12253) من الصدر الأعظم لأمير الأمراء الجزائر الغرب في أواسط ربيع الثاني سنة 1127هـ/ أواخر أفريل سنة1715م يأمر بإرسال خمسة عشر سفينة مملوءة ومشحونة بالبحارة كاملة التجهيز للالتحاق بالأسطول الهمايوني من أجل استرجاع جزيرة مورة التي استولت عليها البندقية.[3]

وشارك الأسطول البحري الجزائري إلى جانب الدولة العثمانية خلال ثورة اليونان التي كانت نتيجة استياء اليونانيين من الوجود العثمانيين، حيث كونوا جمعيات سياسية بطريقة سرية أطلقوا عليها اسم هيتيري،[4] التي كان لها نشاط سياسي كبير استهدف التخلص من النفوذ العثماني، وابتداء من عام 1812م بدأت هذه الجمعية تعمل في العلن واتخذت من مدينة أوديسا بروسيا مركزا لها واستطاعت هذه الجمعية أن توحد وتجمع صفوف اليونانيين في إقليم مورا.[5]

---

[1] Moulay Belhamissi, Histoire de marine ..., Op.cit, P401.

[2] محمد بن جبور، المرجع السابق، ص69.

[3] عبد الرحمان المؤدن وعبد الرحيم بنحادة ، العثمانيون المغارب من خلال الأرشيفات المحلية والمتوسطية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط1، الرباط، 2003م، ص46.

[4] هتيري: هي جمعية يونانية معناها الجماعة الأخوية وتأسست في فينا عاصمة النمسا كان عملها سري إلى غاية 1821م. (ينظر: محمد فريديك بك المحامي، المصدر السابق، ص206.)

[5] محمد فريديك بك المحامي، المصدر السابق، ص208.

ففي عهد السلطان **مصطفى الثالث** (1757-1773م) أرسلت الجزائر أسطولا بقيادة الرايس **علي يونس** الذي مكث في خدمة السلطان زهاء خمسة سنوات، كما دعمت القوات البحرية العثمانية بأسطول ثاني بقيادة **علي الحاج محمد،** وثالث بقيادة **الحاج سليمان،**[1] ونستشف حجم هذه المساعدات من خلال رواية **الشريف الزهار**: "أنه في سنة 1228هـ/1813م، سافرت المراكب الجهادية (الجزائر) بقصد الغزو على الكريك (اليونانيون) ومعهم القبطان حميدو، فأخذوا منهم (الثوار اليونانيين الذين كانوا ثائرين على الدولة العثمانية من أجل الاستقلال عنها) أكثر من عشرين مركبا مسوقة بالقمح و السلع، منها ثلاثة كرايط (كورفيت) من غير مدافع...".[2]

أمام اتساع الثورة الانفصالية في معظم مناطق شبه جزيرة المورة وخوفا من تهديدها للوجود العثماني في جنوب شرقي أوروبة بمنطقة البلقان، طلب الباب العالي المساعدة العسكرية من خلفائه الأساسيين المسلمين من **محمد علي باشا** والي مصر وداي الجزائر **حسين باشا،**[3] فاستدع الباب العالي البحرية الجزائرية للمشاركة في حرب اليونان التي اندلعت عام 1820م فكان **الحاج خليل مفتي** الجزائر في أزمير قد وجه رسالة إلى **حسين باشا** في 3 شوال 1236هـ يطلب منه المشاركة في حرب اليونان،[4] حيث أمر الداي حسين باشا بتجهيز ستة سفن حربية وعين على رأسها **الحاج علي أرناؤوط** قائدا بتاريخ 1236هـ الموافق لـ 1820م،[5] وقد خسر الأسطول الجزائري طيلة السنتين التي مكوثها بالمياه اليونانية سفينتين أحرقت على حين غفلة وهلك من بها من البحارة والجنود.[6]

[1] حنيفي هلايلي، بنية...، المرجع السابق، ص91.

[2] أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص109.

[3] علي محمد صلابي، المرجع السابق، ص365.

[4] و.م.و، مج 3204، الوثيقة 8.

[5] أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 184. وخط همايون، عدد 3154، تاريخ 1237هـ.

[6] سعيدوني ناصر الدين، ورقات...، المرجع السابق، ص359.

وكلف الباب العالي **خورشيد باشا** عام 1822م بإخضاع بلاد اليونان لكن الثوار هزموه في معركة الرتموبيل (مضيق بحري باليونان)، وفي 1824م كلف **إبراهيم باشا بن محمد علي** بمهمة محاربة اليونانيين، حيث تمكن من إلحاق الهزائم بهم في جزيرة كريت وسواحل المورة،[1] وفي هذه الظروف تلقى اليونانيون الدعم من طرف الدول الأوربية ورغم ذلك فقد تمكن **إبراهيم باشا** من قمعهم في 25 مارس1825م ببحر ايجة.[2]

وفي 22 أفريل 1826م فتح العثمانيون مدينة أثينا فتدخلت دول أوروبا بدعوى حماية اليونانيين، فاتحة بذلك أبواب المسألة الشرقية على مصراعيها واعتبر الباب العالي مسألة اليونان قضية خاصة وداخلية، ولذلك قامت كل من روسيا وفرنسا وإنجلترا بإرسال أساطيلها إلى سواحل اليونان في 20 أكتوبر 1827م، وانتهت الحرب بانهزام العثمانيين في موقعة نافرين التي شارك فيها الأسطول الجزائري[3] إلى جانب الأسطول المصري والعثماني، وقد أدى الأسطول البحري الجزائري دورا كبيرا في نزاع الدولة العثمانية واليونان، رغم عدم جاهزية السفن الجزائرية حيث عبر قائد الأسطول الجزائري **مصطفى رايس** عن ذلك في رسالة بعثها إلى الباب العالي فرغم ذلك لم تبخل البحرية الجزائرية بمساعدة الدولة العثمانية.[4]

كان الأسطول العثماني راسيا بخليج نافرين عندما انضمت إليه قطع الأسطول الجزائري البالغ عددها ستة عشر مركبا بقيادة **الحاج علي ريس والحاج خليل ريس** استجابة لطلب السلطان،[5] ولما ولما رفض **إبراهيم باشا** شروط إخلاء الخليج دخل الأسطول الأوروبي المشترك مغتنما رياحا جنوبية

[1] و.م.و، مج 3205 ، الوثيقة 36. (أنظر الملحق رقم:14.)

[2] محمد بن جبور، المرجع السابق، ص70.

[3] حيث أرسل محمد صادق أمين الترسانة باستانبول رسالة للباشا حسين.

[4] المرجع السابق، ص71.

[5] عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص341.

غربية في معركة قاصمة للأسطول العثماني الذي تحطمت معظم سفنه، ونجا منها البعض القليل منها قطع من الأسطول المصري وسفينتين جزائريتين التجأتا إلى ميناء الإسكندرية، وقد تكبد الأسطول العثماني في هذه المعركة خسائر فادحة في العدة والعتاد، حيث يقول **روبير مانتران:** "أنه قتل فيها حوالي ثمان مئة من البحارة والجنود"،[1] أما فيما يخص الأسطول والسفن التي تحطمت فيقول وكيل الجزائر في تونس أن حوالي "ثلاثين سفينة من السفن الإسلامية لم تمس بالضرر من مجموع "مئة وسبعة" نوعا من السفن منها الحربية والتجارية وبعض المراكب الأخرى"،[2] فخسرت الجزائر في هذه المعركة 80% من أسطولها الحربي الذي كان مفخرة للايالة وعامل إرهاب الأعداء، ولكن شاءت الأقدار أن يقحم الداي الأسطول الجزائري في معركة خاسرة، في الوقت الذي كانت دولة فرنسا قد أعلنت الحرب على الجزائر،[3] فكانت هذه آخر معركة يشارك فيها الأسطول الجزائري مع الأسطول العثماني في العدة والعتاد.

كما نلمس قيمة الدعم العسكري الجزائري للبحرية العثمانية من خلال:

- رسالة بعث بها مسؤول رفيع المستوى يصف البحارة الجزائريين: "في هذا البلد (الدولة العثمانية) مسلمون ومسيحيون، يمجدون عظمة إيالة الجزائر، بسبب شجاعة محاربيها وأبطالها ومدى سمعتهم في البر والبحر، والذين سجلوا انتصارات عديدة على كثير من الأمم، لكن المسلمين يدعون الله لتسهيل قدوم سفن هؤلاء صباحا ومساء".[4]

[1] روبير مانتران، تاريخ الدولة العثمانية، تر: بشير السباعي، دار الفكر، ط1، القاهرة، 1993م، ج2، ص93.

[2] جمال قنان، نصوص ...، المرجع السابق، ص282.

[3] سيدهم فاطمة الزهراء، علاقات دايات الجزائر بالدولة العثمانية مابين 1791-1830، رسالة دكتوراه، جامعة سيدي بلعباس، السنة الجامعية2011-2012م، ص165.

[4] رسالة بتاريخ 3 شوال 1236هـ/ 4 جويلية 1821م نشرها دونو تحت رقم 1 في:
Alrbert Devoulx, « Coopération de la régence d'Alger à la guerre de l'indépendance grecque », In R.A, N1, 1856-1857, P133-134.

فبحكم العلاقات التي تربط كل من الباب العالي والإيالة الجزائرية فقد كان كل منهما يقدم مساعداته للآخر بحسب الحاجة التي يقتضيها الأمر فكانت هذه العلاقات لها العديد من الأوجه في بعض الأحيان على شكل أوامر وطلبات من الطرفين وتارة مماطلة من طرف الجزائر وتارة أخرى ضغط وتهديد من طرف الباب العالي.

ومن خلال عرضنا للعلاقات العسكرية مع الدولة العثمانية نستشف:

منذ التحاق الجزائر بالدولة العثمانية وظهورها كإيالة عثمانية عرفت نظاما جديدا للجيش والقوات العسكرية فتشكلت خلال القرن السادس عشر من طائفة رياس البحر التي كانت تتكون من الجنود البحارة الذين قدموا مع **عروج وخير الدين** ودعموا بعد ذلك بعناصر جزائريين وأندلسيين وأعلاج، بالإضافة إلى فرق الجيش الإنكشاري الذي بعث بهم السلطان العثماني إلى خير الدين أثناء تعيينه بايلربايا للجزائر، ليستمروا بعد ذلك في الزيادة على مر الفترات اللاحقة، وتجلت العلاقات العسكرية بين الجزائر والدولة العثمانية في مساهمة الباب العالي في دعم المؤسسة العسكرية الجزائرية طيلة الوجود العثماني بالجزائر من خلال تنظيم عملية التجنيد ضمن صفوف الانكشارية بالأقاليم العثمانية بالإضافة إلى مساهمتها في تقديم التجهيزات العسكرية والبحرية للأسطول الجزائري، ويظهر هذا من خلال عرضنا للوثائق العثمانية، وهذا في إطار الإستراتيجية العسكرية للدولة العثمانية في البحر الأبيض المتوسط.

ومن جهة لعبت البحرية الجزائرية دورا بارزا في توثيق العلاقات العسكرية بين إيالة الجزائر والدولة العثمانية من خلال نشاط الأسطول الجزائري في المياه المتوسطية إلى جانب الأسطول العثماني سيما في معركة مالطا وليبانت ضد التحالف المسيحي وهذا ما يفسره قوة وهيبة الأسطول الجزائري، فاكتسبت البحرية الجزائرية مكانة خاصة جعلتها بمثابة القلعة الأمامية في مواجهة المد الصليبي الذي يهدد سواحل المغرب واستحقت تسمية "دار الجهاد" و "قلعة الإسلام".

كما ساعد الجهاد البحري الذي تزعمته الجزائر منذ القرن السادس عشر على:

توطيد صفوف المسلمين بالسواحل، فأصبحوا بمثابة كتلة حضارية واحدة تحت راية الدولة العثمانية، كما سمح هذا الجهاد البحري بمحاصرة و تصفية الجيوب الإسبانية، و بالتالي وضع حدا للتوسع المسيحي بشمال إفريقيا فجعل الإمبراطورية الإسبانية ومن ورائها الأمم المسيحية الأوروبية

تدرك خطورة ذلك على مستقبل الصراع الإسلامي المسيحي بمنطقة البحر الأبيض المتوسط خاصة خلال القرن السابع والثامن عشر ميلادي.

كما لعبت دورا على المستوى الإقليمي تمثل في تحرير وإلحاق أقطار المغرب الإسلامي بالدولة العثمانية، كطرابلس سنة 1551م وتونس سنة 1574م الأمر الذي جعل منها قوة إسلامية فتية في شمال إفريقيا، إلى أن هذه الأوضاع تغيرت مع نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر نتيجة الحروب التي خاضتها الجزائر مع الدول الأوربية والحملات التي واجهتها مثل حملة "اللورد إكسموت" وكذلك عقد مؤتمر فيينا 1815م القاضي بإلغاء دور الجزائر الدولي القائم على ممارسة الجهاد البحري، فقد انتهت الأوضاع في إيالة الجزائر إلى أزمات حادة ومتعددة في كافة الجوانب التي هزت المؤسسة العسكرية وجعلتها ضرب الحائط ونسفت نظامها الدفاعي وجعلته في مهب الريح لتكون طعما سهلا للاستعمار الفرنسي.

الفصل الرابع:

موقف الباب العالي من الاحتلال الفرنسي

نتج عن التقارب بين الدولة العثمانية وفرنسا تقارب بينها وبين الجزائر بحكم تبعية هذه الأخيرة للقسطنطينية هذا التقارب الذي نلمسه في جانبين مهمين: التمثيل الدبلوماسي الفرنسي بالجزائر والامتيازات التجارية لفرنسا بالجزائر، هذه الأخيرة التي كان لها الأثر البارز في توتر العلاقات السياسية بين الجزائر والدولة العثمانية منذ ظهورها إلى غاية نهاية الحكم العثماني بالجزائر،[1] كما شهدت الايالة في مرحلتها الأخيرة عدم الاستقرار بسبب انتشار الفوضى وكثرة الاغتيالات، فاهتزت مكانة الجزائر الدولية وعلاقاتها خاصة مع الدولة العثمانية حيث تراجعت بشكل كبير قبل أن تتصدع وتنقطع نهائيا بداية من التحرشات الفرنسية مستغلة حادثة المروحة لتفرض على الجزائر حصارا بحريا انتهى بتوجيه حملة عسكرية واحتلال العاصمة.[2]

فما هي طبيعة العلاقات العثمانية الفرنسية ومدى تأثيرها على إيالة الجزائر، وكيف كان موقف الباب العالي إزاء احتلالها وما هي المساعي التي سعى الباب العالي لاسترجاعها، وهو ما سنحاول توضيحه من خلال هذا الفصل:

[1] عزيز سامح ألتر، المرجع السابق، ص151.

[2] سفيان صغيري، المرجع السابق، ص145.

المبحث الأول: العلاقات العثمانية الفرنسية وانعكاساتها على الجزائر

1- وساطة الباب العالي في العلاقات الجزائرية الفرنسية:

استطاعت الجزائر بفضل امتلاكها أسطول بحري قوي من أن تفرض إرادتها على الدول الأوروبية وأن ترغمها على دفع الإتاوات، مقابل ضمان الأمن والسلام لسفنها في الحوض الغربي المتوسط،[1] فكانت الجزائر تدافع عن استقلالها الخارجي فيما يخص عقد المعاهدات مع الدول الأجنبية باستمرار حيث كانت ترفض الاعتراف بالمعاهدات التي كانت تبرمها الدولة العثمانية مع الدول الأوروبية، والتي كان يعتبرها الباب العالي سارية المفعول في جميع أنحاء الإمبراطورية، ومثال على تلك المعاهدات التي أبرمتها الدولة مع النمسا في (04 أوت 1791م)،[2] والتي كان فصلها الثالث ينص على "يتعهد الباب العالي ويؤكد المعاهدة المنعقدة يوم 08 أوت 1785م التي تعهدت الدولة العثمانية بمقتضاها حماية كل السفن التجارية النمساوية من اعتداء قراصنة بلاد المغرب وأن تعوض أصحابها كل ضرر لحق بهم"، وبما أن الجزائر لم تكن تلتزم بمثل هذه المعاهدات ولا تعترف بحرية التنقل البحري إلا لسفن الدول التي تتعاقد معها رأسا،[3] وكون النمسا لم تكن من الدول المتعاقدة مع الجزائر، قام الأسطول الجزائري بالاستيلاء على السفينة النمساوية الأمر الذي أدى بالنمسا إلى الاحتجاج لدى الباب العالي فبعث لسلطات العثمانية برسالة إلى الداي حسن باشا تأمره بإرجاعها.[4]

[1] صالح فركوس، المرجع السابق، ص84.

[2] جون ب وولف، المرجع السابق، ص56.

[3] جمال قنان، قضايا...، المرجع السابق، ص46.

[4] أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص89.

ومن جانب أخر شهدت العلاقات العثمانية الفرنسية تميزا وتنوعا فتعود الاتصالات الأولى بين الجانبين إلى عهد السلطان العثماني **سليمان القانوني**[1] حينما استنجد الملك الفرنسي **فرنسوا الأول** بالدولة العثمانية، اثر تهديدات شارل الخامس له وسعيه إلى الانفراد بقيادة الإمبراطورية الرومانية المقدسة، وقد رأى الملك الفرنسي أن الدولة العثمانية هي الدولة الوحيدة القادرة على الحد من توسعات **شارل الخامس** وإنقاذ مملكته،[2] وكان غزو **شرلكان** لتونس عام 1535م فرصة سانحة **لفرنسوا الأول** ليبدأ الاتصالات والمفاوضات مع الدولة العثمانية، التي انتهت بإبرام معاهدة الامتيازات "Les capitulations"[3] والتي هي في الأصل معاهدة للتعاون والصداقة بين الدولة العثمانية وفرنسا.[4]

وبموجب هذه المعاهدة منح السلطان سليمان القانوني لفرنسا ورعاياها، تسهيلات فتحت الباب للدول الأوروبية عامة، وفرنسا خاصة للحصول على المزيد من الامتيازات وبالتالي التدخل في شؤون الدولة العثمانية، فمنذ بداية التحالف العثماني الفرنسي كان السلاطين العثمانيون يجدون مخرجا وذريعة لرفض مطالب الفرنسيين وإلحاحاتهم المستمرة لتطبيق معاهدة الامتيازات في الجزائر عبر نصيحتهم بتسوية هذا الموضوع مع الجزائريين أنفسهم، لأن ذلك يدخل في صميم اختصاصاتهم وضمن صلاحياتهم، لكن الفرنسيين استمروا في مفاوضاتهم لتوسيع معاهدة الامتيازات وتمكنوا من الحصول على ترتيب مهم وخطير في نفس الوقت من السلطان العثماني، تمثل في تعميم وتنفيذ

---

[1] سليمان القانوني (1494-1566م): هو ابن السلطان سليم الأول تولي الحكم بعد وفاة أبيه سنة 1520م تميزت السياسة العثمانية في عهده بالاتجاه نحو الغرب حيث اشتهر بعلاقاته مع فرونسوا الأول. (ينظر: صالح حيمر، المرجع السابق، ص23.)

[2] كمال حسنة، العلاقات العثمانية الفرنسية في عهد سليم الثالث (1789-1807م)، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر،السنة الجامعية2005-2006م، ص15.

[3] يحي بوعزيز، علاقات ...، المرجع السابق، ص42.

[4] عبد العزيز عمر، محاضرات في تاريخ الشعوب الإسلامية في العصر الحديث، دار المعرفة الجامعية، الجزائر، 2007م، ص21.

الامتيازات على جميع مناطق الإمبراطورية بدون تمييز واعتبار كل من يعرقلها عاصيا ومتمردا ويعاقب على ذلك بدون تأجيل ولا هوادة حسب البند 31 من معاهدة الامتيازات.[1]

فبدأت الامتيازات العثمانية الفرنسية تظهر بالجزائر منذ أن أعطى لهم السلطان **سليم الأول** حق صيد المرجان في السواحل الشرقية الجزائرية وإقامة مراكز تجارية بها، فعمدت فرنسا إلى إبرام عدة اتفاقيات مع الجزائر والدولة العثمانية للحفاظ على مراكزها ونفوذها،[2] ومن بين هذه الاتفاقيات والمعاهدات نذكر معاهدة 1520م بين الدولة العثمانية وفرنسا، التي سمحت لفرنسا بصيد المرجان من منطقة تبركة على السواحل التونسية إلى بونة (عنابة الحالية)،[3] إلى أن إيالة الجزائر كانت في كثير من الأحيان لا تعترف بتلك المعاهدات فكانت تغير على القرى والمدن الفرنسية القريبة من الجزائر وتأسرا الرعايا الفرنسيين مما دعى إلى تدخل الباب العالي لوضع حد لتصرفات البحارة الجزائريين.[4]

أما في عام 1561م وافق السلطان العثماني بإقامة مراكز لصيد المرجان في السواحل الشرقية للجزائر مقابل 1500 ايكو ecus ذهبية تدفع للجزائر، كما سمح لهم بإنشاء ساحات وموانئ على سواحل القالة وعنابة والقل وعلى ضفاف واد سيبوس،[5] كما وافق السلطان العثماني سليم الثاني[6] وذلك في عهد **العلج علي** (1568-1571م) على إنشاء مركز لصيد المرجان لتاجران من مرسيليا مقابل ضريبة سنوية، واختيرت لذلك المنطقة الساحلية الممتدة بين القالة وعنابة، وقد اشترط الباب

[1] جمال قنان، قضايا...، المرجع السابق، ص44.

[2] عمار هلال، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1962م)، د.م.ج، الجزائر، 1995م، ص36.

[3] المرجع السابق، ص65.

[4] مهمة دفتري رقم 7 صحيفة 138. (أنظر الملحق رقم:15.)

[5] يحي بوعزيز، علاقات...، المرجع السابق، ص59.

[6] سليم الثاني (1525-1533م) هو السلطان الحادي عشر من سلاطين الدولة العثمانية، ابن السلطان سليمان الأول ولد باستانبول خلف والده في الحكم عام 1566م، تميز عهده بالاصطلاح الداخلي وتنظيم شؤون البلاد تمكن من إخماد ثورة الجنود الانكشارية.

العالي في ذلك عدم تحصين المركز أو تسليحه، لكن التجار الفرنسيين خالفوا هذا البند وأقاموا فيه تحصينات ووضعوا مدافع حوله وداخل الحصن، وقد رابطت بعض السفن الفرنسية على الشاطئ أمامه وبذلك أصبح مصدر قلق وإزعاج للجزائريين الذين اعتبروا ذلك رمزا لوجود قوة مسيحية على أرضهم الإسلامية مما أدى بهم إلى الهجوم على الحصن سنة 1568م والاستيلاء عليه.[1]

وبعد هدم الباستيون سنة 1568م وطرد الفرنسيين منه لم يسمح لأحد بممارسة الأعمال التجارية في تلك السواحل حتى سنة 1577م، أين تمكن شخص فرنسي يدعى **نيقولا** (Nikola) من الحصول على إذن من الباب العالي، خول للفرنسيين حق ممارسة الأعمال التجارية وصيد المرجان مكان المؤسسات القديمة التي هدمت سابقا،[2] وفي عام 1578م وجه الباب العالي فرمان همايوني إلى بايلرباي الجزائر يقضي بالسماح للفرنسيين بصيد المرجان في المناطق الواقعة ما بين الجزائر وتونس شريطة دفع عشر أرباحهم إلى الجزائر كما طلب منه التعامل معهم بشكل حسن.[3]

وعند تعيين **الخضر باشا** حاكما على الجزائر في عام 1589م أصدرت إليه الدولة العثمانية أوامر بأن يلاحق سفن تجار مرسيليا الذين يتعاونون مع أعداء الملك الفرنسي، فتضايق الرياس من هذه السياسة ومن تصرفات خضر باشا وعملوا على عزله بعد إقناع السلطان العثماني باستدعائه،[4] وفي عام 1599م عين على الجزائر **دالي حسن** الذي واجه شكاوي القنصل الفرنسي من مضايقات الرياس له وللمراكب الفرنسية، وكانت تعليمات الباب العالي تقضي بتأييد شكاوي القنصل الفرنسي، لكن رياس البحر لم يمتثلوا لذلك بل واصلوا هجماتهم على السفن الفرنسية وشواطئ بروفانس،

[1] يحي بوعزيز، الموجز...، المرجع السابق، ص100.

[2] عزيز سامح ألتر، المرجع السابق، ص153.

[3] De Grammont, Op.cit, P100.

[4] يحي بوعزيز، علاقات...، المرجع السابق، ص60.

وعندما ألح القنصل الفرنسي في الاحتجاج رماه الباشا في السجن حتى تدخل الباب العالي وعزل دالي حسين وعوضه **بسليمان باشا** (1009هـ/1600م).[1]

وقد شجع الخضر باشا طائفة الرياس على الغزو البحري وعمل على وضع الحد للامتيازات التي منحها الباب العالي لفرنسا بالجزائر، فهدم المركز التجاري بالقل (الباستيون) عام 1604م وأسر عددا من الفرنسيين فأرسل ملك فرنسا **هنري الرابع** إلى الباب العالي يشكو الخضر ويطلب الانتقام منه، فما كان من السلطان العثماني إلا أن وجه "**قوصة باشا**" الذي بمجرد وصوله إلى الجزائر أعدم الخضر وحجز ممتلكاته، لكنه لم يستطع إعادة بناء المركز التجاري، رغم التعليمات التي صدرت إليه من القسطنطينية، ذلك أن الديوان في الجزائر كان يعارض ذلك،[2] فأرسل الباب العالي مندوبه الخاص الآغا **مصطفى القابجي** إلى الجزائر لإقناع الديوان بإعادة بناء المركز لكن هذا الأخير عارض بشدة أوامر السلطان وتعاليمه وثار على مندوب السلطان وعلى الباشا[3] ممثل الباب العالي.[4]

ويبدوا مما سبق أن الحكم الفعلي في هذه الفترة أصبح بيد الديوان دون الباشا ممثل السلطان العثماني الأمر الذي يعبر عن بداية ضعف نفوذ السلطان العثماني بالجزائر، على عكس الفترة الأولى أين كانت مقاليد السلطة بيد البايلرباي الذي يعينه السلطان نفسه ومن جهة يمكن أن نفسر عدم تطبيق الديوان لتعاليم وأوامر الباب العالي يرجع إلى استفحال أزمة الثقة بين الجزائر والدولة العثمانية نتيجة تغليب المصلحة الخاصة من كل جانب.[5]

---

[1] يحي بوعزيز، الموجز...، المرجع السابق، ص51.

[2] مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق، ص35.

[3] الباشا هو محمد قوصو.

[4] عائشة غطاس، العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن 17م، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، السنة الجامعية1984-1985م، ص51.

[5] صالح فركوس، المرجع السابق، ص94.

تجدد النزاع ثانية بين الجزائر وفرنسا وتوسع الخلاف بين الطرفين منذ سنة 1609م بسبب القرصان **سيمون**[1]، الذي أخذ المدفعين فقدمهما هدية إلى **الدوق دوكيز** حاكم بروفانس الفرنسية (الجنوب الفرنسي) فطالب ديوان الجزائر بالإعادة الفورية للمدفعين ومعاقبة القرصان طبقا للمعاهدات العثمانية الفرنسية، وحدث أن توفي الملك **هنري الرابع** بعد هروب القرصان فظلت المشكلة قائمة بل تطورت إلى أن وقعت القطيعة بين الجزائر وفرنسا التي دامت عشرين سنة،[2] ففتحت هذه القطيعة للبحارة الجزائريين لتطارد السفن الفرنسية.[3]

حيث استولت السفن الجزائرية خلال ثماني سنوات على أكثر من 936 سفينة فتكبدت السفن الفرنسية أضرار فادحة،[4] فخسرت أكثر من مليوني جنيه سنة 1610م وخلال هذه الفترة قام الرياس الجزائريون بمهاجمة جزيرة ماديرة بالمحيط الأطلسي وأسروا بها 2100 شخصا وغنموا أشياء أخرى منها أجراس الكنائس،[5] وكتب **شاى** Chaix يصف هذا الوضع إلى مجلس مدينة مرسيليا: "إن الديوان غاضب وهو يحضر ثمانين سفينة حربية مع ستة ألاف رجل لتخريب شاطئ البرقانس وأني أتعرض لخطر كبير حين أتحدث عن هذا الموضوع أمامه، سواء على نفسي أو على الفرنسيين المساكين الذين هم معي."[6]

---

[1] سيمون دونصا: S.Danser بحار من أصل فلمنكي حصل على الجنسية الفرنسية فاستقر في بداية القرن 17م في مرسيليا أين تزوج بها ثم انتقل ببارجة إلى الجزائر، واشتعل بالقرصنة في الجزائر سنة 1606م وحصل على ثروة كبيرة وأطلق عليه سكان المدينة "داي القبطان" وعندما رغب في الاستقرار بفرنسا، بعد مغادرة الجزائر طلب من ملك فرنسا السماح له بالإقامة في مرسيليا ووافق الملك على هذا الطلب بشرط أن يعمل سيمون على تحرير عدد من الآباء الجزويت كان قد أسرهم سنة 1608م فنجح في تحريرهم وهرب من الجزائر بمدفعين من البرونز.

[2] شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص366.

[3] De Grammont, « Relation entre la France d'Alger au XVIIe siècle », In R.A, N23 , 1879, P10-14.

[4] عمار عمورة، الموجز...، المرجع السابق، ص246-247.

[5] Henri Garrot, Op.cit, P448-449.

[6] المرجع السابق، ص246-247.

وقد توالت المشاكل ذات الصلة بالقرصنة والحروب البحرية بين الجزائر وفرنسا، فبعد أن حطم **خضر باشا** الحصن أخذ الفرنسيون يعتدون على السفن الجزائرية، ورد الرياس بالمثل وتعقدت العلاقات الدبلوماسية بين فرنسا والجزائر،[1] فاضطر الملك الفرنسي أن يراسل الباب العالي ويراجعه في الأمر، وطلب من سفيره في القسطنطينية "**فليب دور هارلي**" أن يرجوا من السلطان التدخل لدى الجزائر لحل المشكلة، فقبل السلطان طلبه وأرسل مبعوثه **سليمان شاوش** إلى الجزائر عام 1623م وقد لبى الديوان والباشا بالجزائر طلب السلطان وبعد هذا علقت على الجدران قرارات الديوان القاضية بالكف عن مهاجمة الفرنسيين.[2]

لم يطرأ في هذه الفترة على العلاقات أي توتر ولم يحدث أي نزاع رغم وقوع بعض الحوادث بين حين وأخر، ولكن هذه كانت سرعان ما تسوى ويتبادل البلدان الترضيات حولها (بتبادل الأسرى أو عقد المعاهدات)، ولقد أظهرت فرنسا حرصا شديدا على الوفاء بجميع ارتباطاتها بدون التواء ولا مراوغة حتى سنة 1729م.[3]

وعندما كان **نابليون بونابرت** في طريقه إلى مصر لغزوها عام 1798م فإنه استولى على جزيرة مالطة[4] فطرد منها منظمة فرسان القديس يوحنا وحرر العبيد المسلمين بها، وعاقب جمهورية البندقية فضمها لحكومة النمسا، واعتق رقاب المسلمين في مدينة ليفورن وجنوة، وقد أرسلت الحكومة مذكرة دبلوماسية لحكومة الجزائر تتحدث فيها عن هذه الانتصارات، فصر الديوان بهذا إلى أن الداي قد أكره على تنفيذ تعليمات السلطان العثماني فأعلن الحرب ضد الحكومة الفرنسية وسجن

---

[1] صالح فركوس، المرجع السابق، ص94.

[2] يحي بوعزيز، الموجز...، المرجع السابق، ص67.

[3] جمال قنان، معاهدات...، المرجع السابق، ص149.

[4] التي استولت عليها القوات الفرنسية في 13 جوان 1798م.

A Berbrugger, « La régence d'Alger sous le cosultat et l'empire », In R.A, N19, 1875, P124.

قنصلها،[1] وعددا كبيرا من الرعايا الفرنسيين ولكن أسرهم كان خفيفا إلا أن هذا التحسن في العلاقات لم يدم طويلا.[2]

فكانت العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن الثامن عشر، متذبذبة تتحسن وتتأزم حسب وضعية مصالح فرنسا الاقتصادية في الجزائر من جهة، ومن جهة ثانية حسب طبيعة العلاقات الجزائرية مع باقي دول أوربا خاصة بريطانيا المنافس الأول لفرنسا، فكلما تحسنت العلاقات بين الجزائر ودول أوربا ساءت بينها وبين فرنسا فبلغت درجة التأزم مع نهاية القرن الثامن عشر.[3]

ففي سنة 1807م انتزعت من فرنسا مراكز استخراج المرجان بالقالة وبونة وعنابة بعد ما تداولها الفرنسيين قرابة ثلاثة قرون (1520-1806م) خمس شركات فرنسية وحلت محلها شركات انكليزية وايطالية،[4] ولم تعد لفرنسا امتيازاتها التجارية في شرق الجزائري إلى في 17 مارس 1817م في عهد الداي **علي خوجة،**[5] وبسبب الديون[6] التي تراكمت على عاتق الحكومة الفرنسية تدخل **الداي**

[1] هو القنصل دومينيك مولتيدو De Marie Moltedo(1798-1800م) وقد وقع الاعتقال يوم 21 ديسمبر ولم يطلق سراحه إلى يوم 2 فيفري 1799.

[2] محمد خير فارس، المرجع السابق، ص136.

[3] رقية شارف، الكتابات التاريخية الجزائرية الحديثة خلال القرن 18 وبداية القرن 19م، دار الملكية، ط1، الجزائر، 2007م، ص33.

[4] أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان 1830-1855م، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م، ص54.

[5] محمد زروال، العلاقات الجزائرية الفرنسية 1791-1830م، رسالة دبلوم الدراسات المعمقة في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، السنة الجامعية1975-1976م، ص50.

[6] تعود قصة الديون الجزائرية على فرنسا إلى عهد قيام الثورة الفرنسية عام 1789م حينما أصيبت فرنسا بانهيار اقتصادي ومجاعة قاسية لم صحب الثورة من قسوة واضطهاد في الداخل ضد الطبقات الإقطاعية، والحصار الاقتصادي والعسكري الذي فرضتها عليها الدول الأوربية المعادية لثورة، فلم تجد إلى الجزائر المساعدة لها وذلك بشراء الحبوب ومواد أخرى وكذلك بقرضها مليون فرنك إضافة إلى ديون التاجرين اليهوديين بكري وبوجناح.

للمزيد حول موضوع الديون راجع: جميل عائشة، الدبلوماسية والدبلوماسيون في مدينة الجزائر العثمانية بين ثنائية المصادر المحلية والأوربية، رسالة ماجستير، جامعة سيدي بلعباس، السنة الجامعية 2010-2011، ص116-119.

حسين وراسل الحكومة الفرنسية بثلاث رسائل منذ عام 1824م دون أن يتلقى أي جواب، كما علم الداي بتسليح الباستيون رغم وعد الشرف الذي قطعه القنصل الفرنسي **دوفال** على نفسه بشأن عدم تحصين المراكز التجارية الفرنسية، فزاد هذا الخبر غضبه، وفي 29 أبريل 1827م وقعت حادثة المروحة التي غيرت الكثير من المعطيات.[1]

2- العلاقات الفرنسية الجزائرية:

اكتسبت العلاقات الجزائرية الفرنسية طابعها الدولي البارز كحدث عالمي وانطلاقها العملي المباشر بحلول **خير الدين بربروس** رئيس دولة الجزائريين على رأس جزء كبير من بحريته بمرسيليا يوم 5 جويلية 1543م حيث استقبل استقبالا فاخرا، وقد كان ذلك بطلب من ملك فرنسا "**فرانسوة الأول**" Francois1 المستنجد بالجزائر ضد الإمبراطور **شارلكان** وملك انكلترا **هنري الثامن** اللذين كان يهددان فرنسا، فحرصت فرنسا على توطيد علاقاتها برؤساء دولة الجزائر إذ داك والاستنجاد بهم من **خير الدين** إلى **الداي شعبان** وحتى فيما بعد بكثير (قبل الثورة الفرنسية وبعدها).[2]

فكان حرص فرنسا على إقامة علاقات دبلوماسية مع الجزائر ينبع من رغبتها العميقة في استغلال خيرات البلاد الاقتصادية واحتكار استثمار المرجان الذي كان ساحل القالة وعنابة مصدرا هاما له،[3] فأخذت التجارة الفرنسية طابعا قارا في السواحل الجزائرية انطلاقا من معاهدة 1543م، فبنت مركزا تجاريا في مدينة القالة لتصدير الحبوب وخاصة القمح ولصيد المرجان وتصديره إلى فرنسا أيضا وذلك سنة 1561م.[4]

---

[1] أرجموند كوران ، المرجع السابق، ص23.

[2] Fray Diego De Haedo, Histoire…, Op.cit, P49.

[3] عمار عمورة، الموجز…، المرجع السابق، ص246.

[4]Albert Devoulx, Les archives…, Op.cit, P2.

أسست فرنسا شركة لاستثمار المرجان المعروفة "شركة لانش" التي أسست على يد الأخوين لنش مرسيلية وهذا في عهد الباي لارباي حسن بن خير الدين عام 1560م.

وكانت مسألة اعتماد القنصل الفرنسي بالجزائر من القضايا الهامة في تاريخ العلاقات بين فرنسا والجزائر والدولة العثمانية من جهة، إذ في عام 1564م أمر الملك الفرنسي بتعيين قنصل فرنسي في الجزائر، بحجة أن أصحاب السفن الفرنسية قدموا شكاوى ضد القراصنة الذين استولوا على سفنهم وسلبوهم إياها،[1] وقد جاء القنصل الفرنسي إلى الجزائر سنة 1564م إلا أن الجزائريون منعوه من النزول إلى المدينة، مما اضطر ملك فرنسا للاتصال بالباب العالي، هذا الأخير الذي أصدر فرمانا يقضي بتعيين قنصل فرنسي بالجزائر، إلا أن **حسن فنزيانو** (1577-1580م) رفض استقباله ما لم يقدم إتاوات معينة، فتدخل الباب العالي مجددا حيث أصدر السلطان العثماني **مراد الثالث** (982هـ/1574م) أمرا بخصوص ذلك تمخض عنه نزول القنصل الفرنسي "**موريس مورون**" إلى مدينة الجزائر الذي استقبله **الداي جعفر** (1580- 1582م).[2]

ورغم التقارب الذي شهدته العلاقات الجزائرية الفرنسية فإن علاقات البلدين لم تتخذ صيغة رسمية إلا حوالي 1578م بإنشاء القنصلية الفرنسية بالجزائر، فثم قبول القنصل الفرنسي بالجزائر بعد 15 سنة بين الأخذ والرد حول هذه القضية، وكانت فرنسا حريصة وملحة على هذا التمثيل الدبلوماسي خدمة لتجارتها وتجارها وتدعيما لمكانتها في الجزائر والحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط.[3]

شهدت العلاقات التجارية بين الجزائر وفرنسا تطورا ساعد ذلك على صفاء الجو في العلائق السياسية التي اتصفت بأنها طيبة على العموم إذا ما قرنت بغيرها من الدول الأوربية الأخرى،[4] فكان لها شرف لوحدها من بين سائر الأمم الأوربية بإقامة علاقات دبلوماسية وذلك بإرسال أول قنصل

[1] عزيز سامح ألتر، المرجع السابق، ص151.

[2] يحي بوعزيز، الموجز...، المرجع السابق، ص101.

[3] عائشة غطاس، العلاقات...، المرجع السابق، ص13.

[4] محمد زروال، المرجع السابق، ص2.

أوربي للإيالة فتتابع المبعوثون الفرنسيون إلى الجزائر كقناصل أو كسفراء،[1] ويمكن القول بأن العلاقات الجزائرية الفرنسية عرفت منذ ثلاثينات القرن 16م إلى التسعينات منه فترات خصبة من التعاون فكانت البحرية الجزائرية تقدم دعما نافعا لفرنسا في تصديها للأعداء سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي، هذا إذا غفلنا فترات الجمود التي تخللت تلك الفترة فكان أساس هذا التقارب أو الوفاق النسبي وجود الخطر الاسباني الذي مثل عدوا مشتركا في تلك الحقبة.[2]

أ- الحملة الفرنسية على مصر وموقف الجزائر منها (1798-1801م)

بعد قيام الثورة الفرنسية سنة 1789م خشي الثوار من عزلة فرنسا عن القارة الأوربية والعالم الخارجي، فتحالفوا مع العثمانيين ومنحهم السلطان العثماني الاعتراف بالجمهورية الفرنسية وكان ذلك سنة 1794م وهو ما أعطى جرأة لفرنسا حتى تتطلع إلى استكمال هذه الثورة، وذلك بنظرتها إلى أهمية البحر المتوسط والبلاد الواقعة شواطئه عليه،[3] فمن أسباب الحملة الفرنسية على مصر ما يلي:

1- خروج فرنسا عن عزلتها وتوجهها نحو العالم.

2- ضرب بريطانيا من خلال مصالحها في مصر، وهذا في سياق التنافس الذي بينهما ومنع مرور تجارة الانجليز من مصر نحو الهند.

3- محاولة الفرنسيين عقد معاهدة مع حكام مصر تمنح التجارة الفرنسية بعض الضمانات.

---

[1] Albert Devoulx, les archives…, Op.cit, P3.

[2] عائشة غطاس، العلاقات ...، المرجع السابق، ص17-18.

[3] محمد زروال، المرجع السابق، ص51.

ومن هذا فقد أعلن العداء على الدولة العثمانية باعتبار مصر ولاية تابعة لها بزعامة "**نابليون بونابرت**"،[1] وبمجرد السماع بهذا الخبر أعلن الباب العالي الحرب على فرنسا وأمر كل الولايات التابعة له بأن تعلن الحرب هي أيضا.[2]

فأرسل السلطان العثماني برسالة إلى باشا الجزائر في أوت 1798م يعلمه بأن حملة نابليون على مصر قد تهدد السلام في البحر المتوسط وطالبه بإعلان الحرب على فرنسا وقد أوضح السلطان في رسالته نوايا والأبعاد الاستعمارية لفرنسا وأنها تسعى إلى إقامة إمبراطورية واسعة.[3]

وبحكم العلاقات الطيبة والسليمة التي كانت في تلك الفترة بين فرنسا وإيالة الجزائر، فإن داي الجزائر **مصطفى باشا** والذي طلب منه السلطان العثماني بقطع العلاقات مع فرنسا بإعلان الحرب عليها ولكن الداي رفض الامتثال لأوامر السلطان لتعارضها مع مصالح الجزائر،[4] ففي 24 ماي 1800م عقد هذا الأخير صلحا مع فرنسا طالبا فيه "**بونابرت**" إنهاء الحرب بين الجمهورية الفرنسية والايالة الجزائرية،[5] كما منح القنصل الفرنسي للداي مبلغ مالي بقيمة (مليون فرنك فرنسي) وأعطاه هدايا أخرى، وبضغط من الباب العالي والذي هدد بإرسال أسطول لإحراق الشمال الإفريقي، وكذلك منع وصول المجندين إلى الايالة الجزائرية واحتجاز سفنها في الموانئ العثمانية ما لم يقم بإلغاء تلك المعاهدات وإعلان الحرب على فرنسا، وبهذه الضغوطات والتهديدات فقد استجاب **الداي مصطفى** لهذه الأوامر وقام بطرد الوكيل الفرنسي في الجزائر "**ديبواتنفيل**" وجميع رعاياه.[6]

---

[1] نابليون بونابرت: ولد نابليون في أوت 1769م بمدينة أجاسيكو بجزيرة كورسيكا، دخل المدرسة الحربية وتدرج في الوظائف إلى غاية 1799م، عين رئيسا للحكومة وفي 18 ماي نودي به إمبراطورا لفرنسا الأولى توفي في 05 ماي 1821م. (ينظر: محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص272.)

[2] أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص76.

[3] رحمونة بليل، المرجع السابق، ص96.

[4] أرجمند كوران، المرجع السابق، ص31.

[5] Albert Devoulx, «document sur Alger a l'époque du consulat », In R.A, N32, 1862, P128-129.

[6] فريد بنور، المخططات الفرنسية تجاه الجزائر (1782-1830م)، مؤسسة كوشكار، الجزائر، 2008م، ص181.

وفي هذا قال **خليفة حماش** في مذكرته: " أن هذه الاستجابة كانت عبارة عن موقف سياسي أكثر منه إعلانا الحرب على فرنسا، حيث أن موقف الجزائر من احتلال مصر كان متذبذبا بين التأييد للباب العالي والحياد للجانب الفرنسي".[1]

ومن هنا يمكن القول أن موقف الجزائر من الاحتلال الفرنسي لمصر كان متأرجحا بين التأييد للباب العالي تبعا لقوة الضغوط الممارسة منه على الوالي **مصطفى باشا** والحياد بالنسبة لفرنسا تبعا لنشاط دبلوماسيتها نحو الايالة.[2]

ب- دور بحارة الجزائر في تقديم المساعدات العسكرية لفرنسا:

قاد خير الدين الأسطول العثماني في سنة 1543م لنجدة فرنسا بعد أن طلب الملك الفرنسي "**فرونسوا الأول**" من السلطان "**سليمان القانوني**" إرسال أسطوله لمساعدته في مواجهة **شرلكان**[3] وبعد قبول السلطان **سليمان** طلب **فرونسوا الأول**، بعث برسالة إليه جاء فيها: "يا فخر أمراء دين عيسى ستعلم بأنه بطلب من وزيرك بولين منحتك أسطولي الرهيب المجهز بكل ما يلزم، وأمرت خير الدين قابودان باشا إلى الاستماع إليك والاستعداد إلى تدمير أعدائك".[4]

وبعد إتمام الاستعدادات خرج **خير الدين** من الدردنيل في أواخر ماي 1543م على رأس أسطول يتكون من 112 شانية و40 سفينة، على متنها أربعة عشر وألف رجل ورافقه في رحلته السفير الفرنسي **بولين**،[5] وسلك الطريق المار عبر ليبانت ثم صقلية، حتى وصل إلى سواحل كلابريا التي كانت تابعة للإسبان فهاجمها ثم توجه نحو مدينة ريجيو بخليج مسينا حيث تعرض إلى قصف

[1] خليفة إبراهيم حماش، المرجع السابق، ص210-211.

[2] نفسه، ص212.

[3] Fray Diogo De Haedo, Op. cit, P64.

[4] أندري كلوت، المرجع السابق، ص224.

[5] محمد فريديك بك المحامي، المصدر السابق، ص237.

مدفعي من طرف حاكم المدينة "**الدون ديغو دي غايتانو**" الشيء الذي اضطر **خير الدين** إلى مهاجمة المدينة وإخلاءها من سكانها بعد سيطرته عليها.[1]

وبوصول **خير الدين** إلى مشارف روما خاف سكانها وهموا بالرحيل إلا أن السفير الفرنسي هدأ من روعهم، وأخبرهم بأن الأسطول العثماني موجه إلى نجدة فرنسا وأن السلطان العثماني قد أمر **خير الدين** بأن لا يتعرض إلى أراضي البابا،[2] وفي 05 جويلية 1543م وصل الأسطول العثماني إلى مدينة نيس ثم واصل سيره إلى أن بلغ مدينة مرسيليا حيث استقبل بحفاوة، وهناك انضم إليه الأسطول الفرنسي بقيادة **فرونسوا ديبوربون** الذي وضع نفسه تحت قيادة وتصرف **خير الدين**، الذي أصبح تبعا لذلك القائد العام للقوات المتحالفة (العثمانية– الفرنسية).[3]

وكان أول عمل قام به **خير الدين** على رأس القوى المتجمعة هو مهاجمة مدينة نيس حيث وصل الأسطول المشترك إلى ميناء "فرانش" الواقع شرق مدينة نيس، ففرض عليها حصارا استمر مدة خمس أيام لكن سكانها استماتوا في المقاومة مما أدى بخير الدين إلى قصفها بالمدفعية لمدة أسبوعين حينئذ اضطر السكان إلى تسليم المدينة في 22 أوت 1543م.[4]

وعلى الرغم من استسلام المدينة إلا أنه لم يتم احتلالها نظرا للخلافات بين العسكريين العثمانيين والفرنسيين حيث يذكر "**جون وولف**": "أن خير الدين انزعج من تصرفات الفرنسيين خاصة لما طلبوا منهم تزويدهم بالبارود بعد أن نفد منهم ..."،[5] وكان **خير الدين** غير مطمئن على

---

[1] صالح حيمر، المرجع السابق، ص140.

[2] أندري كلوت، المرجع السابق، ص226.

[3] المرجع السابق، ص141.

[4] محمد فريديك بك المحامي، المصدر السابق، ص237.

[5] جون ب وولف، المرجع السابق، ص63.

الإقامة في هذا الميناء لذلك اضطر **فرونسوا الأول** إلى وضع ميناء طولون تحت تصرفه وطلب من سكان المدينة التخلي عن مساكنهم لخير الدين ورجاله.[1]

وقبل **خير الدين** تمضية فصل الشتاء في ميناء طولون بشرط أن يتكفل **فرونسوا الأول** بتموين الجيش وفعل فرنسوا ذلك حيث زوده بثمانية ألاف ريال فرنسي لإنفاقها على جنده،[2] وظل خير الدين مرابطا بأسطوله بمدينة طولون إلى غاية 1544م وقد اقتنع بأن فرونسوا الأول قد فشل في الالتزام بوعده ونتيجة ذلك أظهر كرها عميقا للملك الفرنسي وشعبه، ومن جهة أخرى رأى فرونسوا الأول أن ثمن الإبقاء على الأسطول العثماني كان يشكل عبئا ثقيلا على خزينته فوجد من الأحسن عقد سلم مع **شرلكان**.[3]

وبعد أن أنهى خير الدين مهمته في فرنسا غادر ميناء طولون في 1544م محملا بالغنائم والأموال رفقة السفير الفرنسي **بولين**، وفي طريق عودته إلى إستانبول هاجم العديد من المدن على سواحل جنوة.[4]

وقد توالت المساعدات العسكرية الجزائرية لفرنسا واستمر حلفاء خير الدين يقودون الأسطول الجزائري لنجدة الملوك الفرنسيين نتيجة العلاقات الحسنة بين فرنسا والدولة العثمانية، إذ في عام 1552م أنجد بايلرباي الجزائر **الرايس صالح** الملك الفرنسي **هنري الثاني** ابن **فرانسوا الأول** ضد "**فليب الثاني**" ابن شرلكان.[5]

[1] صالح حيمر، المرجع السابق، ص142.

[2] محمد فريديك بك المحامي، المصدر السابق، ص237.

[3] جون ب وولف، المرجع السابق، ص63.

[4] صالح حيمر، المرجع السابق، ص143.

[5] مولود قاسم نايت بلقاسم، المرجع السابق، ص17.

وفي عام 1593م استنجد "**هنري الرابع**" بالقوات العثمانية ليرغم سكان مرسيليا بالاعتراف بسلطته فأمر السلطان العثماني "**مراد الثالث**" حاكم الجزائر "**خضر باشا**" بإنجاده فوجه هذا الأخير قوات البحرية الجزائرية إلى فرنسا التي أرغمت السكان على الاعتراف بسلطة ملكهم هنري الرابع وذلك عام 1596م.[1]

ومن خلال عرضنا للعلاقات العثمانية الفرنسية نلاحظ مدى تأثير الباب العالي في قبول المعاهدات التي كانت مع فرنسا التي ساهمت بشكل كبير في تدخل الأخير في الايالة الجزائرية

[1] يحي بوعزيز، الموجز...، المرجع السابق، ص204.

المبحث الثاني: نهاية الإيالة الجزائرية وموقف الباب العالي من احتلالها

نظرا لقوة الجزائر وسيطرتها على البحر الأبيض المتوسط وذلك بفضل قوتها العسكرية المتمثلة في أسطولها البحري القوي من جهة تمكنت من ربط علاقات دبلوماسية مع الدول الأوروبية،[1] ومن أهم هذه الدول التي استطاعت تكوين رابطة قوية فرنسا فكانت فرنسا الصديق الوفي والدائم للباب العالي، منذ توقيع معاهدة التحالف العثمانية الفرنسية بين السلطان **سليمان القانوني** و**الملك فرنسوا الأول** في 04-02-1535م،[2] التي فتحت باب الامتيازات لفرنسا في الجزائر، باعتبار هذه الأخيرة إيالة عثمانية فازداد اهتمام فرنسا أكثر بالجزائر بعد تمكنهم من الظفر بامتيازات تجارية واقتصادية متمثلة أساسا في منحة صيد المرجان[3] وممارسة بعض الأعمال التجارية في هذه السواحل فقط، لكن الفرنسيين تجاوزوا المطلوب منهم وقاموا ببناء تحصينات عسكرية حولها وتدعيمها بالمدافع والجنود الشيء الذي آثار السكان الذين اعتقدوا أن الفرنسيين كانوا يهدفون من وراء ذلك جعل المنطقة مستعمرة فرنسية.[4]

فأقامت فرنسا على أساس ذلك علاقات دبلوماسية واقتصادية مع إيالة الجزائر التي توجت بتوقيع عدة معاهدات رسمية بينهما، دون تدخل الباب العالي أو استشارته من طرف إيالة الجزائر، فأولى هذه المعاهدات كانت بتاريخ 1619م وآخرها معاهدة الاستسلام في 05 جويلية 1830،[5] وكان يشرف على هذه العلاقات ممثلين فرنسيين (قناصل) في الجزائر ذلك منذ 1580م إلى **بيير**

[1] ناصر الدين سعيدوني، ورقات...، المرجع السابق، ص321.

[2] أرجمند كوران، المرجع السابق، ص18.

[3] فتحصل التاجر الفرنسي توماس لنش من السلطان العثماني سليم الثاني 974-982هـ /1566-1573م على امتياز صيد المرجان في سواحل شرق إيالة الجزائر. (للمزيد أنظر: وليم سبنسر، المرجع السابق، ص202.)

[4] سفيان صغيري، المرجع السابق، 161-162.

[5] جمال قنان، نصوص...، المرجع السابق، ص77-78.

دوفال آخر قنصل فرنسي الذي كان له دور الكبير في تسميم العلاقات الجزائرية الفرنسية فاستطاع إحاكة مؤامرة (المروحة) ضد **الداي حسين**.[1]

ومن أهم الأحداث التي اتخذت منها فرنسا للإطاحة بايالة الجزائر مسألة الديوان التي كانت على فرنسا ولم تسددها التي بلغت ثلاثة عشرة مليون ونصف مليون فرنك فرنسي،[2] فكانت حكومة الباب العالي باستانبول تدعو حكومة الجزائر من خلال عدد من الرسائل السلطانية تسوية القضايا والشكاوي بين إيالة الجزائر وفرنسا، فكانت هذه الأخيرة تقدم شكاوي ضد حكومة الجزائر باستمرار للباب العالي عبر سفيرها الذي لم يكن يبخل في تشويه صورة الجزائر لدى سلاطين الدولة العثمانية ووزرائها.[3]

فأبرمت الجزائر وفرنسا الصلح في 17 ديسمبر 1801م إلى أنه لم يدم طويلا بالسبب مطالبة **الداي مصطفى** تسديد الديون التي على فرنسا فحدثت فجوة بين الطرفين وتلتها بعد ذلك اشتباكات بين سفن الطرفين في البحر الأبيض المتوسط، فحاول **بونابرت** أن يستعمل لغة التهديد وكان ذلك فرصة لإظهار الأطماع الرامية إلى احتلال الجزائر فقدم **تيدنا** **Thedena** كوميسير العلاقات التجارية الفرنسية في سافونا مشروعا إلى **تاليران** وزير خارجية فرنسا بعنوان: لمحة عامة عن نيابة الجزائر لخص فيها حالة الجزائر السياسية والعسكرية والاجتماعية بحكم معرفته لها يوم أن كان أسيرا فيها لعدة سنوات، واقترح فيها إرسال حملة ضدها من خمسين ألف جندي تصادر كنوزها وتحطم أسطولها.[4]

---

1 سيمون بفايفر، المرجع السابق، ص40.

2 جمال قنان، معاهدات...، المرجع السابق، ص307.

3 خليفة إبراهيم حماش، المرجع السابق، ص224.

4 يحي بوعزيز، الموجز...، المرجع السابق، ص106.

فحاولت إسقاطها من خلال تحقيق إجماع حقيقي لمواجهة الجزائر في مؤتمر فينا 1815م، ومؤتمر اكس لاشابيل 1818م إلا أنها فشلت، حيث اضطرت للتحرك بمفردها بعد فشل حملة اكسماوت الانجليزية [1] سنة 1816م، وقد كانت المشاريع الفرنسية لاحتلال الجزائر قائمة منذ عهد الملك لويس التاسع (1226/1270م)، وإلى عهد الثورة الفرنسية سنة 1789م،[2] وذلك بطلب وزير البحرية الفرنسي في 26 جويلية 1802م من "**جون فون سانت أندري**" القنصل الفرنسي في الجزائر العديد من الأسئلة التي تتعلق بالوضع العسكري والحالة السياسية بالجزائر، وقد جاء مشروع "**بوتان**" (Boutin) 1808م مفصلا وشاملا عن مدينة الجزائر وضواحيها وتضمن الإشارة لمكان الإنزال وتوقيت الحملة،[3] لكن الإمبراطور شغلته مشاكل أوروبا فانصرف تماما عن تحقيق مشروعه.[4]

1- الحصار البحري الفرنسي للجزائر:

وبينما الأمور السياسية تتعثر وتصطدم بهذه المشاكل التي يمثل قسطا كبيرا من المسؤولية في خلقها وتعقيدها ويتحمل الساسة الفرنسيون مسؤولية التضحية بمصالح الدولة الجزائرية من أجل إرضاء هذه الشرذمة والعصابة السياسية من اليهود، والحقيقة أن فرنسا كانت عازمة على الشر فأخطرت القنصل **دوفال**[5] بأن يعمل على حلق مشكلة أو أزمة مع الداي ليتخذ منها ذريعة للقيام بعمل

[1] مؤتمر إيكس لاشابيل تقرر فيه إقناع الايالات المغربية الثلاث بإلغاء القرصنة وإبطال استرقاق الأوروبيين، كما تقرر تكليف سفراء الدول المشاركة في المؤتمر (فرنسا- بريطانيا- روسيا وبروسيا والنمسا) في استانبول لتفاوض مع الباب العالي لإقناع الايالات المغربية بالتخلي عن سياستها وإلى سيضطر إلى استعمال القوة. (ينظر: خليفة إبراهيم حماش، المرجع السابق، ص 219-220.)

[2] أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط3، الجزائر، 1982م، ص19.

[3] حنيفي هلايلي، العلاقات الجزائرية الأوربية ونهاية الايالة 1815-1830م، دار الهدى، الجزائر، 2007م، ص73-74.

[4] عبد الجليل التميمي، بحوث...، المرجع السابق، ص235.

[5] دوفال: نشأ في القسطنطنية أين كان أبوه ترجمانا فاكتسب معارف واسعة عن الشرق وعادته وسمح له التحكم في اللغتين العربية والتركية بأن يلعب دورا خطيرا في العلاقات بين الجزائر وفرنسا، وقد عرف بأنه شخص فاسد ورجل دسائس ومؤامرات وكانت سمعته سيئة في الجزائر وفي مرسيليا بل كانت سيئة حتى مع الأوربيين في الجزائر.

عسكري ضده وضد بلاده، وجاء عيد الفطر مناسبة له ففي صباح[1] 27 أفريل 1827م ذهب القنصل إلى قصر الداي ليقدم تهانيه بالعيد كما جرت العادة واغتنم الفرصة، فاستفسر عن مصير المركب الفرنسي الذي أسره الرياس ولكن الداي عاتبه على الأعمال المشينة التي تقوم بها شركة باري في حصن الباستيون بالقالة والتي توحي بأن هناك عملا عسكريا يعد ضد الجزائر واتهمه بالتواطؤ مع **باكري** في مشاكل وفي حجز الرسائل التي تبعثها إليه الحكومة الفرنسية.[2]

فرد على الداي بكل وقاحة بأن ملك فرنسا لا يمكن أن يتراسل مع أمثاله فاغتاظ الداي ومن حقه أن يغتاظ فأشار عليه بمروحة كانت بيده فلمس طرفها في وجنته، وخرج القنصل غاضبا واحتج على إهانة فرنسا في شخصه ورغم أن الداي أكد لبعض الفرنسيين المقيمين بالجزائر بأنه لم يقصد إهانة فرنسا وأنه على استعداد للاعتذار عن الغضب الذي انتابه، إلا أن **دوفال** هول الموقف وأبلغه بصورة مشوهة إلى مجلس الدولة الفرنسية المتواطئة معه.[3]

لهذا طالبت فرنسا بالترضية وقد خولت "**للأميرال كولي**" وبعض الساسة الفرنسيين صلاحية تقديم مطالبها وعلى رأسهم أيضا القنصل "**دوفال**" وقبطان السفينة "**لوبوني طوماس**"، ومن بين هذه المطالب أن يبعث الداي "**حسين**" إلى السفينة الملكية وفد مكون من الشخصيات البارزة وعلى رأسه "وكيل الحرج"[4] ليقدم للقنصل الفرنسي الاعتذارات العلنية، وتأكيدا لهذا الاعتذار يرفع العلم الفرنسي لبعض الوقت على حصون مدينة الجزائر، وتطلق مئة طلق مدفعية لتحييه إلا أن الداي "**حسين باشا**" رفض هذه المطالب حيث قال في هذه الأخيرة: "أتعجب كيف أن الفرنسيين لم يطلبوا زوجتي

[1] حسب الشريف الزهار كان ذلك ليلة العيد لأن قنصل الانجليز كان يهنئ الداي يوم العيد بالسبب الخلاف الذي وقع بين قنصل فرنسا وانجلترا فكانت هذه عادة. (للمزيد راجع: أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص163-164.)

[2] صالح عباد، المرجع السابق، ص241.

[3] يحي بوعزيز، العلاقات...، المرجع السابق، ص130.

[4] وكيل الحرج: وهو المتصرف في جميع شؤون الدولة. (أنظر: نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص72.)

أيضا؟"، وبعد الحصار الذي كان بمثابة أول تجربة حربية جديدة تتعرض لها الايالة الجزائرية،[1] شرعت البواخر الفرنسية في استعمال العنف وفرض الحصار على المدينة في غياب المراكب والسفن الجزائرية[2] وأسرعت قوات بحرية فرنسية أخرى إلى ساحل القالة وعنابة لترحيل الجالية الفرنسية ونائب القنصل الفرنسي.

وبعد أن قررت فرنسا حصار الجزائر كان رد فعل الداي على ذلك أن أصدر أوامر بهدم المؤسسات والمصاريف الفرنسية في القالة وعنابة بعد أن أجلا منها الجالية الفرنسية وكان ذلك 26 جوان 1827م.[3]

وفي شهر أوت 1829م رست بميناء الجزائر سفينة فرنسية على ظهرها **دي لابروتوونير** مبعوثا من قبل الحكومة الفرنسية ليعرض على الداي شروطا معينة إلا أن مطالبه ما كانت لتحظى بموافقة الداي، وقد تمت محاصرة ميناء الجزائر بأربع أو ست سفن حربية كانت قد خرجت على الأسطول الفرنسي وهذا حسب رواية "**سيمون بفايفر**"،[4] ومن جهة أخرى بدأت الدبلوماسية الفرنسية تحركها لإقناع الدول الأوربية الكبرى خاصة بريطانيا والنمسا وروسيا، للموافقة على عملها لأنه يمثل من وجهة نظرها في صالح المسيحية بكاملها.[5]

وفي أواخر كانون الثاني 1830م اتخذ قرار بالتدخل العسكري وهذا التدخل حسبما كتب وزير الحرب منذ عام 1827م: "سيكون مفيدا في تحويل اتجاه الغليان السياسي في الداخل وسيتيح

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، ورقات ...، المرجع السابق، ص372-373.

[2] كان الأسطول خارج الجزائر يشارك مع الأساطيل العثمانية في مواجهة ثورة اليونان فاشترك في معركة نافرين الشهيرة 20 أكتوبر 1827م فتحطم العديد من السفن الأسطول.

[3] Esqure Gabriel, Le commencement d'un umpire 1830, Edition la rose, Paris, P65-68.

[4] سيمون بفايفر، المرجع السابق، ص39-57.

[5] يحي بوعزيز، الموجز...، المرجع السابق، ص124.

لفرنسا أن تطلب فيما بعد نوابا إلى فرنسا في أيديهم مفاتيح الجزائر."،[1] لأن أوضاعها الداخلية كانت تزداد سوءا فكانت تود الهاء الشعب ودفعه إلى إحراز أمجاد في الخارج.[2]

2- أهم الأحداث التي وقعت قبيل التدخل العسكري:

من الأحداث التي وقعت بين الطرفين مابين السنتين (1827-1830م) والتي منها محاولة الأسطول الجزائري لفك الحصار على المدينة والتي كان متشكلا من إحدى عشرة سفينة في 19 ديسمبر 1827م إلا أن الأسطول الفرنسي علم بهذه الخدعة فنشبت بينهما معركة دمرت فيها العديد من السفن وتعرض الأسطول الجزائري لأضرار جسيمة نظرا لشدة وضراوة هذه المعركة،[3] والتي وصفها "**سيمون بيفايفر**" في قوله: "وكان إطلاق نيران المدافع شديدا إلى درجة أن السفن كانت في الوقت الذي يصل إلينا فيه دوي المدافع محتجبة باستمرار خلف ستار رمادي اللون لم يكن يقطعه سوى بريق المدافع".[4]

وبعد هزيمة الأسطول الجزائري في معركة نافرين توجهت السفينتين المتبقيتين نحو الإسكندرية فأحكمت فرنسا حصارها على الجزائر، وفي هذا الشأن بعث قائد السفينة الجزائرية مفتاح الجهاد المرابطة بميناء الإسكندرية رسالة إلى **الداي حسين** باشا في 2 جمادى الأولى 1243هـ يخبره فيها بوصول خبر النزاع إلى مصر، وأن فرنسا بعثت سفنا لمراقبة ميناء الإسكندرية لمنع خروج السفينتين من الميناء، وفي الوقت نفسه طلب الباب العالي من باشا مصر مده بمعلومات حول الصراع الفرنسي

[1] شارل روبير اجيرون، تاريخ الجزائر المعاصر، تر: عيسى عصفور، د.م.ج، ط2، الجزائر، 1982م، ص14-15.

[2] أحمد الجزائري، كيف دخل الفرنسيون الجزائر، قدمه: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، 1962م، ص10

[3] حنيفي هلايلي، العلاقات...، المرجع السابق، ص82-83.

[4] سيمون بفايفر، المصدر السابق، ص41.

الجزائري بعدما شاع أن **محمد علي** يعتزم التدخل في المسألة الجزائرية وتأديب الداي عوضا عن الفرنسيين.[1]

ولما طال تواجد السفينتين الجزائريتين بميناء الإسكندرية وقلت مؤونتهم، فقد أرسل الداي لهم مبلغا من المال عن طريق وكيل الجزائر بالإسكندرية بتاريخ 12 صفر 1245هـ لتوزيعه على بحارة السفينتين،[2] وبعد الغزو الفرنسي للجزائر انقطعت أخبار السفينتين المحاصرتين بالإسكندرية.

كما وقع اشتباك آخر يوم 25 أفريل 1828م بالقرب من كاسكين (منطقة غرب مدينة الجزائر) تمكن فيه قبطان السفينة "**لابروطونيير**" من تدمير أربعة سفن جزائرية، وشهدت أيضا الجهات الأخرى من السواحل الجزائرية عدة غارات ومعارك بحرية مثل الغارة التي تعرض لها ميناء وهران يوم 22 ماي 1828م.[3]

وبعد كل هذه المعارك والاشتباكات أعلنت التعبئة في صفوف الجيش الفرنسي يوم 07 فيفري 1830م وبدأ في التجهيز للحملة، وفي 12 مارس بعثت فرنسا إلى الحكومات الأوربية تخبرها بشأن الحملة التي ستشنها ضد الجزائر ولم تجد من مبرر للحملة سوى حادثة المروحة أو قضية قصف "**لابروفاس**".[4]

---

[1] و.م.و، مج 3204، الوثيقة 30.

[2] و.م.و، مج 3204، الوثيقة 57.

[3] ناصر الدين سعيدوني، ورقات...، المرجع السابق، ص374.

[4] في 30 جويلية 1829م كان الوفد الفرنسي على ظهر السفينة للتفاوض مع الداي وحكومته وحل المشاكل العالقة بين البلدين، غير أن المفاوضات باءت بالفشل وعندما غادرت السفينة الميناء اخترقت دفاعات العاصمة، فاضطر المدفعيون إلى إطلاق النار عليها وقد كان هذا مجرد خطأ وقد عزل الداي المسؤولين عن هذه الحادثة. (أنظر: حنيفي هلايلي، العلاقات...، المرجع السابق، ص224.)

3- موقف الباب العالي من احتلال الجزائر وبداية التدخل العسكري الفرنسي:

قد أرجع **أرجمند كوران** علم الدولة العثمانية باحتلال الجزائر إلى أوائل شهر1827م وذلك عند قدوم مترجم سفير فرنسا (**ألكونت فبيومينو**) إلى استانبول، وقدم لرئيس الكتاب مذكرة كتبها السفير، وأوضح فيها ضرورة تدخل الحكومة العثمانية لتأديب والي الجزائر، وإلا فإنها ستستعمل القوة العسكرية لتحقيق ذلك بنفسها، وأشارت المذكرة إلى محاصرة الأسطول الفرنسي لمدينة الجزائر، حيث قال: "وحيث أن الداي قد زاد من تعدياته السابقة بتحقيره قنصل فرنسا في الجزائر، فإن جناب ملك فرنسا اضطر لطلب ترضية علنية مهددا بإعلان الحرب في حالة رفضه طلبه وحيث أن طلبه قد رفض وعليه فالحرب محققة"،[1] فرد رئيس الكتاب "**برتف أفندي**" على السفير الفرنسي معلنا عدم شرعية عمل حكومته، التي كان عليها أن تبلغ الباب العالي شكواها ضد الجزائر قبل شروعها في أي عمل عسكري،[2] وقد كانت الحكومة الفرنسية تعتمد في إعلانها الحرب على الجزائر على البند 11 من المعاهدة المبرمة بين الدولة العثمانية وفرنسا في 30 مارس 1740م والتي تنص على: "...وإذا تمادى القراصنة في عصيانهم واستمروا في عدوانهم، ووقع إعلامنا من طرف السعادة (ملك فرنسا) فإنه يجب عزل والي الجزائر أيا كان، ويقع بعدها دفع التعويضات عن الايالات المغار عليها، وإذا لم يمتثلوا لأوامر الشريف السلطاني مع تنبيههم لذلك فعلى ملك فرنسا، إذا ما وصلوا إلى موانئ البلاد الفرنسية أن يرفض قبولهم بموانئه و قلاعه..."[3].

ولقد قررت الحكومة العثمانية عدم التدخل المباشر في الأزمة القائمة بين فرنسا والجزائر وأهملت متابعة الموضوع بسبب انشغالها في إخماد ثورة جزيرة مورا ثم بحربها ضد روسيا، فقام وزير البحرية والخارجية الجزائرية بإرسال رسالة إلى الباب العالي يخبره فيها بحالة الحرب مع فرنسا طالبا من

[1] أرجمند كوران، المرجع السابق، ص23.

[2] خليفة إبراهيم حماش، المرجع السابق، ص224. (أنظر الملحق رقم 14).

[3] المرجع السابق، ص25.

وكيل الجزائر لدى البلاط العثماني **خليل أفندي** بتقديم كل التوضيحات حول الأزمة القائمة بين البلدين،[1] ولكي تبدو فرنسا في موقف المعتدل تجاه الدولة العثمانية والدول الأوربية قدمت سفارتها باستانبول في أوائل أغسطس عام 1827م مذكرة للباب العالي طلبت منه التدخل لتأديب والي الجزائر وإلا فإنها ستستعمل القوة العسكرية كما أشارت لمحاصرة الأسطول الفرنسي لمدينة الجزائر، ورد رئيس الكتاب **برتف أفندي** على السفير الفرنسي معلنا عدم شرعية الحصار وكان عليها إبلاغ الباب العالي قبل شروعها في أي عمل.[2]

وواصلت بعدها التحركات العثمانية لمساعدة الجزائر في أزمتها التي بدأت تأخذ منحى خطير مع عزم فرنسا بكل قوتها على احتلال الجزائر بشكل رسمي دون مراعاة التدخل العثماني ولا حتى الأوربي،[3] وبالتالي فإن التدخل الدولة العثمانية أو الرجل المريض[4] هذه المرة كان صعبا خاصة أنها كانت تعيش فترة صعبة وحرجة وتعاني من مشاكل كبيرة، حيث كانت منشغلة في حرب الموره وخسارتها في معركة نافرين 1827م، ودخولها في حرب مع روسيا وكذلك مع **محمد علي** والي مصر على الأراضي العربية في المشرق، ورغم ذلك فقد حاولت بالطرق الدبلوماسية أمام مخاوفها من الأخبار الفرنسية التي وردت إليها بشأن إمكانية الاستعانة بجيش محمد علي لتأديب الجزائر بدلا من استعماله لضم سوريا ولكن سرعان ما ظهرت عدم صحة تلك الأخبار بعدما كتبها محمد علي في إحدى تصريحاته إلى فرنسا والتي قال فيها: " ...أنتم مسيحيون أما نحن والجزائريون مسلمون ونحن ذو أمة وشريعة ودولة واحدة لا يتلاءم ديننا مع دينكم".[5]

---

[1] جمال قنان، قضايا...، المرجع السابق، ص76.

[2] خليفة إبراهيم حماش، المرجع السابق، ص224. و أرجمند كوران، المصدر السابق، ص40.

[3] توفيق أحمد المدني، " من الوثائق العثمانية نص الفرمان السلطاني"، مجلة التاريخ، العدد 1-2، 1982م، الجزائر، ص26.

[4] أرجمند كوران، المرجع السابق، ص39-40.

[5] سفيان صغيري، المرجع السابق، ص171.

وقد اكتف الباب العالي بذلك الرد ولم تأخذ المسألة الجزائرية بعين الاعتبار ولزمت الصمت[1] وزاد من اطمئنانها لما بعث لها داي الجزائر **حسين باشا** في 19 نوفمبر 1827م برسالة إلى الباب العالي شرح فيها أسباب الاعتداء الفرنسي على الجزائر وانتصار السفن الحربية الجزائرية في إحدى المعارك الحربية على سفن الحصار الفرنسية يوم 10/14/ 1827م، كما دعا الداي في رسالته للباب العالي السماح للمتطوعين في الأناضول للقدوم إلى الجزائر،[2] ومما كتب فيها مايلي: "وفي لحظة شعوري بالغضب من كلام القنصل الفرنسي، قمت بضربه بمروحة كانت بيدي...بعد أيام قامت سفن بحرية فرنسية بمحاصرة ميناء مدينة الجزائر وطالبت من الحكومة الجزائرية تقديم اعتذارات لفرنسا، رفضت الطلب الفرنسي لأنه يعتبر إهانة للمسلمين والإسلام، حيث رفضتها بشجاعة وقوة وإيمان، وإذا أردتم أكثر توضيح لهذه القضية ابعثوا برسول يبحث في الأمر، أما من جانبنا، فقد قمنا بتحصين دفاعاتنا الحربية جيدا، ونحن مستعدون للمواجهة التي بدأت بمعركة بحرية انتصر فيها المسلمون. "[3]

وقد وصل اطمئنان الباب العالي على الايالة إلى أبعد الحدود عندما أرسل في السنة التالية يستدعي أسطولها إلى البحر الأسود لمساعدة الأسطول العثماني في الحرب ضد روسيا،[4] فبعد هزيمة الأسطول العثماني المشترك في معركة نافرين لم تستطع الدولة العلية الاستجابة لطلب الداي بتجنيد عساكر من منطقة أزمير للالتحاق بالأوجاق.[5]

وبعد أن وقعت الدولة العثمانية مع روسيا معاهدة صلح أدرنة سبتمبر 1829م، وتنفست الصعداء بعد الحروب التي شهدتها في تلك الفترة، شرعت الدولة العثمانية في مساعي لحل قضية

---

[1] أرجمند كوران، المرجع السابق، ص24.

[2] و.م.و، مج 3190، ملف 1، رقم الوثائق 257-258-259.

[3] E.Kuran, « la lettre du dernier dey au Grand visire de l'empire ottomane », In R.A, N 96, Alger, 1952, P188-195.

[4] خليفة إبراهيم حماش، المرجع السابق، ص225.

[5] عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص194..

الإيالة الجزائرية، وذلك بعد مشاورات التي أجرها السلطان **محمود الثاني** بأن يرسل مبعوثا إلى **الداي حسين** وينصحه بالتخلي عن عناده وبأنه قد أخطأ في هذا الشأن، وجاء هذا نتيجة الضغط الذي مارسته فرنسا على دولة العثمانية فأرسلت لذلك **خليل أفندي** في شهر نوفمبر من عام 1829م،[1] وقد حاول إقناع **حسين باشا** بضرورة إتباع أسلوب أكثر ليونة في التعامل مع الحكومة الفرنسية لحل النزاع بينهما ونبهه في نفس الوقت إلى الخطر الذي يهدد الايالة في حالة هجوم فرنسي عليها، فرفض الداي تقديم أي تنازل لصالح فرنسا وفي النهاية أبدى موافقته على قيام المبعوث العثماني بكتابة رسالة إلى قائد الحصار الفرنسي "**دوبروتونيير**" يدعوه لتفاوض بوساطته مع قنصل الانجليزي،[2] بمدينة الجزائر "**السيد سان جون**".[3]

فكتب رسالته في 10 ديسمبر 1829م إلى قائد الحصار الفرنسي وذكر له الشروط التي عرضها عليه **حسين باشا** واعتبرها قواعد أساسية للتفاوض، وتمثلت في عدم حصول فرنسا مرة أخرى على الامتيازات التجارية في مدينة عنابة لتفادي أي نزاع حولها في المستقبل، وإمكان استفادتها من صيد المرجان إذا عرضت أكثر مما عرضته بقية الدول والتزام قنصلها بالقواعد الدولية في التعامل مع الايالة مع الإبقاء على المعاهدات الموقعة بين الطرفين، إلى أن قائد الحصار رفض ذلك ما لم ينفذ حسين باشا الشروط التي قدمت إليه.[4]

---

[1] مصطفى كامل، المسألة الشرقية، مطبعة الآداب، ط1، مصر، 1898م، ص85.

و جمال قنان ، قضايا...، المرجع السابق، ص76-77.

[2] خليفة إبراهيم حماش، المرجع السابق، ص226.

[3] يحي بوعزيز، علاقات...، المرجع السابق، ص131.

[4] المرجع السابق، ص227.

إلى أن مهمة المبعوث كللت بالفشل وكان السفير الفرنسي في استانبول السيد **قبيومينو** يحرض السلطان للقيام بعمل عسكري يؤدب داي الجزائر، وقد اقترح لهذه المهمة **محمد علي**[1] والي مصر باعتباره قريبا جغرافيا من الجزائر ويمتلك جيشا قويا، وإذا رفض السلطان هذا الاقتراح فإن حكومة فرنسا ستبدأ في التحضير لحملة عسكرية على الجزائر،[2] حيث رد رئيس كتاب الباب العالي **برتيف أفندي** على مذكرة السفير الفرنسي: "...أنه لا يجوز إرسال عساكر إلى أرض من أراضي الدولة العثمانية."[3]

وفي هذه الظروف بدأ الباب العالي يأخذ قضية النزاع الجزائري الفرنسي بأكثر جدية عندما لاحظ أن هناك مؤامرة تدبر ضد الدولة العثمانية في محاولة تقوية مشروع والي مصر **محمد علي باشا** حليف فرنسا وما يشكله ذلك من خطر على الدولة العثمانية، كما تلقى الباب العالي مذكرة من مترجم السفارة الانجليزية باستانبول كشفت عن وجود معاهدة بين فرنسا **ومحمد علي باشا**[4] بشأن إرسال قوات مصرية للجزائر وأوصت هذه المذكرة بأن يسافر **طاهر باشا**[5] للجزائر ويذهب للإسكندرية لمنع محمد علي من إرسال قوة عسكرية ثم يذهب للجزائر ويقنع الداي بالتنازل عن

---

1 محمد علي باشا: والي مصر العسكري قدم مصر من منطقة كافالا وفي سنة 1805م أصبح وليها بعد عدة مؤمرات وثورات قام بإخماد ثورة الوهابيين في الحجاز وخدم الدولة العثمانية بنجاح وقد كسب لسلالته ولاية مصر وراثية في أسرته.(أنظر: خليفة إبراهيم حماش، المرجع السابق، ص228.)

2 أرجمند كوران، المرجع السابق، ص28.

3 عبد القادر فلوح، العلاقات الجزائرية العثمانية في الفترة (1233-1246هـ/ 1818-1830م) على ضوء وثائق المكتبة الوطنية الجزائرية، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر2، السنة الجامعية 2009-2010م، ص92.

4 غير أن محمد علي في رده على الباب العالي أنه لم يوقع تلك المعاهدة لأن فرنسا مسيحية وهو والجزائريين مسلمين.

5 كان بحارا ماهرا قاد الأسطول العثماني في معركة نفارين وشارك في الحرب الروسية عام 1828-1829م وخلال المدة مابين 1832-1836م عين وزيرا للبحرية، ثم واليا على طرابلس الغرب 1836م، وفي عام 1841م تعين وزيرا للبحرية من جديد ومات سنة 1847م. (أنظر: محمد زروال، المرجع السابق، ص105.)

شروطه،[1] وإن ما يستخلص من الفرمان السلطاني الموجه لطاهر باشا مبعوث الدولة العثمانية إلى الجزائر أن السلطان ما زال يؤكد أن الجزائر من أتباع الدولة العثمانية، وداي الجزائر أحد ولاتها وهو لا يعارض الأوامر السلطانية وتوصياته والسلطان العثماني يأمل أن تحل المشكلة بطريقة سليمة، وإن انشغال السلطان العثماني بما يجري في الجزائر دلالة قوية على العلاقات الجزائرية العثمانية القوية رغم الخلافات بينهما، فيما يتعلق بالسفن التي تقوم الجزائر بالاستيلاء عليها في عرض البحر الأبيض المتوسط.[2]

فأرسلت **الطاهر باشا** بتاريخ 10 ماي 1830م ومنع من قبل باي تونس[3] بتحريض من قنصل فرنسا، من الرسو في ميناء تونس خوفا من توجه نحو الجزائر برا والإطاحة بالداي وإقامة نظام بديل عنه يقبل تقديم الترضية لحكومة الفرنسية، وهذا أمر لا يخدم مصالح الملك الفرنسي **شارل العاشر**، فواصل طريقه بحرا ولما وصل طاهر باشا قرب الساحل الجزائري (21ماي 1830)[4] منع من الدخول إلى الجزائر من قبل قائد الأسطول الفرنسي فتوجه نحو طولون التي مكث بها مدة من الزمن ثم عاد إلى الأستانة بعدما احتلت الجيوش الفرنسية الجزائر.[5]

وبذلك دخلت مهمة طاهر باشا مبعوث السلطان إلى الجزائر في دائرة المؤامرات الفرنسية عندما تماطلت الحكومة الفرنسية في الرد على رسائل المبعوث العثماني، لمقابلة الملك الفرنسي شارل العاشر، بل قامت الحكومة الفرنسية باحتجازه في مدينة طولون بحجة أنه لا يحمل تصريح رسمي من السلطان العثماني لحل الخلاف الجزائري الفرنسي وهذا ما تؤكده رسالة الوزير **الأول بولينيك** يوم

---

[1] المرجع السابق، ص105.

[2] عبد القادر فلوح، المرجع السابق، ص93.

[3] يقول أرجمند كوران في كتابه: " أنه قبل الوصول إلى الجزائر ذهب إلى مصر حتى يحذر محمد علي باشا من التدخل في الشأن الجزائري إلى الجانب الفرنسي وأن القضية ستحل سياسيا". (أنظر: أرجمند كوران، المرجع السابق، ص43.)

[4] De Grammont, Op.cit, P399.

[5] عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص396-397.

1830/07/01م الذي طلب من طاهر باشا إذا كان يتمتع بكل الصلاحيات للتباحث من أجل حل النزاع الجزائري الفرنسي، وفي هذه الظروف الصعبة التي تحيط بقضية الجزائر في هذه الفترة اقتنع طاهر باشا بفشل مهمته وقد أعلم الباب العالي بصعوبة المهمة وتأكد من المؤامرة الفرنسية التي انتهت باحتلال فرنسا للجزائر يوم 05 جويلية 1830م. [1]

كما يعطينا "**أحمد باي**" تفاصيل حول الحملة في مذكراته أن الداي "**حسين**" على علم بهذا الاحتلال وتفاصيل الحملة ولم يقم بأي تجهيز لها سواء من تحصين المدينة أو نصب المدافع، ما عادا المدافع التي وضعها "**يحي أغا**" من قبل، ولا حفر الخنادق رغم أن "**دوبرمون**" أنزل الجيش ولم ينزل المدفعية والمؤن لمدة ثلاثة أيام، وهذه كانت الفرصة المواتية لضرب الجيش الفرنسي إلا أن الحنكة السياسية والتكتيك العسكري لم يكونا موجودين لدى الداي "حسين" وصهره "**إبراهيم أغا**"، [2] وهو ما أكده **حمدان خوجة** في كتابة بقوله: "في سيدي فرج لم تحضر المدفعية ولم تحفر الخنادق ولم يكن الأغا السابق (يحي أغا) قد نصبها في بداية إعلان الحرب." [3]

وقد قام السفير الفرنسي في مدينة إستانبول يوم 6 أوت 1830م بإعلام الباب العالي، بأن الجيش الفرنسي قد احتل مدينة الجزائر وأسقط نظام الدايات مع توقيع الداي حسين باشا معاهدة الاستسلام، [4] وبعد سقوط مدينة الجزائر غادر الداي حسين باشا الجزائر نهائيا يوم 10 جويلية برفقة عائلته وحاشيته لتلقي الجزائر مصيرها المشؤوم لوحدها، فنزل خبر احتلال الجزائر على السلطان **محمود الثاني** وعلى سكان مدينة إستانبول ومدن الأناضول بحزن كبير، وهم يتذكرون الجزائر التي

---

[1] عبد القادر فلوح، المرجع السابق، ص94-95.

أنظر الملحق رقم:16.

[2] حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص149-150.

[3] نفسه، ص190.

[4] نفسه، ص203-204.

كانت تتصدى للحملات الصليبية المسيحية لمدة ثلاثة قرون فسقطت بذلك القلعة الأمامية للدولة العثمانية غربا.[1]

فبعد احتلال الجزائر اجتمع السفير الفرنسي **بحميد باشا** رئيس الكتاب أبلغه أن الجزائر أصبحت تحت التصرف الفرنسي بموجب الأصول الحربية، ورد رئيس الكتاب بأن الجزائر تشكل حكومة مستقلة، وأن الأوجاق ملك للدولة العثمانية وأن الجزائريين مواطنوها ثم قدم السفير الفرنسي لرئيس الكتاب مذكرة من أحد عشر مادة إذا قبلتها الدولة العثمانية فإن فرنسا تعد (بكسر العين) بإعادة الجزائر إليها، وجاء في المادة الأولى من المذكرة: "لقد رضي الإمبراطور الفرنسي أن تسلم الجزائر وأراضيها إلى المقام الشاهاني العالي، وأن يتصرف فيها بكامل الحرية ومطلق الإدارة ."

المادة الثانية: " تبقى لجنبات الإمبراطور الفرنسي الأراضي الواقعة في الشمال الساحلي من إفريقيا فقط، وهي الأراضي التي تحيط بها الجبال المتسلسلة من حدود تونس ...لأن هذه الأراضي مهمة جدا بالنسبة لفرنسا لصد الهجمات والمخاطر الآتية إلى الفرنسيين من هذه الحدود. "

المادة الثالثة: " بموجب هذه الأراضي المحدودة فإن الإمبراطور الفرنسي سوف يكف اليد عن مطالبة أي تعويض مقابل المصاريف التي تصرف في حرب معلنة بدون حق ولا مبرر."

المادة الرابعة: " إن ميناء الجزائر هام جدا بالنسبة للأمن في البحر المتوسط بالنسبة لأمن وحماية الدولة العلية أيضا."

المادة الخامسة: " إن أوجاق الجزائر زيادة على أنه لا يمكن أن يمتلك سفنا حربية..."[2]

تنص المادة الأخيرة أن فرنسا لن تخرج من الجزائر قبل تحقيق الدولة العثمانية لهذه الشروط.[3]

[1] عبد القادر فلوح، المرجع السابق، ص95.

[2] خط همايون، رقم 46.892، تاريخ 1205هـ، علبة 30.

[3] أرجموند كوران، المرجع السابق، ص40.

وهكذا ففي الوقت الذي تحركت الديبلوماسية العثمانية لحل النزاع سلميا، واجهتها الديبلوماسية الفرنسية بتصلب شديد لتزيد النزاع تعقيدا وتمهد الطريق بذلك لتحقيق مشاريعها الاستعمارية في المغرب،[1] وبعد هذا الإنزال العسكري في الجزائر أعلمت السلطات الفرنسية الباب العالي في 06 أوت 1830م باحتلال الجزائر بشكل رسمي عن طريق سفارتها في استانبول، على إثر ذلك طلبت الدولة العثمانية من فرنسا بإعادة الجزائر إليها باعتبارها إيالة تابعة لها ودخلت على إثر ذلك في مباحثات من أجل استرجاع حقها في الجزائر بموجب المذكرة التي قدمت إلى فرنسا في 13 ماي 1831م عن طريق السفير الفرنسي في استانبول التي بين فيها الباب العالي حق الدولة العثمانية في الجزائر (بموجب المواثيق والأحكام المبرمة بين الدولة العلية والدول الصديقة منذ القديم، فإن حقوق الدولة السنية بالجزائر ثابتة في جميع الأزمان للدولة العلية...) وفي نهاية المذكرة كرر الباب العالي طلب استرجاع الجزائر وبقيت تلك المذكرة دون رد يذكر من طرف السلطات الفرنسية.

فتيقنت الدولة العلية أنها خسرت ايالة الجزائر فلجأت إلى العمل الدبلوماسي وذلك بتحرك قناصلها يمينا وشمالا لعلهم يتلقون وعودا طيبة أو كلمات تحمل تفاؤلا باستعادة الولاية إلى حظيرة الدولة في يوم من الأيام، لكن الفرنسيين كانوا قد قرروا على لسان كل مسؤوليهم من ملك وحكومة ووزراء وقادة جيوش أن فرنسا ذاهبة إلى الجزائر لتبقى هناك إلى الأبد.[2]

ومن خلال عرضنا للأحداث ومواقف الدولة العثمانية التي كانت قبل وبعد الحصار، نلاحظ أن موقف الباب العالي من الاعتداء الفرنسي على الجزائر تميز **بموقفين متباينين** تأثر بالكثير من العوامل المتصلة بالعلاقات بين الجزائر والباب العالي وعلاقات الطرفين مع القوى الأوربية الأخرى:

الموقف الأول: (من تاريخ بداية الحصار الفرنسي حتى شهر مارس) تميز موقف الباب العالي في هذه الفترة بخطأ تقديرات الحكومة العثمانية للأهداف العدوانية للسياسة الخارجية الفرنسية في

[1] خليفة إبراهيم حماش، المرجع السابق، ص228.

[2] عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص396-397.

البحر الأبيض المتوسط وقد استغلت فرنسا ضعف الروابط بين الجزائر والباب العالي وانعدام المصالح الاقتصادية للباب العالي لدى الجزائر، والبعد الجغرافي الذي ساهم بشكل واضح في إضعاف هذه الروابط، إلى جانب أن الدولة العثمانية كانت ترفض التدخل في شؤون الجزائر وعلاقاتها مع الدول الأوربية.[1]

كما أن السلطان العثماني لم يشأ التدخل وذلك لعصيان الداي **حسين باشا** لأوامره بشأن تجهيز جيش قوي له لمحاربة روسيا وجدد السلطان أمره، وأنه بإمكانه التكفير عن خطيئته مقابل قرضه "سبعة ملايين" قرش، إلا أن الداي لم يوافق على هذا الطلب أيضا وأخبره بأن الخزينة في حالة سيئة،[2] هذا ما جعل الباب العالي يصر على عدم التدخل في النزاع الجزائري الفرنسي بحيث أنه كان على ثقة أن ما حدث يعتبر حدثا عارضا في العلاقات بين الطرفين كالأحداث السابقة الأخرى وتستطيع الحكومتان تسوية ذلك بالطرق الدبلوماسية السلمية لأنهما تربطهما علاقات دبلوماسية ومصالح اقتصادية قوية.

الموقف الثاني: (يمتد ما بعد احتلال الجزائر من طرف فرنسا) فتميز الموقف العثماني في هذه الفترة بسعي الباب العالي لدى الحكومة الفرنسية لأجل استعادة الجزائر دبلوماسيا حتى سنة 1847م، حيث توقف الباب العالي عن المطالبة باسترجاع الجزائر من فرنسا.[3]

وبالرغم من الظروف الصعبة التي كانت تعيشها الدولة العثمانية ومن باب التضامن الإسلامي الذي يقره الدين الإسلامي واصل الباب العالي في دعم القضية الجزائرية من أجل استرداد الجزائر لأنها ملك مورث للباب العالي وحقوقه في الجزائر ثابتة، فكانت نية الباب العالي حسنة لتحرير الجزائر وذلك سنة 1834م قام بإرسال سفيرا إلى مدينة باريس وآخر لمدينة لندن من أجل الاتصال

[1] عبد القادر فلوح، المرجع السابق، ص90.

[2] سيمون بفايفر، المصدر السابق، ص45-46.

[3] المرجع السابق، ص90.

بالحكومتين الفرنسية والبريطانية وقد باشر كل من السفير العثماني في باريس **مصطفى رشيد** والسفير العثماني في لندن **السيد نوري أفندي** محاولات أخيرة لاسترداد الجزائر، (وكان سبب هذا التحرك الدبلوماسي ما كتبه **حمدان خوجة** باسم الجزائريين لسلطان العثماني بتاريخ 29 ربيع الأول 1249هـ/16 أوت 1833م وفيه يشرح ما يلقونه الجزائريون من ظلم ويرجون من السلطان مساعدتهم)،[1] إلا أن خبرتهما الدبلوماسية كانت ضعيفة حالت دون تحقيق هذا الهدف لأن المسألة الجزائرية قد دخلت نفق التسويات الاستعمارية بين القوى الأوربية الكبرى.[2]

ولم تقف الدولة العثمانية عند العمل الدبلوماسي بل سعت بعد ذلك لاستعمال القوة حتى ولو كانت ضعيفة وغير قادرة على مواجهة فرنسا وجه لوجه عسكريا، حيث استغلت موقعة طرابلس الغرب بعدما استطاعت حل الخلاف الرئاسي فيها بالقوة وإعادتها إلى شكل إيالة عثمانية،[3] مما أعطاها دفعا معنويا كبيرا بشأن المضي قدما نحو الجزائر مستغلة قربها منها ورأت إمكانية ربط ولاية تونس الفاصلة بين طرابلس الغرب والجزائر لكنها فشلت في الأخير، إلا أنها لم تتراجع عن دعم القضية الجزائرية وذلك من خلال دعم مقاومة أحمد باي في قسنطينة فأصبح هذا الأخير الممثل الشرعي للدولة العثمانية،[4] فأرسل إليه أربع سفن معبأة بالجنود والمدافع (12 مدفع) ودخلت السفن السواحل التونسية تمهيدا للقيام بنقل الجنود والعتاد إلى داخل التراب الجزائري برا عن طريق الحدود التونسية، لكن باي تونس رفض إنزال السفن في ميناء تونس خوفا من رد فعل فرنسي ضد مصالح بلاده، وكذلك للخلافات التاريخية بين بايات تونس وبايات قسنطينة في العهد العثماني، كما رأت في مساعدة الدولة العثمانية **لأحمد باي** ضدها يعتبر بمثابة إعلان الحرب عليها، كما أنها وقفت في وجه

[1] عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص398

[2] عبد القادر فلوح، المرجع السابق، ص95-96.

[3] أرجمند كوران ، المرجع السابق، ص105.

[44] سفيان صغيري، المرجع السابق، ص173-174.

كل محاولة للباب العالي لاسترجاع الجزائر أو مساعدتها،[1] وهنا انتهت جميع المساعي والمحاولات العثمانية لاسترجاع الجزائر خاصة بعد سقوط قسنطينة في 13 أكتوبر 1837م واستسلام أحمد باي فيما بعد سنة 1847م وهو آخر من مثل الأتراك في الجزائر.[2]

وهكذا باءت بالفشل جميع المحاولات التركية السياسية والدبلوماسية لاسترجاع الجزائر إثر ما كانت تعانيه من ضعف وانهيار وما كانت تعيشه من ثورات وانقسامات في أجزاء ممتلكاتها وداخل حدودها، حال دون استرجاعها للجزائر لتعلن وبشكل رسمي وبعض ضغوط مستمرة عليها عن تنازل على الجزائر لصالح فرنسا سنة 1847م وكان هذا عندما شطبت ولاية الجزائر من جدول الولايات العثمانية.[3]

---

[1] أرجمند كوران ، المرجع السابق، ص176.

[2] سفيان صغيري، المرجع السابق، ص 174-175.

[3] المرجع السابق، ص76-77.

مجمل القول أن العلاقات الفرنسية الجزائرية شهدت فترات امتازت بالتوتر والتناقض وبالاصطدام والتصالح، فتأرجحت العلاقات بين السلم والحرب، كما عجزت البحرية الفرنسية في مواجهة البحرية الجزائرية ولم تستطيع إخضاع الجزائر وتدميرها، ولذلك لجأت إلى العمل الدبلوماسي عن طريق قناصلها وبعثتها الدبلوماسية التي أوفدتها إلى الجزائر فلعبوا هؤلاء دورا هاما في توجيه هذه العلاقات، كما لعب القناصل دورا هاما في الجوسسة والإطاحة بالجزائر، وكان هدف فرنسا من إقامة علاقات طيبة مع الجزائر الحفاظ على مكانتها وامتيازاتها في البحر الأبيض المتوسط والمحافظة على مصالحها التجارية، وكان النشاط الاقتصادي وبخاصة التعامل التجاري الذي يدر منافع المحرك الأساسي لهذه العلاقات، لذلك فكرت فرنسا منذ زمن قديم للإطاحة بالجزائر وهو ما كان سنة 1830م.

لقد فشلت كل مساعي الباب العالي الدبلوماسية والسياسية والعسكرية في إيقاف عملية احتلال الجزائر واسترجاعها نتيجة المشاكل الداخلية والخارجية التي كانت تعاني منها (الرجل المريض)، مما جعلها تحت ظلال الحركة الاستعمارية التي زحفت على الولايات العربية التابعة لها لتسقط الواحدة تلو الأخرى، فكانت الجزائر أولى ضحايا الزحف الاستعماري الأوربي بسقوطها ضحية في يد الاستعمار الفرنسي.

خاتمة

خاتمــة

من خلال دراستنا لموضوع الجزائر والباب العالي من خلال الأرشيف العثماني 1520-1830م، الذي يعتبر من المواضيع الهامة في تاريخ الجزائر نستنتج ما يلي:

لقد عرف المغرب العربي منذ منتصف القرن الخامس عشر الميلادي خطرا لاتينيا ماحقا، هدد كياناتها السياسية الضعيفة وكاد يعصف بكل مقوماتها اللغوية والدينية والهوية الحضارية ليذيبها تماما، إضافة إلى الخطر الخارجي كانت تعاني من اضطراب سياسي واقتصادي واجتماعي، وذلك بسبب الصراع الذي كان قائم بين الدول الثلاثة: الحفصية الزيانية والمرينية ، فلم تكن الجزائر في القرن السادس عشر دولة قائمة بذاتها لنقول أن الدولة العثمانية أسقطتها فلقد كانت تتعايش فيها عدة دويلات وإمارات في تطاحن فيما بينها.

وبالتالي فإن الوجود العثماني في الجزائر كان نتيجة حتمية نظرا للظروف التي كانت تعيشها الجزائر داخليا من صراع وضعف، إضافة إلى الخطر الاسباني الذي كان يهددها في كل لحظة في ظل هذه الظروف ظهر الأخوان بربروس كمدافعين عن الراية الإسلامية.

فيرجع الفضل إلى الدولة العثمانية التي استطاعت المحافظة على وحدة الجزائر الترابية ومذهبها السني، فكانت العلاقة بين الباب العالي والإيالة قائمة منذ تأسيس تحت إطار الدين الإسلامي، فكان العامل الديني الأثر البالغ في اتصال العثمانيين بالجزائر وتحريرها من الغزو الصليبي ومن هنا بدأت ملامح العلاقات بشمال إفريقيا تأخذ منحنى أخر.

وبالتالي فإن العثمانيون دخلوا الجزائر لاستنجاد أهلها بهم فربطوا الجزائر بالباب العالي فكان تحالفا سياسيا وعسكريا، فدام هذا التحالف طيلة ثلاثة قرون، ويعتبر بحق أهم فترة في تاريخ الجزائر القديم والحديث من حيث أنه أطول الفترات زمانا كما عرفت الجزائر خلاله أوج قوتها بحيث أرهبت القوى الكبرى آنذاك وهيمن أسطولها على البحر المتوسط، فاستطاعت حماية حدودها من الغزو

الأوروبي ولعل الفضل في ذلك يعود إلى أولئك المؤسسين الأوائل الذين وضعوا أسس هذه الدولة وبنو قوتها العسكرية فقامت بمهمة الدفاع عن الإسلام في الحوض الغربي للمتوسط في شكل جهاد بحري.

فارتبطت الجزائر بالدولة العثمانية منذ سنة 1518م وتحقق ذلك بعد استجابة السلطان العثماني لطلب الجزائريين بعد إشارة خير الدين بربروسا عليهم بذلك، وقد تميزت الأوضاع في الجزائر بعدم الاستقرار خاصة في أنظمة الحكم حيث تعاقب على حكم الجزائر البيلربايات والباشاوات والأغاوات وصولا إلى الدايات كآخر مرحلة من مراحل الحكم، ومع المراحل التي مرت بها الجزائر خلال العهد العثماني جنح حكام الجزائر إلى الاستقلال بالقرار الداخلي والخارجي عن التبعية التامة في كل شيء للباب العالي، فتغيرت العلاقات الجزائرية العثمانية في مرحلة الدايات بشكل كلي حيث أصبحت شبه جمهورية عسكرية مستقلة عن الباب العالي.

وقد عرفت العلاقة بين الإيالة والباب العالي مرحلتين هامتين هما: مرحلة الارتباط وتبدأ من تأسيس إيالة الجزائر إلى غاية سنة 1711م ومرحلة فك الارتباط والتي تبدأ من قيام نظام الدايات إلى غاية سقوط الجزائر عام 1830م، فتميزت المرحلة الأولى بالارتباط الكلي للجزائر بالدولة العثمانية وذلك بقيام الباب العالي بتعيين حكام الجزائر من خلال إرسال شخصيات ذات ثقة من طرف سلاطين ووزراء الباب العالي.

أما مرحلة فك الارتباط يظهر فيها جليا مدى استقلال الإيالة عن الباب العالي، وتتجلى بوضوح في العديد من المواقف فمثلا تعيين الداي وصلاحياته يكون من قبل الديوان بالجزائر ويرسل للدولة العثمانية لتأكيد التعيين، فأصبحت بذلك صلاحيات الداي واسعة وأطلق على نظام الجزائر في تلك الفترة "النظام الملكي"، وهناك جانب أخر يظهر مدى استقلال الإيالة هو الدبلوماسية الجزائرية وعلاقاتها مع الدول الأوربية وهذا من خلال تواجد قناصلة هذه الدول في الجزائر والمعاهدات والرسائل التي كانت بين الطرفين ورفض الجزائر وساطة الدولة العثمانية لهذه الدول في عبور سفنها دون عقد معاهدة مباشرة معها.

وقد تحقق طموح الاستقلال في عهد الداي علي شاوش بداية من سنة 1711م حيث رفض استقبال ممثل السلطان العثماني "الباشا"، ومع توالي تدهور الدولة العثمانية وغرقها في مشاكلها المتعددة تعمق التحكم في القرار بالجزائر، فانحصر دور السلطان في إصدار المراسيم (الفرمان) لتثبيت اختيار الديوان العام بالجزائر لحكامه، ورغم ذلك ظلت العلاقات والارتباط بين الجزائر والباب العالي قائمة طيلة التواجد العثماني، تجلت في المحافظة على مظاهر التبعية والولاء في الانتماء الروحي للسلطان العثماني من خلال الدعاء له في المنابر وكذلك الوكلاء الذين يمثلون الايالة في العاصمة إستانبول واستمرار هذا المنصب في الجزائر دليل على استمرار الولاء والتبعية، دون أن ننسى الراية الجزائرية وعلاقاتها بالراية العثمانية والهدايا المتبادلة بين الطرفين، فاعتمد الحكام في توطيد علاقاتهم مع السلاطين تقديم الهدايا فكلما كانت كبيرة توطدت العلاقات وتحسنت.

ورغم استقلالية الإدارة والقضاء والجيش والعلاقات الخارجية بالنسبة للايالة الجزائر وعلاقتها بالدولة العثمانية إلا أنه ثمة جوانب عدة كقضية العملة التي كانت تضرب باسم السلطان وطبيعة بعض المراسلات التي كانت تتم بين الدايات والباب العالي إضافة إلى تبادل الهدايا وغيرها، فهذه الجوانب جعلت الايالة جزء لا يتجزأ من الإمبراطورية العثمانية على الرغم من عجز العثمانيين الواضح للدفاع عما تعتبره جزءا من ممتلكاتها.

أما جانب العلاقات العسكرية نجد أن مظاهر التبعية تتجلى سواء في الجيش البري (الأوجاق) وخاصة فرقة الإنكشارية التي هي امتداد للجيش العثماني، ولاحظنا مظاهر التعاون بين الجزائر والباب العالي والتضامن في الحروب وكذلك المساعدات العسكرية التي تقدم للجزائر من قبل الدولة العثمانية من تجنيد وتأثر هذا الأخير بتحسن أو سوء العلاقات، فكان الباب العالي يعتبر الجزائر حليفا لها سياسيا وعسكريا فكانت الإيالة وفية لمبادئها الدينية والسياسية والتاريخية اتجاه الباب العالي وهذا من خلال مشاركة الجزائر في حروب الدولة العثمانية طوال ثلاثة قرون.

فلعبت البحرية الجزائرية دورا كبيرا في تدعيم علاقة الجزائر بالباب العالي خاصة العسكرية منها من خلال مساعدتها في الحروب التي خاضتها الدولة العثمانية ضد التحالفات الأوربية أشهرها معركة ليبانت ومعركة نافرين سنة 1827م وهذا ما يبن قوة العلاقة بين الباب العالي والجزائر خاصة أثناء الشدائد، فتمكنت الجزائر بفضل قوة أسطولها البحري من التصدي للحملات الأوربية، سواء باستعمال القوة أو بفضل دبلوماسيتها بإبرام المعاهدات والاتفاقيات دون تدخل الباب العالي.

كان الغزو الفرنسي للجزائر المنعرج الحاسم في بيان علاقة الجزائر بالباب العالي حيث أن تعرض ايالة الجزائر للاعتداء الفرنسي بنية الاحتلال المباشر، أدى إلى تحرك الباب العالي بكل الطرق الدبلوماسية والعسكرية لاسترجاعها إلى أنها فشلت في كل المساعي.

وعكس ما يقال أن الدولة العثمانية تخلت عن الجزائر لصالح فرنسا إلى أن الأوضاع السائدة آنذاك من انحطاط سياسي وتقهقر اجتماعي وتخلف تقني وصناعي واحتلال شؤون الإدارة والارتداء برداء الخمول عكس ما شهدته أوروبا، فلم يكن في بمقدورها حماية حتى نفسها من التقسيم الذي كان يستهدفها من الدول الأوربية، فبعد تقسيمها انهارت وأصبحت هي الأخرى عبارة عن دولة صغيرة بعد سقوط الخلافة الإسلامية رسميا في سنة 1924م.

وهذه جملة من النتائج التي تمكنا من الوصول إليها من وراء هذا البحث المتواضع والذي نأمل أن نكون قد وفقنا فيه ولو في جزء صغير، فإن وفقنا فمن الله سبحانه وإن لم نوفق فمن أنفسنا، وفي الأخير إن مثل هذا الموضوع يستحق تضافر مجهودات البحثيين ويتطلب إمكانيات بحث أكبر.

الملاحق

أولا: الخرائط

1-خريطة الوضع السياسي للمغرب الأوسط.

2-خريطة التحرشات الاسبانية على موانئ الشمال الإفريقي في القرن 16م.

3-خريطة الإطار المكاني لمعركة نافرين 1827.

4-خريطة لأهم مدن الأناضول التي كانت مناطق تجنيد.

ثانيا: الجداول

1-جدول لأهم الدايات الذين تعرضوا للاغتيال من طرف عناصر الجيش الانكشاري.

ثالثا: الوثائق والرسائل

1- خط همايون عدد 57416 تاريخ 1203هـ/1785م.

2- مج 3205 ملف 1، الوثيقة 38.

3- مج 3205 ملف1، الوثيقة 12.

4- مهمة دفتري رقم 5 ص94 سنة 1565م.

5- مج 3205 ملف 1، الوثيقة 49.

6- دفتر مهمات الديوان الهمايوني رقم 132 تاريخ 1732م.

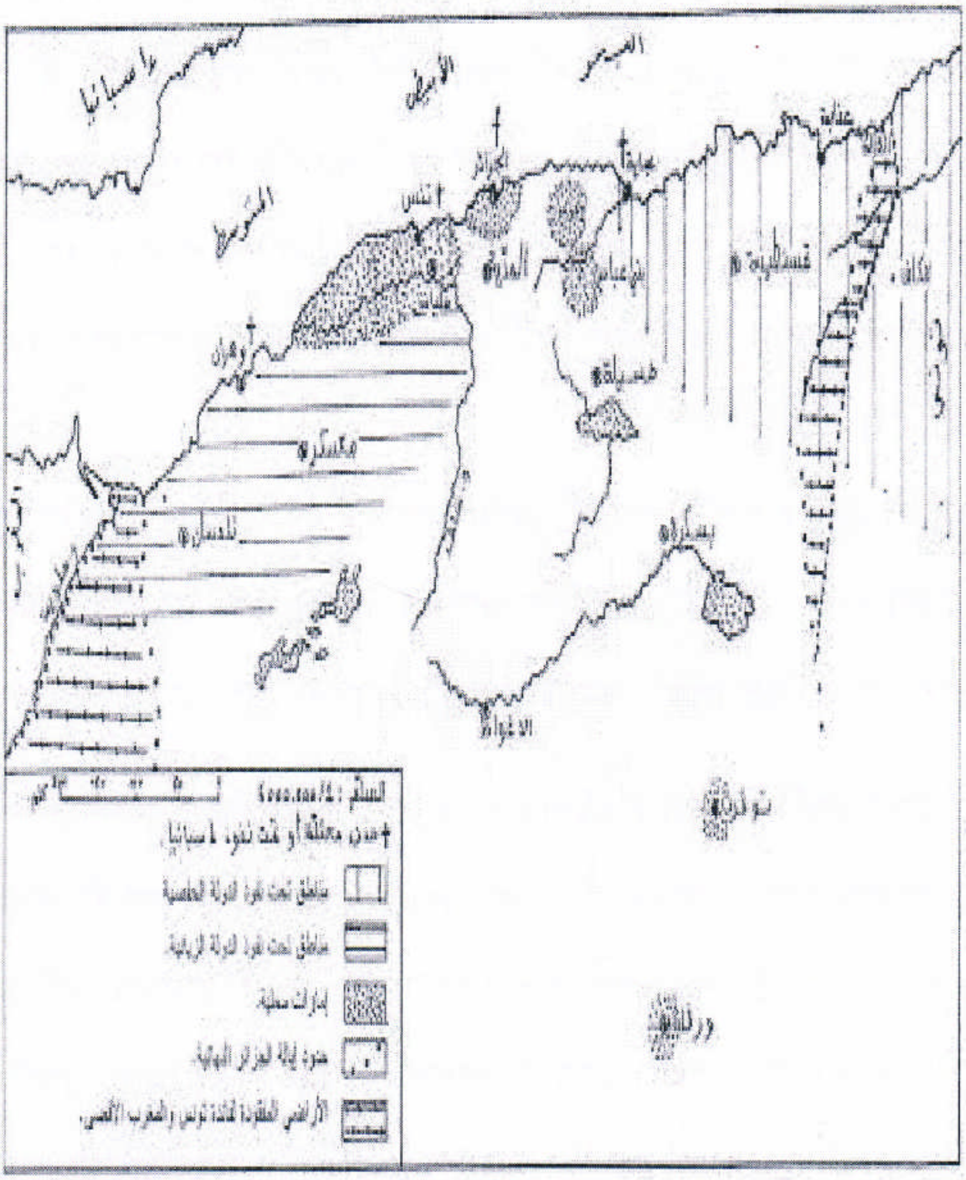
7- مهمة دفتري رقم 12 ص 549 تاريخ 1572م.

8- مج 3205 ملف 1 الوثيقة 36.

9- مهمة دفتري رقم 7 صحيفة 138.

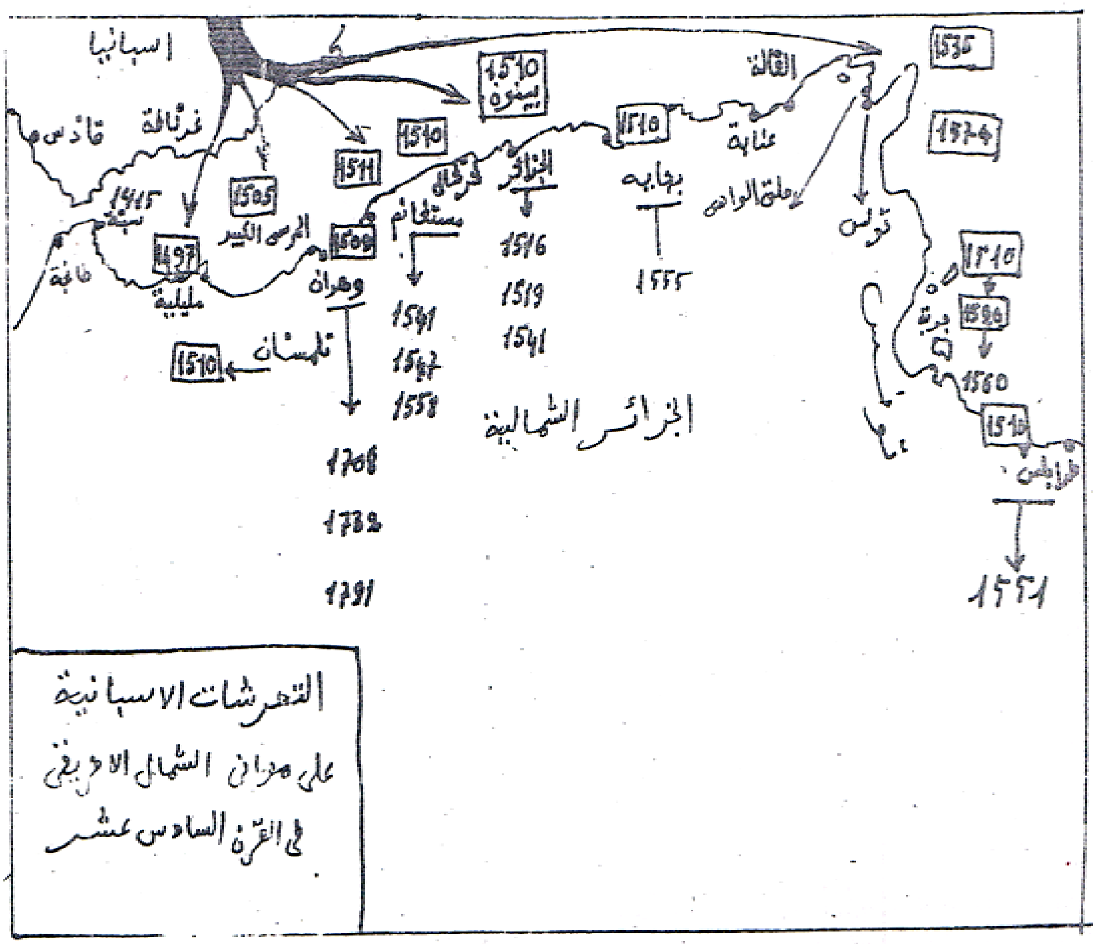
10- رسالة وزير العلاقات الخارجية الفرنسية إلى طاهر باشا بطولون باريس 1 جوان 1830م.

الملحق رقم 01:خريطة التحرشات الاسبانية على موانئ الشمال الإفريقي في القرن 16م.[1]



[1] ناصر الدين سعيدوي والبوعبدلي، المرجع السابق، ص36.

الملحق رقم 02: خريطة الوضع السياسي للمغرب الأوسط في مطلع القرن 16م.[1]



[1] يحي بوعزيز، علاقات...، المرجع السابق، ص29.

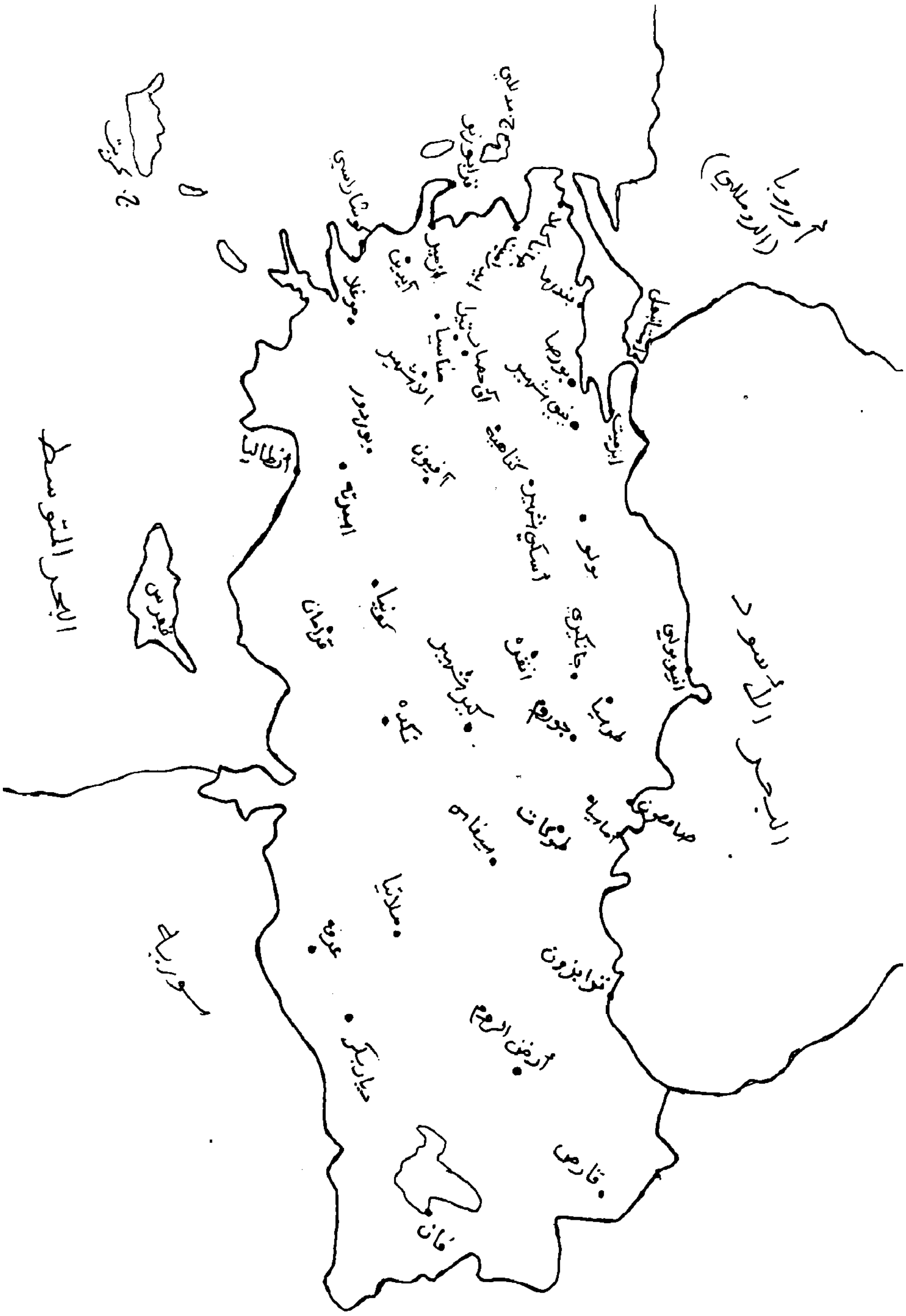
الملحق رقم 03: خريطة الإطار المكاني لمعركة نافرين 1827.[1]



---

[1] ناصر الدين سعيدوني، ورقات...، المرجع السابق، ص636.

الملحق رقم 04: خريطة لأهم مدن الأناضول التي كانت مناطق تجنيد.[1]



[1] خليفة حماش، المرجع السابق، ص246.

الملحق رقم 05: جدول لأهم الدايات الذين تعرضوا للاغتيال من طرف عناصر الجيش الانكشاري.[1]

الداي	فترة الحكم	طريقة الاغتيال
بابا حسن	1682-1683م	أعدم من طرف عناصر الانكشارية.
الحاج شعبان	1688-1695م	أعدم خنقا بعد تعذيب شديد.
الحاج مصطفى	1700-1705م	أعدم خنقا .
محمد بكداش	1707-1710م	أعدم خنقا.
دالي إبراهيم	1710م	قتل في الساحة بعد رميه بقنبلة من أعلى القصر.
محمد بن حسن	1718-1724م	قتل بالرصاص قرب البحرية.
إبراهيم كوتشوك	1745-1748م	قتل مسموما.
محمد بن بكير	1748-1754م	قتل خنقا في قصر الجنينة.
مصطفى باشا	1798-1805م	قتل ذبحا.
أحمد باشا	1805-1808م	قتل رميا بالرصاص وهو يحاول الهروب من القصر.
علي الغسال	1808-1809م	أجبر على شرب السم فرفض ذلك فخنق.
حاج علي	1809-1815م	قتل خنقا في الحمام.
محمد الخزناجي	1815م	قتل خنقا في قصر الجنينة.
عمر باشا	1815-1817م	نفذ فيه الحكم خنقا.

[1] حنيفي هلايلي،بنية...، المرجع السابق، ص230.

الملحق رقم 06: خط همايون عدد 57416 تاريخ 1203هـ/1785م.

رئـاسـة الجمهـورية

الأمـانـة العـامـة

الجمهورية الجزائرية
الديمقراطية الشعبية

الجـزائـر في :

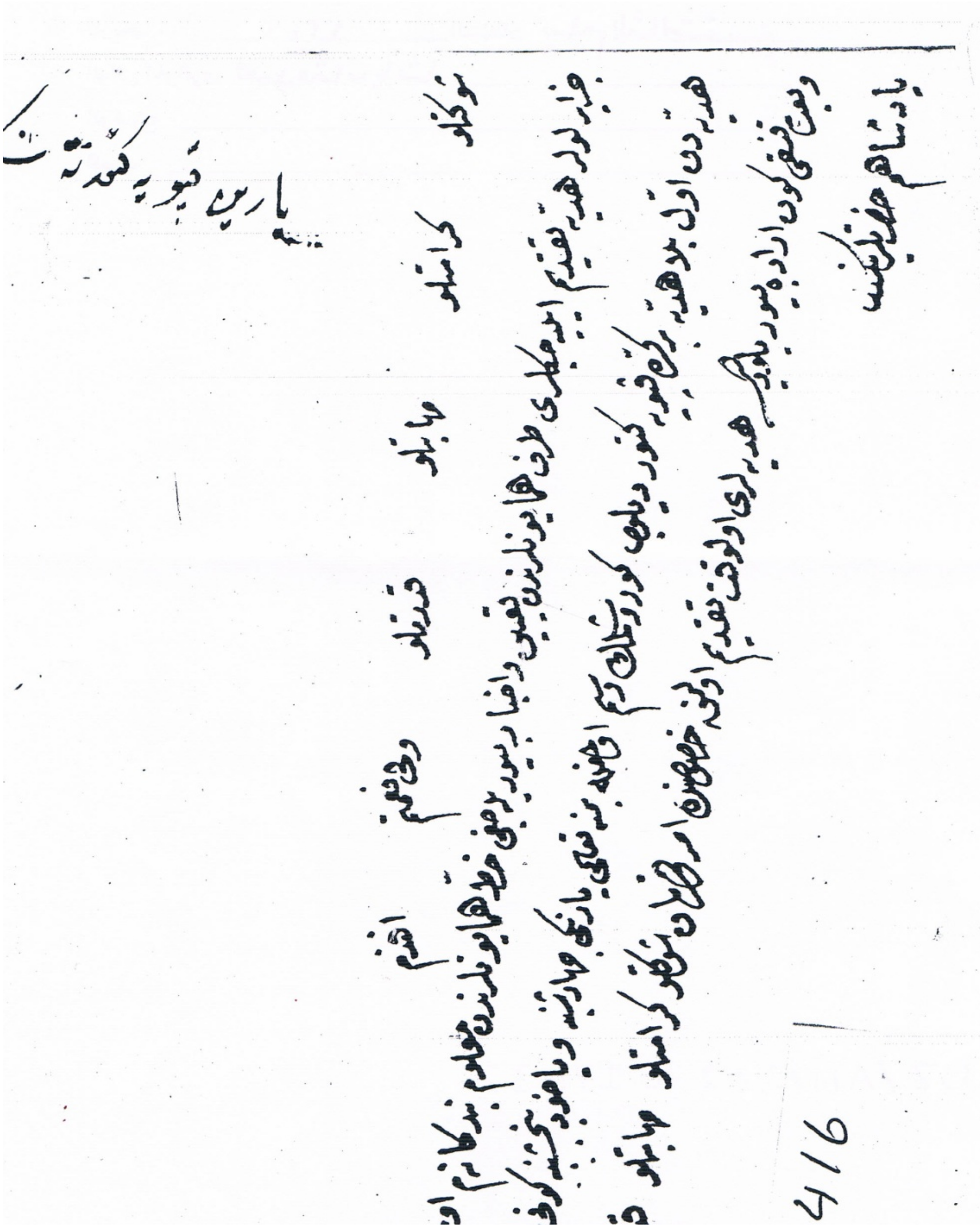
دفتر: خط همايون
عدد: 57416
تاريخ: 1203
المعرب: فكرى طونا

لتاتوابهم غدا الى الباب

الخط الهمايوني

صاحب القوة و الكرامة و القدرة و المهابة
سيدى و ولي نعمتي .

انه قد حصل علم لدى عبدكم بمقتضى مضمون الخط الهمايوني انه سوف يتم تعيين الوقت المناسب من طرف المقام الهمايوني لتقديم الهدايا من طرف الجزائريين الى الحضرة الهمايونيـة ، وبما ان الرسم المتبع و العادة الجارية في السابق تقضي احضار الجزائريين المذكورين الى الباب ليتم استقبالهم من طرف السلطان و ذلك قبل اجراء مراسيم تقديم الهدايا الى المقام الشاهاني تقرير احضارهم باذن الله تعالى الى الباب لملاقات السلطان غدا الاربعاء او بعد غد الخميس ، ثم بعد ذلك يتم اجراء مراسيم تقديم الهدايا التي بمعيتهم الى الحضرة الشاهانية في الوقت الذى يتعين بموجب الارادة الشاهانية و الامر و الفرمان بهذا الشان لصاحب القوة و الكرامة و القدرة و المهابة سيدى و ولى نعمتى و بادشاهي المحترم .



الملحق رقم 07: مج 3205 ملف 1، الوثيقة 38.

ترجمة الفرمان الذى ارسله السلطان محمود خان الأول

الى والي الجزاير الغرب عبدى باشا فى سنة ١١٤٣

امير الامراء الكرام كبير الكبراء الفخام ذو القدر والاحترام صاحب العز والاحتشام المختص بمزيد عناية الملك الاعلى باي بايات الجزاير الغرب ودايها الذى كان سابقا ثم انفصل عنها عبدى دام اقباله يكون فى معلومك بعد وصول هذا الرسم الرفيع السعيد اليك وانك لما كنت من الخدمة امين الاثنيين وجبت لك العناية من كل الوجوه ولاجل ذلك تعطفت عليك حضرتى السلطانية ذات المراحم الملوكية بظهور هذا الفرمان المؤرخ فى يوم العشرين من شهر شعبان المعظم سنة ثلثه واربعين ومائة والف المتضمن توجيه منصب داي الجزاير الغرب اليك مع انضمام رتبة باي البايات كما كنت سابقا ولاجل افادتك بذلك ارسلنا لك هذا الامر الشريف مع وانك حكمت بمجرد وصول فرمانى هذا الجليل القدر يكون اجراء العمل بمقتضى امرى من غير تاخير وذلك انت الذى تكون داي الجزاير الغرب وباي باياتها تتصرف فيها كما كنت سابقا وتضبط البلاد وتحمى العباد وتبذل جل مجهودك فى اجراء جميع اوامر فرمانى واياك ان تظلم الفقراء والرعية الساكنين فى البلاد والقاطنين بداخل المملكة فليكن ذلك فى معلومكم واعتمدوا على هذه العلامة الشريفة المحررة فى اواخر شعبان المعظم سنة ثلث واربعين ومائة والف

بمحروسة القسطنطينية

الملحق رقم 08: مج 3205 ملف1، الوثيقة 12.

ترجمة الفرمان الذي ارسله السلطان مصطفى الثالث
الى والي الجزاير الغرب محمد باشا في 1180

قدوة العزاة والمرابطين عمدة الكماة والمجاهدين المختص بمزيد عناية الملك المعين اعني به داي اوجاق الجزاير الغرب الآن محمد خواجة دام اقباله يكون في معلومك بعد وصول هذا الرسم الرفيع السعيد اليك وانه قبل التاريخ كان في الجزاير الغرب باي البايات وداي علي باشا والآن بامر الله تعالى انتقل من دار الفناء الى دار البقا وبقي وظيفه الذي هو باي البايات وداي فارغا ولما كنت انت من اتباعه وخزنا داره وقمت بحق الخدمة وظهر عليك الصدق والعفاف اتفق رأي اهل الجزاير وهم المفتي والقاضي وجملة اغاوات الاوجاق وضباطه وشيوخه والعلماء والصلحاء والائمة والخطباء وسائر الناس من كبير وصغير كلهم اتفقوا وكتبوا عرض محضر وارسلوه لدولتي يلتمسوا مني بان نوليك واليا في اوجاق الجزاير الغرب وننعم عليك ايضا برتبة باي البايات وبناءً على ذلك قبلت منهم هذا الالتماس وانعمت عليك بمزيد عناية سلطنتي العلية ومراحم دولتي السنية ووليتك باي البايات في الجزاير الغرب المذكورة ولذا اصدر امري الشريف بكتابة هذا الفرمان الجليل المؤرخ في اليوم السابع عشر من شهر ربيع الاول سنة ثمانين ومائة والف لنعلمك بذلك وقد حكمت الآن بموجب امري السعيد القادر في هذا الفرمان الجليل القدر المقرون باليمن والسعادة وانك انت باي بيات الجزاير وداييها تتصرف فيها بالكمال وتضبط احوال البلاد وتصون العباد وتعمل بموجب اوامر فرماني وتبذل سعيك في خدمة دولتي العليه واياك من الظلم والتعدي على الفقراء وسكان البلاد والقاطنين في المملكة فاجتنب من ذلك غاية الاجتناب

الملحق رقم 09: مهمة دفتري رقم 5 ص94 سنة 1565م.[1]

الموضوع: هجومات القراصنة على السفن الفرنسية

الوثيقة رقم 1(1)

الموضوع: بعض سفن بحارة إيالة الجزائر يتعدون على تجار فرنسيين

هذا حكمنا الشريف متوجه إلى بايلرباي إيالة الجزائر وقاضيها. نخبركم بأن سفير فرنسا، المقيم في استانبول رفع إلينا شكوى حول تعدي بعض بحارة إيالة الجزائر على تجار فرنسيين في ولاية سنورن(؟)، وقاموا بسلب أمتعتهم وتجارتهم. وعليه لدى وصول هذا الحكم نأمركم بالتفحص حول الأشخاص الذين ألحقوا الضرر بالفرنسيين والقبض عليهم، وعليك بتوفير الأمن والأمان حتى يقوم الفرنسيون بأعمالهم التجارية بالأيالة. وعليك بأخذ كل الأمتعة وسائر المتاع الذي تم الاستيلاء عليه من طرف بحارة الإيالة المذكورين سالفاً، وأرجاعها كاملة بدون نقصان إلى الفرنسيين وهذا بمقتضى عهد الصلح المعقود بيننا وبين فرنسا ــ وفي حالة ظهور أفراد يخالفون هذا الأمر، فعليكم بكتابة أسمائهم وإرسالهم إلى الباب العالي. (قد سلمت نسخة من هذا الفرمان إلى السفارة الفرنسية بتاريخ 15 صفر 973 / 11 سبتمبر 1565).

[1] التميمي عبد الجليل، التشكيل الإداري...، المرجع السابق، ص209.

الملحق رقم 10: **مج** 3205 ملف 1، الوثيقة 49

عزيزه الى حضرة صاحب الدولة والسعادة والكرامة ولي النعم سيدي وسلطاني

نسئل من حضرة الباري ان يدوم ذاتك السامية ويصونها من جميع الاكدار ويوفق امورك ويقرنها
بالسلامة والعافية في اوقات الليل والنهار اما بعد بينما كنت منتظر ورود اخبار عافيتكم السارة التي
امتلئت قلوبنا بمحبتها اذ ورد علينا في هذه الايام احد اتباعنا الذي انا وهو عبيدك وهو محمد قبطان رئيس
سفينة الذي ارسلتموه بقصد الذهاب الى جانب فرانسة لاجل تبليغ ماهو مخصوص بامركم فبادرت في الحين
الى تحرير هذا الكتاب الدال على المحبة والوداد الا انني قد تمنى كثيرا ما وقع من طائفة الفرنسيس اليهودي الاصل
وجنود الشياطين الملعونين الى يوم القيام الذين قصدوا مصر القاهرة بالات حربهم الزاخرة ورموا
عليها بنار مدافع كفرهم وطغيانهم فافسدوا احوالها وقتلوا من الموحدين رجالا ونساء واطفال فالحكم لله الواحد
القهار فالرجوا من حضرة الحق سبحانه وتعالى ان يطيل عمر حضرة صاحب الدولة والكرامة ولي النعم سيدي وسلطاني
ويبقي دولته السرمدية الى ان يمحي بقوته الباهر وسيفه القاطع اثر الملة المسيحية كما نرجوا منه تعالى ان ينصر
جميعنا على اعدائنا برا وبحرا ويجعلهم دائما مهزومين ومقهورين وبقدرة الله عظيم الشان جل شانه في هذه السنة
المباركة ان شاء الله تعالى تكون الفتوحات الجليلة على يد صاحب الدولة والرحمة والكرامة ولي النعم قوي الهمة حضرة
سيدي وسلطاني ويحصل لجميعنا السرور التام دائما وبمنه تعالى بعد وصول كتابنا هذا اليك في اسعد الاوقات
نرجوا من جانب محبتك السنية وصداقتك الرهيبة من الان فصاعدا لا تهجرنا من قلبك ولا تنسانا من بالك
لاننا نفرح بكتابك اشد الفرح وهذا هو مامول محبتك وربنا يكمل لك مرادك في الدنيا والاخرة

المحب المخلص الداعي
مصطفى داي والي محروسة الجزاير
الغرب هالك

الملحق رقم 11: دفتر مهمات الديوان الهمايوني رقم 132 تاريخ 1732م.

فرمان همايوني من السلطان العثماني أحمد الثالث (1115 – 1143 هـ الموافق 1703-1730م) الى داي الجزائر بابا عبدي (15 مارس 1724 / 03 سبتمبر 1732م).

الى أمير أمراء جزائر الغرب ودايها ومفتيها وقاضيها.... حكم.

(تعهدت الدولة العلية لامبراطورية روما (النمسا) بالاتفاقية المبرمة معها بحرية حركة تجارتها عن طريق البر و البحر ، وربما ان أوجاقات الجزائـــر وتونس وطرابلس الغرب ،تابعة للدولة العلية ، لذلك ادخلها الديوان الهمايوني ضمن تعهده ، ونحن نعلمكم مقدما بالامر الشريف ولكي يؤكد الديـــوان الهمايوني على شروط المعاهدة وتنفيذها بكل دقـــة ، أنتم ستعقونها حسب قواعد وقوانين الآوجاق ،وألا تقيموا مصالحة اخرى مع االأمبراطوريـــة المذكورة الا عن طريق دار سعادتنا.

وقد كلفنا قبطان الجزائر القبطان بكر الموجود بدار سعادتنا بالتوجه اليكم ومعه الفرمان، فعليكم ارسال الوكلاء المشار اليهم الى دار سعادتنا.

وأقـــامـــة الســـلام و الصداقة بكل تأكيد ، وأن قـــواعد وقوانين أوجاقكم ستكون القدوة يالنسبة للأمبراطورية ،) [1]

حرر في أواخر رمضان سنة 1138هـ
الموافق لـ: 1525 م,

الملحق رقم 12:مهمة دفتري رقم 12 ص 549 تاريخ 1572م.[1]

الوثيقة رقم 3(1)

الموضوع : باي ولاية تلمسان برقموز مصطفى يقوم بتجهيز سفينة حربية بالأراضي العثمانية والباب العالي يطلب منه معاقبة البحارة الذين قاموا بالاغارة والتعدي على سفينة بندقية :

هذا حكمنا الشريف الى حاكم سنجاق تلمسان السابق المدعو مصطفى برقموز فكما تعلم أنك قدمت بسفينتك الى ميناء فيروزه حيث تم تجهيز سفينتك وأعطينا لك اللوازم الضرورية لتجهيزها. وقد أمرنا محافظ هذه المنطقة بأن يستكمل على بقية آلات الحرب والعدد الكافي من المجدّفين. هذا وإن أهل جزيرة نعصة (؟) التابعة الى ولاية قارلي والذين هم من الكفار العصاة قد قاموا بالاعتداء على احدى السفن التابعة للبندقية وعليه نأمرك بالتتبع والتفتيش على أهل العناد والفساد والقبض عليهم والعمل على حفظ تلك الأطراف. وعليك باعلام الباب العالي حول تفاصيل ذلك العدوان في دفتر خاص.

[1] إدريس الناصر رائسي، المرجع السابق، ص379.

الملحق رقم 13: مج 3205 ملف 1 الوثيقة 36.

A 36

ترجمة الفرمان الذى ارسله السلطان محمود خان الثانى

لمصطفى قبطان احد قباطين وجاق الجزاير الغرب سنة ١٢٤٠

قدوة الاماجد والاعيان قبطان وجاق الجزاير الغرب المتأمر على السفاين التى ارسلت من طرف
الاوجاق المذكور لتكون فى معية عمارتى السعيدة مصطفى قبطان زيد مجده يكون فى معلومك
بعد وصول هذا الرسم الرفيع السمي اليك وانى فى هذه السنة المباركة عزمت بعون عناية حضرة
البارى على اتخاذ جميع الوسايل القوية لنضيق على الروم العصاة اثناء التضييق برا وبحرا ولذلك تعين خروج
عمارتى السعيدة من مقر خلافتى وقد تعلقت ارادتى الملوكية ايضا بتجهيز سفاين وجاقى السلطان
وجاق الجزاير الغرب المنصور وارسالهم الى هذا الطرف ليكونوا فى عون عمارتى السعيدة وبناء على
ذلك قبل التاريخ صدرت التحريرات من جانب وكيلى المطلق قوى الهمم الصدر الاعظم كريم الشيم
وارسلت لباى باياف الجزاير الغرب امير الامراء الكرام حسين باشا دامت معاليه لاجل ان يعينه بمطلوبى
الملوكي وفى الحين عمل الموصى اليه بمقتضى امرى وفرمانى وجهز من الاوجاق المذكور فرقاطتين وقربيتين
وابريقين واسقونتين عدد الجميع ثمانية قطع وسلمهم تحت ادارتك ايها القبطان المشار اليه لتلحق
بهم الى عمارتى السعيدة وقد تحققت حضرتى السلطانية بوصولهم الى جزيرة المورة واخذهم الماء من
سواحلها فكان ارسال هذه السفاين المذكورة ووصولهم فى هذا الوقت هو الباعث على ممنونيتى الملوكية

c 36

تذهب في الحين الى مسلنك بالسفاين التي عندك وتحررها وتضيق عليها من جهة البر اشد التضييق
وتخبر بذلك رئيس العسكر المقدم ذكره وبعد وصول قبطان البحر المشار اليه تكون انت تحت امره ونهيه
ولا تخالف عن رايه وتدبيره ليكون كمال هذه الحركة موافقا للمطلوب الملوكي فليكن ذلك في معلومك
وبادر بالاجتهاد في اجراء العمل على هذا المنوال المحرر في هذا الفرمان وعليك بابراز الصداقة وحسن الهمة
على قدر امكانك واياك والخلاف المغاير لرضاي فاجتنب منه ولذا احكمت بصدور هذا الفرمان العالي
الشان

وقد حكمت وانه بمجرد وصول هذا الفرمان الواجب له الاتباع والامتثال الصادر بالشرف والاجلال
تعملوا بموجب الامر المشروح اعلاه فليكن ذلك في معلومكم واعتمدوا على هذه العلامة الشريفة
المحرر في اوائل شهر شوال المكرم سنة اربعين ومايتين والف — بمحروسة القسطنطينية

الملحق رقم 14: مهمة دفتري رقم 7 صحيفة 138.

مهمة دفتري رقم 7. صحيفة 138 حكم رقم 335

بتاريخ 17/4/972.

اعطى الى المتعهد السفير الفرنسي في 22/04/972.

حكم الى امير امراء جزائر الغرب.

ورد الى سدة سعادتنا خطابا مرسلا من ملك فرنسا يعلم فيه
بانه خلافا للعهود المرعية بيننا فان سفن وعساكر الجزائر تغير على بلادهم
وحربيا تلحق الاذية معا بهم واتباعهم يأسرون رعاياهم وهي الاصل
فان فرنسا مرتبطة منذ القديم مع سدة سعادتنا بعلاقات الصداقة
وان التعرض لبلادهم ورعاياهم غير جائز وامرت:
ان تتقيد بهذه التعليمات منذ وصوله وان تنبه العسكر وتاكد
على هذه الناحية ويجب بعد الان ان تتصرف مغاير للعهد والا
تغير على اي قلعة او رقعة من فرنسا وان لا تأسر احد من
رعاياهم وان تعاقب كل من يقوم بمثل هذه الاعمال واذا اشتكا
الفرنسيون ثانية، فانك ستتحمل العواقب المترتبة على ذلك
كتب ايضا اعطى المتعهد السفير الفرنسي صورة الى امير
امراء طرابلس الغرب.

تعريب - محمد داود التميمي

الملحق رقم 15:رسالة وزير العلاقات الخارجية الفرنسية إلى طاهر باشا بطولون باريس 1 جوان 1830م.[1]

الوثيقة رقم 01

باريس في 1 يونيو 1830

إلى معالي طاهر باشا بطولون

بعد أن استلمت الرسالة التي شرفتموني بها في 1 يونيو المنصرم، وعلمت بالنقاش الذي دار بينكم وبين والي بحرية طولون، وعلمت أيضا أنكم أبديتم الرغبة لمعرفة نوايا الإمبراطور نحوكم. إن جلالته لا ينوي إرغام بأي شكل كان حرية قراراتكم. أما بعد نهاية فترة الحجز (الكرنتينة)، فإن اقتراحاتكم فيما يخص توجهكم إلى باريس، فإنكم تجدون استقبالا وديا ومتميزا. إلا أنكم لم تردوا علي إطلاقا عن السؤال الأول والأساسي. الذي تشرفت بتوجيهه لكم لمعرفة إن كنتم حاملين لكل السلطات التي تسمح لكم بالتقدم إلى حكومة الإمبراطور، وتخول لكم الحق للتفاوض مع فرنسا في المسائل المرتبطة بحرب الجزائر...

. Paris 1er Juillet 1830

A S.E. Mohamed Tahar Pacha à Toulon.

Excellence.

Après avoir reçu la lettre que vous m'avez fait l'honneur de m'adresser, le 1 juin dernier, j'ai été informé de votre conférence avec le préfet maritime de Toulon, et j'ai appris que vous annoncier le désir de savoir qu'elles étaient à votre égard, les intentions de l'empereur, mon auguste maître. Sa majesté ne veut contraindre en aucune manière la liberté de vos déterminations, soit qu'après l'expiration de votre quarantaine. Vos suggestions à propos de vous rendre à Paris où vous trouveriez l'accueil le plus amical et le plus distingué… Mais vous m'avez jamais répondu à la première question et fondamentale que j'ai l'honneur de vous adresser afin de connaître si vous vous trouvez munir des pleins pouvoirs qu'il vous serait permis de présenter au gouvernement Impérial et qui vous autoriseraient à traiter avec la France les questions qui se rattachent à la guerre d'Alger …

[1] أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 143-144.

الببليوغرافيا

البيبليوغرافيا

أولا: الوثائق المخطوطة

أ- مجموعة وثائق تاريخ الجزائر العثماني:

- **المجموعة 3190، ملف 1، رقم الوثيقة:**

الوثيقة 3، الوثيقة 117-73-143، الوثيقة 126، الوثيقة 176، الوثيقة 316، الوثيقة 328، رقم الوثائق 257-258-259.

- **المجموعة 3204، رقم الوثيقة:**

الوثيقة 16، الوثيقة 30، الوثيقة 57.

- **المجموعة 3205، ملف1، رقم الوثيقة:**

الوثيقة5، الوثيقة 09، الوثيقة 12، الوثيقة 14، الوثيقة 22، الوثيقة 31، الوثيقة 32، الوثيقة 38، الوثيقة 36، الوثيقة 49.

ب- خط همايون:

- عدد 57416 تاريخ 1203هـ/1785م.
- عدد 56499، تاريخ 1206هـ/1791م.
- عدد 46.892، تاريخ 1205هـ، علبة 30.
- عدد 22556، تاريخ 1232هـ، علبة 24.

- عدد 3154، تاريخ 1237هـ.

- عدد 22443 تاريخ 1243هـ.

- دفتر مهمات الديوان الهمايوني رقم 132.

- مهمة دفتري رقم 7 صحيفة 138.

- عدد 17216، تاريخ 1239هـ/1823م.

- عدد 22443 تاريخ 1243هـ/1827م.

- عدد16237، تاريخ 1245هـ.

ت- المخطوطات

- **التلمساني محمد بن عبد الرحمان:** الزهرة النائرة في ما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة، تحت رقم 2523.

- مخطوط تحت رقم 1637 دون عنوان ودون مؤلف.

ثانيا: المصادر المطبوعة

أ- باللغة العربية

1-**ابن أبي الضياف أحمد:** إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، الدار التونسية والشركة التونسية للنشر والتوزيع، ط2، تونس، 1963م، ج2.

2-**ابن أبي دينار:** المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، تحقيق وتعليق: محمد شمام، مطبعة دولة تونس، ط1، تونس، 1869م.

3-**ابن ميمون أحمد الجزائري**: التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تحقيق: محمد بن عبد الكريم، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.

4-**أبي زكرياء يحي بن خلدون**: بقية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تقديم وتحقيق وتعليق: عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، 1986م، ج1.

5-**بربروس خير الدين**: مذكرات خير الدين بربروس، تحقيق: محمد الدراج، شركة الأصالة، ط1، الجزائر، 2010م.

6-**بفايفر سيمون**: مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تقديم وتعريب: أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974م.

7-**بن رجب ابن المفتي**: تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، تحقيق: فارس كعوان، بيت الحكمة، ط1، الجزائر، 2009م.

8-**الجزائري أحمد**: كيف دخل الفرنسيون الجزائر، نشره وقدمه: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، 1962م.

9-**الجزائري عبد القادر المشرفي**: بهجة الناظر في أخبار الداخلية تحت ولاية الاسبان بوهران من بني الأعراب كبني عامر، تحقيق: محمد بن عبد الكريم، بيروت، 1972م.

10- **حسين بن رجب شاوش ابن المفتي**: تقيدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، تقديم: فارس كعوان، بيت الحكمة، الجزائر، 2009م.

11- **الخطيب لسان الدين**: الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، ط1، القاهرة، 1974م، ج1.

12- **خوجة حمدان بن عثمان**: المرآة، تعريب وتقديم: محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م.

13- **الزهار أحمد شريف**: مذكرات أحمد الشريف، تحقيق: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1980م.

14- **شالير وليام**: مذكرات وليام شالير قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824م، تقديم وتعليق: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م.

15- **علي بن محمد الأندلسي**: الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تحقيق: محمد حبيب العميلة، دار الكتاب الشرقية، تونس، ج2، 1973م.

16- **الفاسي الحسن بن محمد الوزان**: وصف إفريقيا، ترجمة: محمد الأخضر، ومحمد حجي، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1983م، ج2.

17- **كاثكارت جيمس لندر**: مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب، ترجمة: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م.

18- **كربخال مرمول**: إفريقيا، ترجمة: محمد حجي وآخرون، دار المعرفة، الرباط، 1989م، ج1.

19- **مجهول**: سيرة المجاهد خير الدين، تحقيق: عبد الله حمادي، دار القصبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م.

20- **مجهول**: كتاب غزوات خير الدين وعروج، تصحيح وتعليق: نور الدين عبد القادر، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1934م.

21- **المحامي محمد فريد بك**: تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: إحسان حقي، دار النفائس، ط1، بيروت، 1971م.

22- **المزاري آغا بن عودة** : طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق ودراسة: يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1990م، ج1.

23- **الناصري أبي راس:** عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تحقيق: محمد غانم، منشورات Crax، 2005م، ج1.

ب- باللغة الفرنسية:

1- **Cat** (**Edward**): Petite histoire de l'Algérie -Tunisie-Maroc, Adolphe Jourdan, Alger, 1888, T1.
2- **De Paradis** (**Jean Michel Venture**): Tunis et Alger au 18 eme siècle (mémoire et observation), Présenter par : Josèphe Cuoq, Sindbad, Paris, 1983.
3- Devoulx (**Albert**): Tachrifat recueil de notes historiques sur l'administration de l'ancienne régence d'Alger, bibliothèque nationale, Alger, 1852.
4- **Haedo** (**Fray Diego de**): Histoire des rois d'alger, traduit de l'espagnol par : Grammont H.D, Editions grand –Alger- livres, Alger, 2004.
5- **Pellissier**: Mémoire historique et géographique sur d'Algérie, Imp. Royal, Paris, 1844.
6- **Show** (**Tomas**): Voyage dans la régence d'Alger, Traduit de l'anglais par : J.Mac carthy, Edition bouslama, 2 éme édition, Tunis, 1980.

ثالثا: المراجع

أ- باللغة العربية:

1- أجيرون شارل روبير: تاريخ الجزائر المعاصر، ترجمة: عيسى عصفور، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، الجزائر، 1982م.
2- **ألتر عزيز سامح:** الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة: محمد علي عامر، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، 1989م.

3- **أندري برنيان ونوشي أندري ولاكوست إيف**: الجزائر بين الماضي والحاضر، ترجمة: اسطمبولي رابح وعاشور منصف، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984م.

4- **أوزتانا يلماز**: تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة: عدنان محمود ومراجعة: محمد الأنصاري، مؤسسة فيصل للتمويل، ط1، اسطنبول، 1988م، ج2.

5- **بركات مصطفى**: الألقاب والوظائف العثمانية، دار الغريب، القاهرة، 2000م.

6- بفايفر سيمون: مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تقديم وتعريب: أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974م.

7- **بلحميسي مولاي**: الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1981م.

8- **بلقاسم ملود قاسم نايت**: شخصية الجزائر الدولية وهيبتها قبل 1830م، دار البعث، قسنطينة، 1985م، ج1.

9- **بوحوش عمار**: التاريخ السياسي للجزائر من البداية وإلى غاية 1962م، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1997م.

10- **بوعزيز يحي**: الموجز في تاريخ الجزائر (الجزائر الحديثة)، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، الجزائر، 2009م، ج2.

11- ــــــــــــ: مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999م.

12- ــــــــــــ: علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا 1500-1830م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1980م.

13- **بوكراع إلياس**: الجزائر الرعب المقدس، ترجمة: خليل أحمد خليل، دار الفارابي، ط1، بيروت، 2003م.

14- **بونار رابح** : المغرب العربي تاريخه وثقافته، دار الهدى، ط3، الجزائر، 2000م.

15- **بنور فريد:** المخططات الفرنسية تجاه الجزائر 1782-1830م، مؤسسة كوشكار، الجزائر، 2008م.

16- **بيات فاضل:** الدولة العثمانية في المجال العربي (دراسات تاريخية في الأوضاع الإدارية في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية حصرا –مطلع العهد العثماني أواسط القرن 19م-، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2007م.

17- ــــــــ: دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، دار الهدى الإسلامي، بيروت، 2005م.

18-

19- **بيوض جميل:** تاريخ العرب الحديث، دار الأمل للنشر والتوزيع، ط1، 1991م.

20- **التميمي عبد الجليل:** بحوث ووثائق في التاريخ المغربي (الجزائر-تونس-المغرب)، زغوان، ط2، تونس، 1985م.

21- ــــــــ: أعمال المؤتمر العالمي الرابع للدراسات العثمانية (حول الحياة الإدارية وبروز القوميات ودور الأقليات في الولايات العربية أثناء العهد العثماني)، مركز الدراسات والبحوث العثمانية والمورسيكية والتوثيق والمعلومات، تونس، 1992م.

22- **جلال يحي:** المغرب الكبير العصور الحديثة وهجوم الاستعمار، دار النهضة، لبنان، 1981م، ج3.

23- **الجمل شوقي عطا الله:** مجمل تاريخ المغرب الحديث (ليبيا-تونس-الجزائر-المغرب)، مكتبة الأنجلو مصرية، ط1، القاهرة، 1977م.

24- **جوليان شارل أندري:** تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب: محمد مزالي والبشير بن سلامة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط3، الجزائر، 1978م.

25- **الجيلالي عبد الرحمان بن محمد**: تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية، ط7، الجزائر، 1994م، ج3.

26- **جيم ولسن ستيفن**: الأسرى الأمريكان في الجزائر (1785-1795م)، ترجمة: علي تابليت، منشورات ثالة، الجزائر، 2008م.

27- **حاطوم نور الدين**: تاريخ عصر النهضة الأوربية، دار الفكر الحديث، لبنان، د.س.

28- **حباسي شاوس**: العلم الوطني الجزائري المعاصر (1518-1945م) تطوره الشكلي وتحليل المضمونة الأيدلوجي والسياسي، موفم للنشر، الجزائر، 1996م.

29- **الحسن عيسى**: تاريخ العرب (من بداية الحروب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانية)، الأهلية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1991م.

30- **حساني مختار وآخرون**: التاريخ العسكري للجزائر من الفتح الإسلامي إلى القرن 16م، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، الجزائر، 2007م.

31- **حليم إبراهيم بك**: تاريخ الدولة العثمانية العلية، مؤسسة الكتب الثقافية، ط1، بيروت، 1988م.

32- **الحويري محمود محمد**: تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، المكتبة المصرية، ط1، القاهرة، 2001م.

33- **خلاصي علي**: الجيش الجزائري في العصر الحديث، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م.

34- **دراج محمد**: الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس (1512-1543م)، شركة الأصالة، ط1، الجزائر، 2012م.

35- **دودو أبو العيد**: الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان 1830-1855م، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م.

36- **رائسي إدريس الناصر**: العلاقات العثمانية الأوربية في القرن 16م، دار الهادي، ط1، لبنان، 2007م.

37- **الزبيري محمد العربي**: مدخل إلى تاريخ المغرب العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1985م.

38- **سبنسر وليم**: الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتقديم: عبد القادر زبادية، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980م.

39- **سعد الله أبو القاسم**: أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1976م، ج1.

40- **سعيدوني ناصر الدين**: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط3، الجزائر، 1982م.

41- ــــــــــ: موظفوا الدولة الجزائرية في القرن 19م، المؤسسة الوطنية للثقافة والسياحة، الجزائر، د.س.

42- ــــــــــ: دراسات في الملكية العقارية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.

43- ــــــــــ: ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 2000م.

44- ــــــــــ: النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني 1792-1830م، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م.

45- **سعيدوني ناصر الدين والمهدي البوعبدلي**: الجزائر في التاريخ العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

46- **السليماني أحمد**: تاريخ مدينة الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.س.

47- ــــــــــــ: النظام السياسي الجزائري في العهد العثماني، دار الكتاب، ط1، الجزائر، د.س.

48- **السيد محمود**: تاريخ دولة المغرب العربي ليبيا-تونس-الجزائر-المغرب-موريتانيا، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.س.

49- **سليمان عبد العزيز**: الشعوب الإسلامية، دار النهضة العربية، بيروت، 1973م.

50- **شارف رقية**: الكتابات التاريخية الجزائرية الحديثة خلال القرن 18 و بداية القرن 19م، دار الملكية، ط1، الجزائر، 2007م.

51- **شاكر مصطفى**: موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها، دار العلم للملايين، ط1، بيروت، 1993م، ج3.

52- **شاوش محمد رمضان**: باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م.

53- **الشناوي عبد العزيز محمد**: الدولة العثمانية دولة الإسلام المفترى عليها، مكتبة الإنجلو مصرية، ط2، القاهرة، 1986م.

54- **شوفالييه كورين**: الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر (1510-1830م)، ترجمة: جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م.

55- **شويتام أرزقي**: دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي الفترة العثمانية 1519-1830م، دار الكتاب العربي، ط1، لبنان، 2010م.

56- **صابان سهيل**: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مطبوعات الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000م.

57- **الصلابي محمد علي**: الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار المعرفة، ط1، القاهرة، 2006م، ج1.

58- **طقوش محمد سهيل**: تاريخ العثماني من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، دار النفائس، ط2، بيروت، 2008م.

59- **عبد الحميد بن أبي زيان بن اشنهو**: دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، الجيش الشعبية للطباعة، الجزائر، 1972م.

60- **عامر محمود علي**: تاريخ المغرب العربي الحديث، منشورات جامعة دمشق، ط2، سوريا، 2000م.

61- **عباد صالح**: الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830م، دار هومة، ط2، الجزائر، 2007م.

62- **عباس حمودة محمود**: الوثائق العثمانية في تركيا ومصر ودول شمال إفريقيا، دار غريب للنشر والطباعة والتوزيع، القاهرة، 1999م.

63- **عبد القادر نور الدين**: صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1965م.

64- **العسلي بسام**: خير الدين بربروس والجهاد البحري، دار النفائس، ط1، بيروت، 1983م.

65- **عقاب محمد الطيب**: الأخوان عروج وخير الدين، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1985م.

66- **العقاد صلاح**: المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر، مكتبة الأنجلو المصرية، ط6، القاهرة، 1993م.

67- **عمري الطاهر**: تاريخ الجزائر والمشرق في العهد العثماني، المدرسة العليا للأساتذة قسنطينة، www.Efad.ufc.dz

68- **عمر عبد العزيز**: محاضرات في تاريخ الشعوب الإسلامية في العصر الحديث، دار المعرفة الجامعية، الجزائر، 2007م.

69- **عمورة عمار**: موجز في تاريخ الجزائر، دار ريحانة للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2002م.

70- ــــــــــ: الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ إلى 1962م، دار المعرفة، الجزائر، 2006م، ج2.

71- **الغاشي مصطفى**: البحر المتوسط في الإستراتيجية العثمانية، مجلة كلية الآداب، جامعة تيطوان، د.س.

72- **غطاس عائشة وآخرون**: الدولة الجزائرية الحديث ومؤسساتها، المركز الوطني للدراسات، الجزائر، 2007م.

73- **فارس محمد خير**: تاريخ شمال إفريقيا الحديث (تاريخ الجزائر من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي 1600-1830م)، مكتبة دار الشرق، ط2، بيروت، 1979م.

74- **فركوس صالح**: المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين (814 ق.م-1962م)، دار العلم للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2002م.

75- **فكاير عبد القادر**: الغزو الاسباني للسواحل الجزائرية وآثاره 910-1206ه/1505-1792م (دراسة تتناول الآثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية على الجزائر)، دار هومه، الجزائر، د.س.

76- **فلاحة محمد خير**: الخلافة العثمانية من المهد إلى اللحد، www. Smart10.com.

77- **قدورة زاهية**: تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، 1985م.

78- **قنان جمال**: معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830م، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987م.

79- ـــــــــــ: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث (1500-1830م)، المؤسسة الوطنية الجزائرية، الجزائر، 1987م.

80- ـــــــــــ: قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني، الجزائر، 1994م.

81- **كامل مصطفى**: المسألة الشرقية، مطبعة الآداب، ط1، مصر، 1898م.

82- **الكعاك عثمان**: موجز التاريخ العام للجزائر، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 2003م.

83- **كلوت أندري**: سليمان العظيم القانوني، ترجمة: بشير بن سلامة، دار الجيل، بيروت، 1991م.

84- **كوران أرجمند**: السياسة العثمانية اتجاه الاحتلال الفرنسي 1827-1847م، ترجمة: عبد الجليل التميمي، الشركة التونسية لفنون الرسم، ط2، تونس، 1974م.

85- **لكحل عبد الحفيظ**: الحديث في شرح المصلحات التاريخية، دار الحديث للكتاب، الجزائر، 2003م.

86- **مانتران روبير**: تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة: بشير السباعي، دار الفكر، ط1، القاهرة، 1993م، ج2.

87- **محروس إسماعيل حامي**: تاريخ العرب الحديث من الغزو العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الأولى، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997م.

88- **المدني أحمد توفيق**: حرب ثلاث مائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1986م.

89- ـــــــــــــــ: هذه هي الجزائر، دار البصائر، الجزائر، 2009م.

90- ـــــــــــــــــ: محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791م (سيرته حروبه أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.

91- **مروش المنور**: دراسات عن الجزائر في العهد العثماني (القرصنة الأساطير والواقع)، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009م، ج2.

92- **المطوي محمد العروسي**: السلطنة الحفصية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986م.

93- **الميلي مبارك بن محمد**: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1984م، ج3.

94- **المؤدن عبد الرحمان وبنحادة عبد الرحيم**: العثمانيون المغارب من خلال الأرشيفات المحلية والمتوسطية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط1، الرباط، 2003م.

95- **هلايلي حنيفي**: أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى، ط1، الجزائر، 2008م.

96- ـــــــــــــــــ: بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني، سلسلة تراث الجزائري الحديث، ط1، الجزائر، 2007م.

97- ـــــــــــــــــ: العلاقات الجزائرية الأوربية ونهاية الايالة 1815-1830م، دار الهدى، الجزائر، 2007م.

98- **هلال عمار**: أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1962م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م.

99- **ولبر رونالد**: إيران ماضيها وحاضرها، ترجمة: عبد النعيم ومحمد حسين، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1985م.

100- **وليام لانجر**: موسوعة تاريخ العالم، ترجمة: محمد مصطفى زيادة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ج4.

101- **وولف جون ب**: الجزائر وأوروبا 1500-1830م، ترجمة وتعليق: أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.

102- الموسوعة العربية العالمية http/ www.ahlalhdeyh.com

ب- باللغة الفرنسية

1- **Belhamis** (**Moulay**): Histoire de marine Algérienne (1516-1830), ENAL, Alger, 1983.

2- ___________ :Histoire de mostaganem des origines a nos jour Alger, SNED, 1982.

3- **Cat** (**Edward**): Petite histoire de l'Algérie, Alger, Adolph Jourdan, 1888, T1.

4- **Coll** (**Louis Mouilleseaux**): Histoire de l'Algérie les productions, Paris, 1961.

5- **Gabriel** (Esqure): Le commencement d'un empire 1830, Edition la rose, Paris, 1929.

6- **Gaid** (**Mouloud**) : l'Algérie sous les turcs, 2ème édition, Mimouni, Alger, 1994.

7- ___________________ :chronique des beys de Constantine, office des publications universitaires, Alger.

8- **Garrot** (**Henri**): Histoire générale de l'Algérie, Imprimerie cresenzo vautes, Alger, 1910.

9- **Grammont** (**H.D.de**): Histoire d'Alger sous la domination turque 1515-1830, Edition leroux, Paris, 1887.

10- **Kaddache** (**Mahfoud**): l'Algérie durant la période ottomane, Militaire des publications, Alger,1992.

11- **Mercier (Ernest)**: Histoire de l'Afriques septentrional (Berberie), Ernest leroux Editeur, Paris, 1891, 3vol.

رابعا: الأطروحات الجامعية:

1-**بليل رحمونة**: القناصل والقنصليات الأجنبية بالجزائر العثمانية من 1568-1830م، رسالة دكتوراه، جامعة وهران، السنة الجامعية 2010-2011م.

2-**بن جبور محمد**: صورة الجزائر والجزائريين من خلال الكتابات الفرنسية في القرنين 17 و18م، رسالة ماجستير، جامعة وهران، السنة الجامعية 2002-2003م.

3-**جبار صليحة**: الجزائر في عهد الداي علي باشا 1754-1766م، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر2، السنة الجامعية 2010-2011م.

4-**حسنة كمال**: العلاقات العثمانية الفرنسية في عهد سليم الثالث (1789-1807م)، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2005-2006م.

5-**حماش خليفة ابراهيم**: العلاقات بين ايالة الجزائر والباب العالي من سنة 1798 إلى 1830م، رسالة ماجستير، جامعة الإسكندرية، السنة الجامعية 1988م.

6-**حيمر صالح**: التحالف الأوروبي ضد الجزائر 1541م، رسالة ماجستير، جامعة باتنة، السنة الجامعية 2006-2007م.

7-**زروال محمد**: العلاقات الجزائرية الفرنسية 1791-1830م، رسالة دبلوم الدراسات المعمقة في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، السنة الجامعية 1975-1976م.

8-**سيدهم فاطمة الزهراء**: علاقات دايات الجزائر بالدولة العثمانية مابين 1791-1830م، رسالة دكتوراه، جامعة سيدي بلعباس، 2011-2012م.

9-**صغيري سفيان**: العلاقات الجزائرية خلال عهد الدايات في الجزائر 1671-1830م، رسالة ماجستير، جامعة حاج لخضر باتنة، السنة الجامعية2011-2012م.

10- عبد القادر فلوح: العلاقات الجزائرية العثمانية في الفترة (1233-1246هـ/1818-1830م) على ضوء وثائق المكتبة الوطنية الجزائرية، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر 2، السنة الجامعية 2009-2010م.

11- **غطاس عائشة**: العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن 17م، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 1984-1985م.

12- **قدور عبد المجيد**: هجرة الأندلسيين إلى المغرب الأوسط الجزائر ونتائجها الحضارية خلال القرنين 16-17م، رسالة ماجستير، جامعة وهران، د.س.

13- **لعباسي محمد**: أعمال خير الدين بربروس العسكرية في الجزائر من خلال مخطوط خبر قدوم عروج رايس إلى الجزائر وأخيه خير الدين (المؤلف مجهول من سنة 918هـ-1512م إلى سنة 953هـ-1546م)، رسالة ماجستير، جامعة وهران، السنة الجامعية2005-2006م.

14- **هلايلي حنيفي**: الموريسكيون الأندلسيون في المغرب الأوسط خلال القرن 16 و18م، رسالة ماجستير، جامعة وهران، السنة الجامعية 1999-2000م.

خامسا: الدوريات:

أ- باللغة العربية:

1- **بلبروات بن عتو**: "سلاطين مملكة تلمسان الزيانية في مواجهة الإخوة بربروس 1517-1546م"، مجلة عصور الجديدة، العدد2، 2011م، تلمسان.

2- **بوشنافي محمد**: "مساهمة عروج بن يعقوب في مواجهة الخطر الاسباني على المغرب الأوسط 1512-1518م"، مجلة عصور، العدد4-5، ديسمبر 2003/جوان2004م، الجزائر.

3- **التميمي عبد الجليل**: "أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519م"، المجلة التاريخية المغربية، العدد6، 1976م، تونس.

4- ــــــــــ: "التشكيل الإداري والجغراسياسي للايالات العثمانية"، المجلة التاريخية المغربية، العدد 21، تونس.

5- **حباسي شاوش**: "أصول العلم الوطني الجزائري المعاصر تطوره الشكلي وتحليل مضمونه الإيديولوجي والسياسي 1518-1945م"، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 9، 1995م، الجزائر.

6- **سعيدوني ناصر الدين**: "المعاهدات الجزائرية الإسبانية 1791م"، مجلة الدراسات التاريخية، العدد7، 1414هـ/1993م، الجزائر.

7- **المدني أحمد توفيق**: "من وثائق الجزائر العثمانية (العثمانيون والجزائريون يستعدون لانقاد وهران ولحصار مالطا)"، مجلة التاريخ، العدد2، 1975م، الجزائر.

8- ــــــــــــــــ: "من الوثائق العثمانية نص الفرمان السلطاني"، مجلة التاريخ، العدد 1-2، 1982م، الجزائر.

9- ــــــــــــــــ:"من الوثائق العثمانية الحرب الانكليزية الجزائرية والعهد الجديد"، مجلة التاريخ، العدد1، 1981م، الجزائر.

10- ــــــــــــــ: " الدولة الجزائرية تدافع عن استقلالها ضمن الجامعة العثمانية"، مجلة التاريخ، العدد7، 1979م، الجزائر.

11- **محمد دادة**: "تلمسان في دوامة الصراع الثلاثي بين الإسبان والعثمانيين والمغاربة في القرن 16م"، مجلة عصور الجديدة، العدد2، 2001م، الجزائر.

ب- باللغة الفرنسية:

1- **Berbrugger (Andrien)**: « la régence d'Alger sous le consulat et l'empire », In R.V, N19, 1875.

2- **Colombe (Marcel)**: « Contribution a l'etude du recrutement de l'odjak d'Alger dans les dernières années de l'histoire de la régence », In R.V, N87, 1943.

3- **Devoulx Albert**: « Copération de la régence d'Alger à la guerre de l'indépendance grecque », In R.V, N1, 1856-1857.

4- ________________: « document sur Alger a l'époque du consulat », In R.A, N32, 1862.

5- **Grammont (H.D.de)**: « Relation entre la France d'Alger au XVIIe siècle », In R.V, N 23, 1879.

6- **Haedo (Fray Diego de): **« Histoire des rois d'Alger », Traduit et annotée par : H.D. de Grammont, In R.A , N: 24-25, 1880.

7- **Kuran (Erkumen)**: « la lettre du dernier dey au Grand visire de l'empire ottomane », In R.A, N 96, Alger, 1952.

8- **Sandoval (C.X.De)** : «Les inscriptions d'oran et mers , El –kebir », R.A, N:15, 1871.

9- **Watbled (Ernest)**: « Etablissement de la domination turque en Algérie », In R.V, N17, 1873.

الفهارس العامة

فهرس الأعلام

(أ)	
أبو عبد الله محمد بن الحسن الحفصي	10، 29،
إسحاق	27، 30، 39،
أحمد الشريف الزهار	159،
أبو حمو الثالث	9، 38، 42، 74،
أحمد بن القاضي	33، 42، 46، 54، 55، 59، 60
ابن رقية التلمساني	57، 90
اللورد إكسموث	122، 125
(ب)	
بيير دوفال	190، 191
بربروس	4، 12، 14، 16، 20، 21، 22، 26، 52، 92، 204
السلطان بايزيد	28
(ح)	
الحاج حسين	46، 83
الداي حسين باش	77، 86، 136، 144، 151، 167، 175، 184، 186، 188، 192، 193، 196، 199، 205
حسن أغا	48، 56، 57، 60، 150، 151
حمدان بن عثمان خوجة	67، 107، 135، 196، 200
(خ)	
خير الدين	16،22، 24، 27، 30، 31، 33، 38، 42، 46، 48، 49، 52، 54، 55، 60، 73، 94،

	96، 144، 149، 150، 175، 179، 180، 181
(د)	
درغوث رايس	130، 149، 150
(س)	
سليم خان	14، 19،28، 32، 40، 44، 45، 49، 50، 73، 90، 92، 110، 117، 132، 169
سليم الثالث	74، 82، 146
سليمان القانوني	14، 19، 56، 57، 144، 148، 150، 151، 168، 171، 179، 183
سالم التومي	33، 34، 36، 37
(ش)	
شرلكان	56، 59، 144، 168، 175، 181
(ص)	
صالح رايس	58، 96
(ط)	
طاهر باشا	86، 147، 194، 195، 196
(ع)	
العلج علي	56، 79، 80، 98، 145، 153، 154، 156، 169
بابا عروج	16، 17، 20، 22،24، 27، 28، 29، 30، 31، 32، 33، 34، 35، 36، 39، 41
علي باشا	74، 79، 105، 108، 110، 146، 154، 206

عمر باشا	76، 87، 90
(ف)	
فرنسوا الأول	168، 179، 181، 183
الملك فرديناند	34
(ل)	
لوجي دو تاسي	36، 41
(م)	
الداي محمد بن عثمان	66، 67، 75، 76، 80، 107،140
محمد إلياس	27
مصطفى باشا	72، 77، 85، 111، 134، 136
محمود الثاني	73،81، 82، 85، 87، 93، 135، 137، 142، 143، 147، 193، 196
(ن)	
نابليون بونابرت	173، 178، 184
(هـ)	
هايدو	36، 127
(و)	
الوزان	7، 9
(ي)	
القديس يوحنا	27، 148، 150، 173

فهرس الأماكن والبلدان

(أ)	
الأندلس	2، 11،13، 18، 28، 124
ايطاليا	30
استانبول	13، 20، 32، 206، 190، 194
(ب)	
الباب العالي	51، 58، 59، 62، 64، 66، 70، 71، 84، 89، 96، 98، 102، 106، 139، 143،167، 169، 170، 171، 173، 176، 178، 179، 182، 183، 184، 190، 204، 205، 206، 207
بجاية	5، 6، 9، 10، 15، 16، 30
(ت)	
تلمسان	5، 12، 17، 42، 38، 139
تونس	3، 9، 12، 15، 42، 97، 154، 156، 195
(ج)	
الجزائر	5، 6، 7، 9، 10، 11، 14، 33، 34، 50، 58، 59، 64، 71، 98، 116، 121، 139، 166، 167، 169، 170، 173، 175، 176، 178، k187، 204، 205، 206، 207
جزيرة جربة	7، 9، 30
جيجل	16، 32، 64، 125
جزيرة ميديلي	26
جزيرة رودس	27، 138

(ش)	
شرشال	5، 6، 15
(ص)	
صقلية	3، 30
(ط)	
طرابلس	9
(غ)	
غرناطة	2، 16، 17، 18، 44
(ف)	
فرنسا	66، 97، 166، 168، 169، 171، 173، 174، 175، 176، 177، 178، 183، 207
(م)	
المرسى الكبير	6، 7، 8
المغرب الأقصى	3، 15، 19
مستغانم	6، 11
مالطة	173
المغرب الإسلامي	2، 3، 4، 5، 6، 7، 12
المغرب الأوسط	3، 4، 10، 12، 13، 14، 15، 19، 20، 21، 30، 42
(ن)	
النمسا	83، 144، 158، 167، 173
(و)	
وهران	5، 6، 7، 8، 10، 15

فهرس الشعوب والقبائل والجماعات

(أ)	
الاسبان	3،5، 8، 9، 10، 11، 18، 30، 35، 50، 180
(ب)	
بني الأحمر	2
بنو زيان	3، 4، 9، 15، 38
(ح)	
الحفصية	3، 9، 15، 32، 156، 204
(ز)	
الزيانية	3، 15، 204
(س)	
السعديين	3
(م)	
المرينية	3، 204
الموحدية	2، 3
الموركسيون	8، 9، 30
المسلمون	29،191، 192
المسيحية	3، 5، 18، 19، 28، 34، 71

الفهرس

مقدمة.. أ

الفصل التمهيدي: الظروف العامة لإلحاق الجزائر بالدولة العثمانية 1

1- المشهد السياسي للمغرب الإسلامي قبل القرن 16م.......... 2

2- الهجمة الاسبانية على الجزائر مطلع القرن السادس عشر الميلادي............ 7

3- الإمبراطورية العثمانية.. 13

4- الظروف الداخلية والخارجية لارتباط الجزائر بالدولة العثمانية................ 15

الفصل الأول: الجزائر إيالة عثمانية 23

المبحث الأول: ظهور الإخوة بربروس بالجزائر........................... 26

1- أصلهم.. 26

2- ممارسة القرصنة ضد السفن الأوربية المعادية للدولة العثمانية.................... 29

3- استنجاد سكان أهالي المغرب الأوسط بالإخوة بربروس.................... 30

المبحث الثاني: إلحاق الجزائر بالباب العالي............................ 42

1-فاتحة العلاقات الجزائرية مع الدولة العثمانية.............................. 42

2-بداية الاتصالات مع الباب العالي.. 51

3-تأسيس إيالة الجزائر.. 53

4-تطور النظام السياسي في الجزائر خلال الحكم العثماني.................. 58

الفصل الثاني: العلاقات السياسية بين إيالة الجزائر والدولة العثمانية 71

المبحث الأول: مظاهر ارتباط الجزائر بالباب العالي................... 72

1- تبادل الهدايا بين إيالة الجزائر والباب العالي.................... 72

2- العلاقات الدبلوماسية الجزائرية مع الباب العالي.................. 80

3- الراية الجزائرية.. 91

4- الدعاء للسلطان العثماني في خطبة الجمعة والأعياد................... 93

المبحث الثاني: دور الباب العالي في السياسة الداخلية الجزائرية.............. 95

1- الارتباط الكلي.. 97

2- توتر العلاقات الجزائرية العثماني.................................. 99

3- بوادر انفصال الجزائر عن الدولة العثمانية.......................... 103

الفصل الثالث: العلاقات العسكرية الجزائرية العثمانية 114

المبحث الأول: المؤسسة العسكرية الجزائرية.......................... 117

1-الجيش الانكشاري ودوره في الايالة.................................. 117

2- البحرية الجزائرية وحركتها الجهادية................................ 124

المبحث الثاني: المساعدات العسكرية العثمانية للجزائر.................. 133

1-تنظيم عملية التجنيد.. 133

2-التجهيزات البحرية العثمانية لإيالة الجزائر........................... 140

3-مساهمة بحارة الجزائر في تحديث وقيادة الأسطول العثماني................ 144

المبحث الثالث: دور البحرية الجزائرية في الحروب العثمانية............... 149

1- تحرير طرابلس وضمها للخلافة العثمانية.............................. 149

2- دور البحرية الجزائرية في حرب مالطة............ 151
3- دور البحرية الجزائرية في معركة ليبانت............ 153
4- دور البحرية الجزائرية في تحرير تونس............ 155
5- دور الأسطول الجزائري في حرب البنادقة............ 158
6- مشاركة الأسطول الجزائري في ثورة اليونان............ 159
الفصل الرابع: موقف الباب العالي من الاحتلال الفرنسي 167
المبحث الأول: العلاقات العثمانية الفرنسية وانعكاساتها على الجزائر............ 168
1- وساطة الباب العالي في العلاقات الجزائرية الفرنسية............ 168
2- العلاقات الفرنسية الجزائرية............ 176
المبحث الثاني: نهاية الإيالة الجزائرية وموقف الباب العالي من احتلالها............ 184
1-الحصار البحري الفرنسي للجزائر............ 186
2-أهم الأحداث التي وقعت قبيل التدخل العسكري............ 189
3- موقف الباب العالي من احتلال الجزائر وبداية التدخل العسكري الفرنسي....... 191
خاتمة............ 205
الملاحق............ 210
البيبليوغرافيا............ 229
الفهارس العامة............ 248

ملخص

يعد موضوع الجزائر والباب العالي من خلال الأرشيف العثماني 1520-1830م من الموضوعات المهمة في تاريخ الجزائر الحديث باعتبارها مرحلة لبداية لتأسيس الدولة الجزائرية الحديثة، فقد تمتعت الجزائر بوضع خاص على غرار الولايات التابعة للباب العالي فاحتفظت بالحق في تكوين جيش وبحرية وعلم ونقد وتكوين علاقات خارجية مستقلة، فاتسمت علاقاتها بالتبعية بحكم خضوع الايالة للباب العالي سياسيا وإداريا، والانتماء تحت إطار الدين الإسلامي والتعاون والمساعدة المتبادلة في الجانب العسكري، فكان الغزو الفرنسي للجزائر المنعرج الحاسم في بيان علاقة الجزائر بالباب العالي، مما أدى إلى تحرك الباب العالي بكل الطرق الدبلوماسية والعسكرية لاسترجاعها إلى أنها فشلت في كل المساعي نتيجة ضعفها.

الكلمات المفتاحية: الباب العالي – إيالة الجزائر- الأرشيف العثماني- العلاقات السياسية- العلاقات العسكرية

Résumé :

Le sujet de l'Algérie et la porte sublime dans les archives ottomanes 1520-1830 pose des questions importantes dans l'histoire de l'Algérie moderne. Des le début de la mise en place de l'Etat algérien moderne, l'Algérie a bénéficiée d'un statut particulier semblable à la porte sublime comme le droit de créer une armée, la marine, avoir un drapeau, une monnaie, et des relations extérieures indépendantes.

Les relations par extension en vertu de la subordination (Ayalah) etaient dirigé politiquement et administrativement par les hauts responsables ottomans, dans le cadre de la religion islamique, ainsi que dans le domaine de la coopération et l'assistance militaire.

Apres ce fut l'invasion française de l'Algérie que les ottomans et malgré leurs efforts politiques et militaires, n’ont pu l’ éviter.

Mots clés: La sublime porte - Algérie - Archive Ottomane- Relations Politiques - Relations militaires